الجامعة الأردنية
كلية الدراسات العليا

٦١٣
٤ — ١١
٢ — ٥

أثر المتنبي في شعر الحروب الصليبية

(في مصر وبلاد الشام)

حسام محمد عمر التميمي

إشراف

أ.د. محمود إبراهيم عميد كلية الدراسات العليا

قُدّمت هذه الرّسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الدكتوراة في
اللغة العربيّة وآدابها
بكليّة الدراسات العليا في الجامعة الأردنيّة

ايار/ ١٩٩٦م

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قرار لجنة المناقشة

نوقشت هذه الرسالة بتاريخ ٢٧/ ٥/ ١٩٩٦ وأجيزت بعد تعديلها بتاريخ ٣٠/٧/١٩٩٦ من قبل :

أعضاء اللجنة	التوقيع
الأستاذ الدكتور محمود إبراهيم «مشرفاً»	رئيساً
الأستاذ الدكتور محمد بركات أبو علي	عضواً
الأستاذ الدكتور عبد الجليل عبد المهدي	عضواً
الأستاذ الدكتور صلاح جرار	عضواً

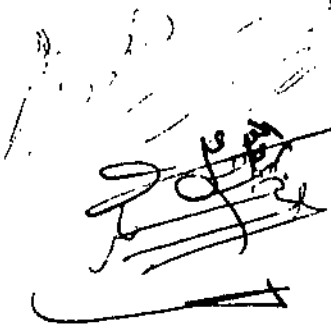

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الإهداء

إلى والدتي

إلى أخي بهيج

ثمرة من ثمار تضحياتهما ،،،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ملخص

أثر المتنبي في شعر الحروب الصليبية
(في مصر وبلاد الشام)

حسام محمد عمر التميمي　　إشراف : أ.د. محمود إبراهيم

إن الدارس للشعر زمن الحروب الصليبية يلحظ بكل جلاء غلبة شعر الجهاد على غيره من فنون الشعر، فلا يكاد يخلو ديوان شاعر من شعراء هذا العصر من قصيدة جهادية يسجل فيها قائلها أحداث عصره المؤلمة والمفرحة، فقد صور الشعراء في قصائدهم مراحل الحروب الصليبية تصويراً دقيقاً، فمن أراد أن يتلمس الوقائع التاريخية العظيمة والصغيرة التي حدثت في القرنين السادس والسابع الهجريين فما عليه إلا أن يقرأ شعر هذا العصر، فسيجد شعراءه قد سجلوا انتصارات المسلمين على الصليبيين، كما وصفوا هزائم المسلمين ونكباتهم. وركز الشعراء في شعرهم الحربي على تصوير عظمة جيش الأعداء ووحشيتهم. ونجح شعراء هذا العصر إلى حد كبير في تمجيد البطولة وتخليد قادة المسلمين، وإبراز دور البطل المسلم في توحيد صفوف الأمة ومواجهة الفرنج.

وارتبط شعراء هذا العصر بالموروث الأدبي ارتباطاً وثيقاً، ونظروا إليه نظرة إكبار وتقديس حتى غدا التراث الشعري وخاصة الحربي منه النموذج الأفضل، فاتبعوا أقطابه في العصر العباسي، ولم يستطيعوا الفكاك من شعرهم ولا الخروج عليه، وكان أبو الطيب المتنبي من أبرز شعراء الحرب الذين اتبعهم شعراء عصر الحروب الصليبية، فأخذوا عنه طريقته في توضيح معالم شخصية البطل، وتغنوا بمقومات البطولة التي تغنى بها المتنبي من قبلهم كالعزيمة وحصافة التفكير والشجاعة. وتأثروا بتصويره لسيف الدولة وهو يقاتل الأعداء، فرسموا صورة بديعة لأبطالهم : عماد الدين زنكي ونور الدين زنكي وصلاح الدين الأيوبي وهم يقارعون العدو، ولكن الشعر في هذا العصر على الرغم من مواكبته لأحداث العصر

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ووقائعه إلا أنه لم يجد شعراء موهوبين يستطيعون أن يخلدوا أبطال المسلمين كما خلد المتنبي بطله، فجاءت معظم معاني البطولة وصورها منتزعة من معاني أبي الطيب وصوره، فغدا شعرهم في هذا الميدان صورة عن شعر أبي الطيب، كما جعلوا أبطالهم يعيشون في ظلال صورة سيف الدولة، فمن يقرأ شعر البطولة في هذا العصر وقصائد المتنبي التي يصور فيها بطولة سيف الدولة فإنه لا يلمس فرقاً بين بطل المتنبي وبطل ابن منير وابن القيسراني والعماد الأصفهاني وابن سناء الملك ... فشعراء الحروب الصليبية لم يميزوا أبطالهم عن غيرهم من أبطال المسلمين على الرغم من أن صلاح الدين الأيوبي كان أعظم ممن سبقه بطولة وشجاعة، ففي عهده توحد المسلمون واستعادوا القدس من الصليبيين فكان من الأجدر بشعرائه أن يميزوه عن سيف الدولة وغيره، ويمنحوه المنزلة التي يستحقها، ولكنهم في تمجيدهم له وتخليدهم لانتصاراته لم يستطيعوا أن يستبطنوا ذاتهم، وأن يعبروا تعبيراً نابعاً عن أحاسيسهم تجاه الأحداث التي عاشوها، فالتمسوا التعبير من عند المتنبي، وأخذوا معانيه وصوره، فجاءت صورة صلاح الدين انعكاساً لصورة سيف الدولة.

واتبع شعراء هذا العصر نهج أبي الطيب في تصوير المعارك والجيوش، فكانوا يبدؤون وصف المعركة بوصف الجيش الإسلامي، وصوروه جيشاً عظيماً تضيق الأرض به، ويقبل فرسانه على الموت إقبالهم على الحياة، وقلدوا أبا الطيب في تركيزه على الخيل في وصف المعارك، فكانت الخيل عندهم -كما هي عند المتنبي- عنصراً رئيسياً في الحرب وفي بناء القصيدة، فهي التي تنقل المقاتل من موقعة إلى أخرى وفي الوقت نفسه تنقل المتلقي من صورة إلى صورة، ولكن أبا الطيب كان أكثر دقة في توظيف حركة الخيل فنياً، فهي عنده دائمة الحركة، وبحركتها تتطور القصيدة وتنمو، أما شعراء عصر الحروب الصليبية فلم يستطيعوا بلوغ ما بلغه المتنبي من توظيف حركة الخيل في بناء القصيدة، وأخذ شعراء هذا العصر عن المتنبي طريقته في تصوير جيش الأعداء،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فعمدوا إلى أسلوب المقابلة الذي عرف به أبو الطيب فوصفوا جيش الصليبيين قبل المعركة ثم صوروه وقد أثخن بالجراح ومني بالهزيمة.

ولم يقتصر تأثر شعراء هذا العصر على شعر المتنبي الحربي، وإنما أخذوا كثيراً من معانيه في الفخر، فافتخروا ببعض الصفات التي تغنى بها أبو الطيب في شعره كإباء الضيم وطلب المجد والفروسية والتعصب للعروبة، كما استفادوا من طريقته في التعامل مع الممدوح، فحاولوا أن يتوحدوا مع ممدوحيهم، وأن يعاملوهم معاملة الند والصديق كما فعل المتنبي من قبلهم، ولعل افتخارهم بشعرهم من أبرز معاني الفخر التي أخذوها عن أبي الطيب، فقد احتذوا حذوه في افتخاره بشعره، فأعلوا من قيمة شعرهم معنى وفناً. وأخذ بعضهم عن المتنبي أسلوبه في العتاب حيث تجاوزوا الحد في العتاب حتى كادوا يبلغون الهجاء والتحدي. كما أخذوا عنه بعض معانيه في الغزل، ونقلوا بعض عباراته في غير الغزل واستخدموها في نسيبهم وغزلهم. وساروا على نهج أبي الطيب في موضوع الرثاء، فجاء رثاؤهم على طريقتين. صوروا في الأولى ما أصابهم من أسى وألم لفقد المتوفى وبينوا منزلة الميت وأخلاقه، وعمدوا في الطريقة الثانية إلى توضيح رؤيتهم للموت والحياة.

وارتد شعراء زمن الحروب الصليبية بأبصارهم إلى أسلوب أبي الطيب في بناء قصائده الحربية، فساروا على نهجه في بناء قصائدهم، فتخلوا عن المقدمات الغزلية، وولجوا إلى مقدمات ملائمة للموضوع، وأخذوا عن المتنبي إعلاءه من شأن القوة، والحديث عن نتيجة المعركة وتعظيم القائد في مستهل قصائده. كما قلدوا أسلوبه في التخلص إلى المدح أو موضوع القصيدة، كما تأثروا بخواتيمه، فاختتموا قصائدهم بأبيات من الحكمة، وتعظيم البطل والإعلاء من منزلته والدعاء له بأن يمده الله بالقوة.

واستفاد شعراء هذا العصر من طريقة المتنبي في بناء صوره الشعرية، فأخذوا عنه كثيراً من تشبيهاته واستعاراته وكناياته، كما تأثروا بأسلوبه في

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تشكيل الصورة الشعرية، فركزوا على تصوير أماكن الصراع، ووظف بعضهم المكان في صورهم توظيفاً فنياً، واهتموا بعنصر الحركة في صورهم اهتماماً بالغاً، فجاءت صورهم -كصور المتنبي- نابضة بالحياة ومليئة بالحركة، كما ركزوا في صورهم على الصور المفزعة التي ولع بها أبو الطيب، كما أخذوا عن المتنبي اعتماده على البرهان العقلي في كثير من صوره، وجاءت صورهم الذهنية التجريدية خالية من عنصر الخيال، ولا غرابة في ذلك فمثل هذه الصور عقلانية تهدف إلى الإقناع لا التأثير.

وتأثر شعراء زمن الحروب الصليبية بلغة أبي الطيب وأسلوبه، فلاءموا بين مفرداتهم اللغوية وموضوع القصيدة، وتأثروا بمعجم المتنبي اللغوي، فاستعملوا ألفاظاً أكثر أبو الطيب من استعمالها في شعره، وأخذوا عنه استخدامه ألفاظ الغزل في الحرب، وظهرت هذه الظاهرة بكل جلاء في شعرهم، كما تأثروا ببعض الظواهر الأسلوبية التي عرف بها المتنبي كظاهرة تكرار الألفاظ والمعاني والصور، وظاهرة التقسيم وظاهرة المبالغة وظاهرة المقابلة.

ومن المؤكد أن تأثر شعراء زمن الحروب الصليبية عامة وشعراء الجهاد خاصة بأبي الطيب المتنبي لم يأت بشكل عفوي، وإنما جاء عن وعي وقصد، ويبدو أنهم شعروا أن أمتهم تواجه حملات صليبية حاقدة شرسة تهدف إلى اقتلاعهم من جذورهم، والقضاء على دينهم وتراثهم الأدبي واللغوي فرأوا ضرورة المحافظة على دينهم فأكثروا من الاستشهاد بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية في شعرهم، ورأوا أن يحتفظوا للأدب العربي بشخصيته العربية ومقوماته الأصلية فعمدوا إلى تقليد أبي الطيب -الذي كان أكثر شعراء عصره تعصباً للعروبة- ومحاكاته ومعارضة قصائده إيماناً منهم بأن هذا النهج سيحافظ على الموروث الأدبي العربي الإسلامي.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
قرار لجنة المناقشة	ب
الإهداء	ج
الملخص باللغة العربية	د
فهرس الموضوعات	ح
مقدمة :	١
الفصل الأول :	
التأثر بالموروث الأدبي في الشعر زمن الحروب الصليبية	٥
شيوع النزعة الاتباعية في الشعر	٦
شيوع النزعة الاتباعية في شعر الجهاد	١٤
الاهتمام بالمتنبي وديوانه زمن الحروب الصليبية	٢٦
الفصل الثاني :	
أثر شعر المتنبي في الشعر زمن الحروب الصليبية	
من حيث المحتوى	٣١
صورة البطل	٣٢
وصف المعارك والجيوش	٥٩
الفخر	٧٨
العتاب	٨٩
الغزل	٩٥
الرثاء	١١٠٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثّالث :

أثر شعر المتنبي في السمات الفنية للشعر زمن الحروب الصليبية. ١٠٦

بناء القصيدة ١٠٧

الصورة الشعرية ١٣٠

اللغة والأسلوب ١٥٣

تقويم ١٧٤

خاتمة ١٧٨

الملاحق ١٨٢

المصادر والمراجع ١٩٢

ملخّص باللغة الإنجليزيّة ٢٠٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد، فقد تنبه عدد من الباحثين خلال الثلاثين عاماً الماضية إلى أهمية دراسة التراث الأدبي الذي خلفه الأجداد في القرنين السادس والسابع الهجريين، فصدرت مجموعة من الدراسات المهمة التي عنيت بأدب تلك المرحلة، منها : أدب الحروب الصليبية للدكتور عبد اللطيف حمزة، وأدب الدول المتتابعة للدكتور عمر موسى باشا، والحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية للدكتور أحمد بدوي، وشعر الجهاد في عصر الحروب الصليبية للدكتور علي الهرفي، وصدى الغزو الصليبي في شعر ابن القيسراني للدكتور محمود إبراهيم، وبيت المقدس في أدب الحروب الصليبية للدكتور عبد الجليل عبد المهدي ... كما توجه كثير من طلاب الدراسات العليا إلى إعداد دراساتهم في أدب تلك الفترة، ومن هذه الدراسات «الشعر الشامي في مواجهة الصليبيين -رسالة دكتوراة إعداد محمود عبد الله-، وشعر ابن القيسراني -رسالة دكتوراة إعداد عادل محمد، واتجاهات الشعر العربي في بلاد الشام في القرن السادس الهجري- رسالة دكتوراة إعداد شفيق الرقب، وصورة الصليبيين في الأدب العربي- رسالة ماجستير إعداد عبد القادر أبو شريفة، والقدسيات في شعر الحروب الصليبية- رسالة ماجستير إعداد إبراهيم ناجي وغيرها .

وتناولت الدراسات السابقة أدب فترة الحروب الصليبية بالدراسة والتحليل، وعرضت فنونه واتجاهاته، وحللت نصوصه. ومعظم من درس أدب هذه المرحلة عرض لظاهرة اتباع شعراء هذا العصر لمن سبقهم من الشعراء عامة ولشعراء الحرب خاصة كسمة من السمات الفنية لشعر تلك المرحلة، ولكن أحداً من الدارسين لم يحاول أن يتناول هذه الظاهرة بدراسة مستقلة. وأشار الدكتور محمود إبراهيم على معدّ هذه الدراسة بالبحث في اتباع شعراء الحروب الصليبية لشعر المتنبي، فقام الباحث بمرحلة الاستقصاء الأولية ولاحظ تأثر

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شعراء هذا العصر بأبي الطيب واحتذاءهم حذوه، فعقد العزم على دراسة أثر شعر المتنبي في الشعر زمن الحروب الصليبية في مصر وبلاد الشام.

وتقع هذه الدراسة في ثلاثة فصول، درس الباحث في الفصل الأول تأثر الشعراء زمن الحروب الصليبية بالموروث الأدبي عامة، ثم درس أثر الموروث الأدبي في شعراء الجهاد في ذلك العصر، ثم بيّن منزلة أبي الطيب بين شعراء زمن الحروب الصليبية، وبيّن العوامل التي دفعت شعراء الجهاد وغير الجهاد بشعر أبي الطيب المتنبي.

وتناول الباحث في الفصل الثاني أثر شعر المتنبي في موضوعات شعر الحروب الصليبية ومحتواه، وقارن بين صورة البطل المسلم في شعر أبي الطيب وصورته في شعر الحروب الصليبية، وتحدث عن مقومات البطولة عند البطل وعن أخلاقه وصفاته في السخط والرضا. كما وضح معالم صورة البطل وهو يواجه الأعداء في معترك الوغى. ثم عرض الدارس أثر شعر المتنبي في شعر هذا العصر الذي سجل فيه قائلوه المعارك التي دارت بين المسلمين والصليبيين، وبيّن الباحث الجوانب التي تأثر بها شعراء هذا العصر في هذا الميدان. وتضمن هذا الفصل عرضاً مفصلاً لفنون الشعر الأخرى التي تأثر فيها شعراء عصر الحروب الصليبية بشعر المتنبي، فتحدث عن تأثرهم بفنون الفخر والعتاب والغزل والرثاء، ولكن تأثرهم بشعر المتنبي في هذه المجالات أقل بكثير من تأثرهم بشعره الحربي .

وتناول الفصل الثالث أثر المتنبي في شعراء تلك المرحلة من حيث السمات الفنية، فبين الباحث أثر شعر المتنبي في بناء القصيدة في شعر هذا العصر، وبين إلى أي مدى احتذى شعراء عصر الحروب الصليبية حذو النموذج المثال في مطلع القصيدة ومقدمتها وتخلصها وموضوعها وخاتمتها. ثم تناول بالعرض والتحليل أثر شعر المتنبي في الصورة الشعرية في شعرهم فعرض لصور المتنبي الشعرية الجزئية والكلية التي حاكاها شعراء هذا العصر، وبين الجوانب التي تأثروا بها في بناء صورهم الشعرية كالتركيز على المكان،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والاهتمام بعنصر الحركة والصور المفزعة، والاعتماد على البرهان العقلي في بناء الصور الشعرية الذهنية. ثم تحدث عن أثر المتنبي في شعرهم من حيث اللغة والأسلوب، فعرض ظاهرتي : ملاءمة الألفاظ للموضوع، واستخدام ألفاظ الغزل للحرب عرضاً تفصيلياً، وأوجز الحديث في أثر المتنبي من حيث استخدام الإشارات النحوية في الشعر. ثم تحدث بشيء من التفصيل عن أثر الشاعر المثال في بعض السمات الأسلوبية التي سادت شعر الحروب الصليبية كالتكرار والتقسيم والمبالغة. واختتم هذا الفصل بتقويم لظاهرة اتباع شعراء عصر الحروب الصليبية لشعر أبي الطيب، وتحدث فيه عن الأسباب التي دفعتهم للتأثر بمن سبقهم عامة وبالمتنبي خاصة، وعرض لأوجه تأثرهم بشعر أبي الطيب. ثم جاءت الخاتمة وقد تضمنت أهم نتائج هذه الدراسة.

واعتمدت الدراسة على عدد من دواوين الشعراء والمصادر الأدبية والتاريخية والمراجع الحديثة، وفي مقدمة الدواوين التي اعتمدت عليها شرح ديوان أبي الطيب المتنبي «معجز أحمد»، المنسوب إلى أبي العلاء المعري، وديوان ابن منير الطرابلسي، وشعر ابن القيسراني، وديوان ابن قسيم الحموي، وديوان طلائع بن رزيك، وديوان أسامة بن منقذ، وديوان عرقلة الكلبي، وديوان ابن الدهان الموصلي، وديوان عماد الدين الأصفهاني، وديوان المبشرات والقدسيات لعبد المنعم الجلياني، وديوان ابن سناء الملك، وديوان فتيان الشاغوري، وديوان ابن الساعاتي ... ومن مصادر الأدب المهمة في فترة الدراسة كتاب : خريدة القصر وجريدة العصر لعماد الدين الأصفهاني، ومن الكتب النقدية: الوساطة بين المتنبي وخصومه للقاضي الجرجاني وكتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري، والعمدة في صناعة الشعر لابن رشيق القيرواني، والمثل السائر لابن الأثير. ومن أبرز المصادر التاريخية التي اعتمدها البحث : الكامل في التاريخ لابن الأثير، وكتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية لأبي شامة المقدسي.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبعد فإنّه لا يفوتني أن أتقدّم بالشكر الجزيل والامتنان العظيم للأستاذ الدكتور محمود إبراهيم الذي أشرف على هذه الدراسة وأولى معدها الرعاية والمحبة، ومنحه من علمه ووقته الشيء الكثير، فإن كان فيها خير فمرده له وان كان فيها غير ذلك فمرده لكاتبها.

حسام عمر التميمي

عمان ١٩٩٦/٣/٢٩م

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الأول

التأثر بالموروث الأدبي في الشعر زمن الحروب الصليبية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شيوع النزعة الاتباعية في الشعر

تنبه النقاد العرب القدماء إلى ظاهرة اتباع الشعراء المتأخرين نهج مَنْ تقدّمهم، واحتذائهم حذوهم، والتأثّر بمعانيهم وصورهم وأخيلتهم وتراكيبهم وألفاظهم، ويقرر ابن طباطبا أن الشعراء المتقدمين لم يتركوا للشعراء المحدثين شيئاً، إذ يقول : «والمحنة على شعراء زماننا في أشعارهم، أشدّ منها على مَنْ كان قبلهم؛ لأنهم قد سبقوا إلى كل معنى بديع، وحيلة لطيفة، وخلابة ساحرة، فإن أتوا بما يقصر عن معاني أولئك، ولا يربي عليهم، لم يتلق بالقبول، وكان كالمطّرح المملول»[١].

ويؤكد أبو هلال العسكري شيوع النزعة الاتباعية بين الشعراء على مر العصور ويرجعها إلى أن القدماء لم يبقوا معنًى جميلاً لم يقولوا فيه شعراً، ويقول : «ليس لأحدٍ من أصناف القائلين غنى عن تناول المعاني ممن تقدمهم والصب على قوالب مَنْ سبقهم، ولكن عليهم إذا أخذوها أن يكسوها ألفاظاً من عندهم، ويبرزوها في معارض من تأليفهم، ويوردوها في غير حليتها الأولى، ويزيدوها في حسن تأليفها وجودة تركيبها وكمال حليتها ومعرضها، فإذا فعلوا ذلك فهم أحق بها ممن سبق إليها، ولولا أنّ القائل يؤدي ما سمع لما كان في طاقته أن يقول، وإنما ينطق الطفل بعد استماعه من البالغين»[٢]. فهو يبيح للشاعر المحدث أن يأخذ ممن سبقه، ولكن عليه أن يتميز بأسلوب خاص به، يعرف به بين الشعراء، وألا يعيش في ظلال الآخرين.

ويذهب ابن الأثير الذي عاش ما بين ٥٨٨هـ و ٦٣٧هـ إلى وجود معانٍ يتساوى فيها الشعراء، ولا يطلق عليها اسم الابتداع؛ لأن الخواطر تأتي بها من غير حاجة إلى اتباع الآخِر الأولَ، ويرى أن المعاني الشعرية مطروقة جميعاً، ولهذا فإن

---

(١) عيار الشعر، تحقيق : طه الحاجري ومحمد زغلول سلام، القاهرة، سنة ١٩٥٦م : ص٨.
انظر: القاضي الجرجاني : الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق وشرح : محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي البجاوي، دار القلم – بيروت، د.ط، د.ت : ص١٨٣-٢١٤.

(٢) كتاب الصناعتين : الكتابة والشعر، تحقيق : علي البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية– مصر، ط١ سنة ١٩٥٢م : ص١٩٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شعراء عصره -زمن الحروب الصليبية- يتّبعون من تقدمهم، ويقول : «ليس لقائل أن يقول : إن لأحد من المتأخرين معنى مبتدعاً؛ فإن قول الشعر قديم منذ نطق باللغة العربية، وإنه لم يبقَ من المعاني إلا وقد طرق مراراً»[١]. ولهذا فإن تفاضل الشعراء فيما بينهم -كما يرى القاضي الجرجاني- لا يكون في ابتداع المعاني، وإنما يكون في تأليف الألفاظ ونظمها ورصفها، يقول : «قد يتفاضل متنازعو هذه المعاني بحسب مراتبهم من العلم بصنعة الشعر، فتشترك الجماعة في الشيء المتداول، وينفرد أحدهم بلفظة تستعذب أو ترتيب يستحسن، أو تأكيد يوضع موضعه، أو زيادة اهتدى لها دون غيره، فيريك المشترك المبتذل في صورة المبتدع المخترع»[٢].

ومن مظاهر اهتمام النقاد العرب القدماء بالنزعة الاتباعية في الشعر أنّ الحاتمي قد أتى بمجموعة من المصطلحات الخاصة بأخذ الشعراء عن غيرهم، ومنها : الاصطراف، والاجتلاب، والاهتدام، والإغارة ...[٣] . وقد حدد ابن رشيق مفاهيم هذه المصطلحات، فالاصطراف : «أن يعجب الشاعر ببيت من الشعر، فيصرفه إلى نفسه، فإن صرفه إليه على جهة المثل، فهو اجتلاب واستلحاق، فإن ادّعاه جملة فهو انتحال ... وإن كان الشعر لشاعر حي أخذ منه غلبة فتلك الاغارة والغصب»[٤].

أما الاهتدام فهو السرقة فيما دون البيت، ويسمى أيضاً النسخ[٥]. والنظر والملاحظة والإلمام أن يتساوى المعنيان دون اللفظ مع اختفاء الأخذ[٦] . أما الاختلاس، فهو تحويل المعنى من غرض إلى آخر، ويسمى أيضاً «نقل المعنى»[٧]، وقد عد القاضي الجرجاني الاختلاس ضرباً من السرقة المخفية[٨]. ويقصر ابن

---

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، قدمه وحققه وعلق عليه : أحمد الحوفي، وبدوي طبانة، مكتبة نهضة مصر -القاهرة، ط١ سنة ١٩٥٩م : ٢ : ٣٦٢.

(٢) الوساطة بين المتنبي وخصومه : ص١٨٦.

(٣) انظر : حلية المحاضرة، تحقيق د. جعفر الكتاني، بغداد سنة ١٩٧٩م : ص٣٩-٦٥.

(٤)،(٥)،(٦)،(٧) العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق: محمد قرقزان، دار المعرفة - بيروت، ط١ سنة ١٩٨٨م:٢ :١٠٣٩.

(٨) الوساطة بين المتنبي وخصومه : ص٢٠٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

رشيق الموازنة على أخذ بنية الكلام فقط[١]. وإذا ألف الشاعر البيت من أبيات قد ركب بعضها من بعض فذلك هو الالتقاط والتلفيق، ويسمى أيضاً الاجتذاب والتركيب[٢]. أما سوء الاتباع فهو أن يقصّر الآخذ عن المأخوذ منه[٣]. ويؤكد ابن رشيق أن السرقة تكون في المعنى البديع المخترع الذي يختص به شاعر دون غيره، ولا تكون في المعاني المشتركة التي هي جارية في عاداتهم، ومستعملة في أمثالهم ومحاوراتهم، ويقرر أن اتكال الشاعر على السرقة بلادة وعجز، وتركه كل معنى سبق إليه جهل[٤].

وبذلك فإن تراث الأمة الأدبي ملك لجميع أبنائها، أدباء وغير أدباء، ولا يستطيع المرء أن يثقف نفسه، وينمي فكره، ويكون شخصيته الأدبية بمعزل عن نتاج الآخرين، فما خلّفه الآباء والأجداد من فكر وأدب إرث شرعي من حق المتأخرين أن يطلقوا عليه، ويفيدوا منه كلما دعتهم الحاجة إلى ذلك، ولكن على الآخذ ألا يتّكل كلّ الاتكال على السلف، فإن عمد إلى ذلك وجد نفسه يدور في فلك المأخوذ عنه من غير أن يستطيع الفكاك منه، فيفقد القدرة على تكوين شخصيته والتماس التعبير من ذاته، فيبتعد عن الإبداع ويعيش في ظلال الآخرين.

وقد اتكأ شعراء زمن الحروب الصليبية في مصر وبلاد الشام على الموروث الأدبي اتكاءً ملحوظاً، وارتدوا بأبصارهم وعقولهم إلى عصور الأدب العربي الزاهرة عامة وإلى العصر العباسي الثاني خاصة، فحاكوا أمراء الشعر العربي في معانيهم وصورهم وأساليبهم، وأفادوا من تجربتهم الشعرية، وأوغلوا في التبعية لهم، ولم تقتصر محاكاتهم لمن سبقهم على غرض من الأغراض، وإنما سادت النزعة الاتباعية معظم موضوعات الشعر، ففي موضوع الغزل نجد تاج الملوك الأيوبي يلتمس قوله :

لا فرّج الله عن قلبي الكئيب به ... إن كنت أدعو لقلبي منه بالفرج[٥]

---

(١)،(٢)،(٣) العمدة في محاسن الشعر وآدابه : ٢ : ١٠٤٠.

(٤) المصدر نفسه : ٢ : ١٠٣٨.

(٥) ديوان تاج الملوك الأيوبي، تحقيق ودراسة : د. محمد عبد الحميد سالم، هجر للطباعة والنشر، مصر، ط١ سنة ١٩٨٨م، ص١٣٢. انظر : حاشية الديوان.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من قول أبي نواس :

لا فرج الله عني إن مددت يدي إليه أسائله من حبك الفرجا [١]

فلم يستطع تاج الملوك أن يستبطن ذاته ليصور ما يلاقيه من قسوة المعشوقة فلجأ إلى أبي نواس والتمس التعبير منه. كما نسخ قوله :

وكأنّ بهجة وجهه في شعره قمرٌ بدا في ليلة ظلمـــــاء[٢]

من قول البحتري :

كأنما وجهه والشعر يلبسه بدرٌ تنفّس في ذي ظلمة داج [٣]

فقد أخذ تاج الملوك معني البحتري وصورته ومعظم ألفاظه، ولكنه غيّر في ترتيب الألفاظ ووزن البيت. ٤٧١١٢٤

ويصور الملك الأمجد الأيوبي أرق الإنسان المحب، في قوله :

ما قلت وهو على الأجزاع معترض يا ساهر البرق أيقظ راقد السمر

ولا طلبت وقد أودى السهاد بنـــا من نازل الجزع أعواناً على السهر[٤]

من خلال تضمينه قول أبي العلاء المعري :

يا ساهر البرق أيقظ راقد السمر لعلّ بالجزع أعواناً على السّهر[٥]

ويختلس الملك الأمجد قوله :

ولي دمع يخبّر عن ضميري كما شرح الكلامَ الترجمـــان[٦]

من قول أبي العلاء مادحاً :

يعبر سيفه لفظ المنايـــا كما شرح الكلامَ الترجمـــان[٧]

فقد نقل المعنى من المدح إلى الغزل. ويبدو أن الملك الأمجد كان مطلعاً على ديوان أبي العلاء، فهو يتخير الأبيات الملائمة لوصف حالة المحب من شعر أبي

---

(١) ديوان أبي نواس، ضبط معانيه وشروحه : إيليا الحاوي، دار الكتاب اللبناني – بيروت، ط١ سنة ١٩٨٣م : ١ : ٢٣٠.

(٢) ديوان تاج الملوك الأيوبي : ص١٠٠.

(٣) ديوان البحتري، تحقيق حسن الصيرفي، دار المعارف، سنة ١٩٦٣م : ١ : ٤٣٢.

(٤) ديوان الملك الأمجد الأيوبي، دراسة وتحقيق : د. ناظم رشيد، وزارة الأوقاف – العراق، سنة ١٩٨٣م : ص٢٥٣–٢٥٤.

(٥) سقط الزند، دار صادر – بيروت، د.ط، د.ت : ص٥٦.

(٦) ديوان الملك الأمجد : ص١٣٠.

(٧) سقط الزند : ص٧٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العلاء ويمزجها مع أبيات له، وهو يفرق بين ماله وما لغيره عن طريق تلميحه بذلك، ففي البيتين الأولين يأتي بمفردات تشير إلى أن عجز البيت ليس له، كقوله : «ما قلت، ولا طلبت .. » كناية عن أن غيره الذي قال وطلب، وكأنه أخذ قول المعري على جهة المثل.

ويسلخ ابن سناء الملك قوله :

وما غدرت، ما أخلفت، ما تشبّهت بغانية، ما كلُّ غانيةٍ هنـــدُ[١]

من قول أبي تمام :

فلا تحسبا هنداً لها الغدر وحدها سجية نفسي كلُّ غانيةٍ هندُ[٢]

ولكن قول أبي تمام أكثر دقة في التعبير، فهو يؤكد أن الغواني طبعهم الغدر وعدم الوفاء بالعهد، أما ابن سناء الملك فهو ينفي الغدر عن صاحبته ويثبته على غيرها، وكأنه أراد أن يعلي من قيمتها، فجعلها أعظم من كل غانية، ونزهها عن غدر هند، وهذا الأمر جعل عبارة : «ما كل غانية هند» تأتي منقطعة عما قبلها.

ويتكئ الشاب الظريف في شعره الغزلي على الموروث الأدبي كثيراً، ولكنه يعمد إلى نقل المعنى من غير الغزل إلى الغزل، ومن ذلك قوله متغزلاً :

وشَعْر كليلي كان طولاً فما لـــه قصيراً كحظي هل لذاك دلائـــل

نعم قد تناهى في الظلام تطاولاً وعند التناهي يقصر المتطاول[٣]

وقد أفاد من قول أبي العلاء :

فإن كنت تبغي العز فابغ توسّطاً فعند التناهي يقصر المتطاول[٤]

ويبدو أن الشاب الظريف قد أخذ قول المعري «فعند التناهي ...» على وجه المثل، وقد جاء معبراً عن حالته النفسية وملائما لسياق البيت، فهو على يقين أن ليله مهما تناهى في الطول فإنه سيقصر ويتلاشى، فتعود الفرحة إليه.

---

(١) ديوان ابن سناء الملك، تحقيق : محمد إبراهيم نصر، مراجعة : حسين نصار، دار الكتاب العربي- القاهرة، سنة ١٩٦٩م : ص٧٢.

(٢) ديوان أبي تمام، شرحه : الخطيب التبريزي، تحقيق محمد عزام، دار المعارف – مصر، ط٣ سنة ١٩٧٦م : ٢ : ٨١.

(٣) ديوان الشاب الظريف، تحقيق : شاكر هادي شكر، مكتبة النهضة العربية – بيروت، ط١، سنة ١٩٨٥م : ص١٧٥.

(٤) سقط الزند : ص١٩٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وإذا كان لبيد بن أبي ربيعة قد جعل المال والأهلون ودائع ترد إلى صاحبها، فإن الشاب الظريف جعل الحب والوصال ودائع ترد إلى العاشق، فيأنس بها :

على أن أيام الوصال ودائـــــع ولا بد يوماً أن تـــرد الودائـــــع[١]

ويسلخ الشاب الظريف قوله :

تحرش الطرف بين الجد واللعب أفنى المدامع بين الحزن والطرب[٢]

من قول أبي تمام :

السيف أصدق أنباءً من الكتـــب في حده الحد بين الجد واللعـــب[٣]

وأخذ أبو مسهر الموصلي قوله :

إذا ما لسان الدمع نمّ على الهوى فليس بسرٍّ ما الضلوع أجنّـــــتِ[٤]

من قول البحتري :

إذا العين راحت، وهي عين على الجوى فليس بسرٍّ ما تجـنّ الأضالـــــع[٥]

ويلحظ القارئ أن الموصلي قد استنسخ بيت البحتري استنساخاً، حيث أخذ المعنى والألفاظ معاً.

ويلتفت ابن الساعاتي في قوله :

إذا حدّثتْ ريحُ الصبا عن غصونـــه فللوجد منه طارف وتليـــدُ

خليليّ يوم المنحنى هل علمتمـــا بأن قتيل الغانيات شهيـــدُ[٦]

إلى قول جميل بثينة :

لكلّ لقاء نلتقيـــــه بشاشـــةٌ وكلّ قتيل عندهن شهيـــدُ

فلو تكشف الأحشاء صودف تحتها لبثنة حبٌّ طارفٌ وتليـــدُ[٧]

---

(١) ديوان الشاب الظريف : ص١٤٣.

(٢) المصدر نفسه : ص٥٣.

(٣) ديوان أبي تمام : ١ : ٤٠.

(٤) العماد الأصفهاني : خريدة القصر وجريدة العصر، قسم الشام، تحقيق : شكري فيصل، المطبعة الهاشمية – دمشق، ج٢ سنة ١٩٥٨م : ٢ : ٢٧٤.

(٥) ديوان البحتري، تحقيق حسن كامل الصيرفي، دار المعارف – القاهرة سنة ١٩٦٣م : ٢ : ١٣٠٣.

(٦) ديوان ابن الساعاتي، تحقيق أنيس المقدسي، الجامعة الأمريكية – بيروت سنة ١٩٣٨م : ١ : ٦٣.

(٧) ديوان جميل بثينة، جمع وتحقيق، د. حسين نظار، القاهرة : ص٦٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويلاحظ أن ابن الساعاتي أخذ معنى بيتي جميل بثينة وبعض ألفاظهما كطارف، وتليد، وقتيل، وشهيد.

ووقف عدد من شعراء زمن الحروب الصليبية[١] عند معلقة امرئ القيس، وأفادوا منها كثيراً، وضمنوا شعرهم الغزلي بعض أبياتها وعباراتها، يقول ابن سناء الملك متغزلاً :

إذا قيل لا تهلك أسى فجهالة ... لقائل هذا قوله وتجمّـــل

قفانبك من ذكر حبيبي وحده ... أ أخلط ذكراً للحبيب بمنزل[٢]

فهو ينكر على امرىء القيس بكاءه على المحبوبة والديار معاً، فكان عليه -كما يرى ابن سناء- أن يحزن على فقدان المحبوبة وحدها، وألا يوزع عواطفه بينها وبين المنازل. وإذا كان ابن سناء الملك قد غير بعض الشيء فيما أخذه عن امرىء القيس فإن غيره من شعراء عصره ضمنوا شعرهم عبارات لامرىء القيس دون أن يغيروا فيها شيئاً، ومن ذلك قول فتيان الشاغوري متغزلاً.

تراءت لنا كالشمس جادت بحاجب ... وبالحاجب المحجوب بالسرّ صنّت

«تصد وتبدي عن أسيل وتتقي» ... بناظرتي وسنان من وحش وجرة[٣]

وقول شرف الدين الأنصاري في مقدمة قصيدة له :

خليلي ها سقط اللوى قد بدا لنا ... فلا تعدواه بل «قفانبك من ذكرى»[٤]

ونقل ابن سناء الملك مطلع معلقة امرىء القيس من الوقوف على الاطلال وذكر المحبوبة إلى الرثاء، إذ يقول في رثاء جارية له :

«قفانبك من ذكرى حبيب» وقبره ... وقلْ للتي في القبر حلّت ألاهبي[٥]

---

(١) انظر : ديوان ابن سناء الملك : ص٢٣١، ٤٤٢، ٥٠١.
ديوان ابن عنين، تحقيق : خليل مردم بك، دار صادر- بيروت، د.ت : ص١١١، ٢٣١.
ديوان فتيان الشاغوري، تحقيق : أحمد الجندي، مجمع اللغة العربية – دمشق، سنة ١٣٧٨هـ : ص٢٤، ٦١، ٦٧.
ديوان شرف الدين الأنصاري، تحقيق : عمر موسى باشا، المطبعة الهاشمية – دمشق، سنة ١٩٦٧م : ص١٩٨، ٣٣٥.

(٢) ديوان ابن سناء الملك : ص٤٤٢.

(٣) ديوان فتيان الشاغوري : ص٦١.

(٤) ديوان شرف الدين الأنصاري : ص١٩٨.

(٥) ديوان ابن سناء الملك : ص٥٠١.

- - - -All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهو يشير في الشطر الثاني إلى مطلع معلقة عمرو بن كلثوم : «ألاهبي بصحنك ... »

ووظف ابن عنين كثيراً من أبيات معلقة امرىء القيس وعباراتها في قصيدة هجاء له، هجا فيها المؤيد بن القلانسي والجمال بن مهدي الكاتب، ويقول فيها :

ولمّا رأينا المغربي بخدمة الـ(م) ـمؤيّد مثل الراهب المتبتّـــل

وأخلق فيها عمره فكأنّـــه «قفانبك من ذكرى حبيب ومنزل»

سألناه هل في ظله لك مرتـــع «وهل عند رسم دارسٍ من معوّل»

فقال أنا المسدى إليه تفضلي وكم من يدٍ لي عنده وتطـــوُّل

أشد إذا استدبرته منه فرجـــةً «بضافٍ فويق الأرض ليس بأعزل»

وأشفي غليلاً منه عز شفـــاؤه «بمنجردٍ قيد الأوابد هيكـــل»

إذا ما تمطّى في حشاه بصلبـــه «وأردف أعجازاً وناء بكلكـــل»

وبات «كخدروف الوليد أمـرُّه تتابع كفَّيْه بخيط موصّـــل»

وجادتْه أنواع الحوايا فانزلـت عليه من الأمشاج كل منـــزّل

بدا رأسه بعد العتوّ كأنّـــه «من السيل والغثا فلكة مغـــزل»[1]

ويبدو أن ابن عنين أراد من عمله هذا أن يظهر قدرته على مجاراة الشعر القديم، وبراعته في المزاوجة بين شعره والموروث الأدبي، ولكنه أخفق في تحقيق ذلك، فمن يقرأ القصيدة يلحظ أنها تخلو من الوحدة الموضوعية، فهناك فجوة بين ما هو لابن عنين وما أخذه من معلقة امرىء القيس، فما العلاقة التي تجمع مثلاً بين الشطر الأول وقول امرئ القيس «قفانبك ...» في البيت الثاني؟! وأخذه من المعلقة جعله يغير في مفرداته اللغوية، فجاءت لغة القصيدة بعيدة كل البعد عن لغة العصر وغير ملائمة لموضوع القصيدة.

ويستذكر أسامة بن منقذ في قوله معاتباً طلائع بن رزيك :

وارحم ضعافاً وأطفالاً إذا ذكروا بعدي عصتهم، ففاضت أدمـع ذُرُفُ

لهم نشيج وإعوال إذا نظـــروا من حالهم غير ما اعتادوا وما ألفوا

---

(١) ديوان ابن عنين : ص٢٣١-٢٣٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فنظرةٌ منك تحييهم وتجعلهم محمولةً عنهم الأثقال والكلـــف[1]

قصة الحطيئة مع عمر بن الخطاب عندما سجن عمر الحطيئة بسبب هجائه للزبرقان، فاستعطف الحطيئة أمير المؤمنين بقصيدة يقول فيها :

ماذا تقول لأفراخ بذي مـــرخٍ حمر الحواصل لاماء ولا شجـــرُ

غيبت كاسبهم في قعر مظلمةٍ فاغفر عليك سلام الله يا عمـــرُ[2]

كما أخذ أسامة بن منقذ عتابه لأحد أصدقائه :

أبا حسن وافى كتابك شاهـــراً صوارم عتبٍ كلُّ صفح لها حـــدُّ

فقابلت بالعتبى مضيض عتابه ولم يتجهَّمْه الحجاج ولا الجحـــدُ

وأعجبني عيي لديه ولـــم أزل «إذا لم تكن خصمي لي الحجج اللدُّ»[3]

من قول أبي فراس الحمداني معاتباً :

أيا عاتباً لا أحمل الدهر عتبـه عليّ ولا عندي لا نعمه جحـــد

سأسكت إجلالاً لعلمك أنّنـــي إذا لم تكن خصمي لي الحجج اللدُّ[4]

شيوع النزعة الاتباعية في شعر الجهاد

إن الدارس لاتجاهات الشعر زمن الحروب الصليبية في مصر وبلاد الشام يلحظ بكل جلاء غلبة شعر الجهاد على غيره من فنون الشعر، فلا يكاد يخلو ديوان شاعر من شعراء هذا العصر من قصيدة جهادية يسجل فيها قائلها أحداث عصره المؤلمة والمفرحة، فقد صور الشعراء في قصائدهم مراحل الحروب الصليبية تصويراً دقيقاً، فمن أراد أن يتلمس الوقائع التاريخية العظيمة والصغيرة التي حدثت في القرنين السادس والسابع الهجريين فما عليه إلا أن يقرأ شعر هذا العصر، فسيجد شعراءه قد سجلوا انتصارات المسلمين على الصليبيين، كما

---

(١) ديوان أسامة بن منقذ، تحقيق : أحمد بدوي، وحامد عبد المجيد، دار الكتب – مصر، د.ط، د.ت : ص١٨٥.

(٢) ديوان الحطيئة برواية وشرح ابن السكيت، تحقيق : د. نعمان طه، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١ سنة ١٩٨٧م : ص١٩١.

(٣) ديوان أسامة بن منقذ : ص ١١٨.

(٤) ديوان أبي فراس الحمداني؛ شرحه وقدم له : الدكتور عمر الطباع، دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت : ص٨٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وصفوا هزائم المسلمين ونكباتهم. وركز الشعراء في شعرهم الجهادي على تصوير عظمة جيش الأعداء ووحشيتهم. ونجح شعراء هذا العصر إلى حد كبير في تمجيد البطولة وتخليد قادة المسلمين، وإبراز دور البطل المسلم في توحيد صفوف الأمة ومواجهة الفرنج [١].

ووجد شعراء الجهاد زمن الحروب الصليبية في الموروث الأدبي من شعر الحرب والحماسة الذي واكب وقائع العرب في الجاهلية والإسلام، وصراع المسلمين مع الروم في العصر العباسي خير معين لهم، فأوغلوا في التبعية له، فهذا ابن القيسراني يصور عظمة جيش نور الدين وهو يزحف نحو الأعداء وقد أثارت حوافر الخيل الغبار، فانحجبت الرؤية عن الجند، فأضاءت لهم الأسنة والسيوف الدرب :

في عسكر يخفي كواكب ليله ... نقعٌ فيطلعها القنا الخطّـــار[٢]

وهذه الصورة مأخوذة من قول بشار بن برد :

كأنَّ مثارَ النقع فوق رؤوسهم ... وأسيافَنا ليل تهاوى كواكبـــه[٣]

ويستمد ابن قسيم الحموي قوله

فوارس تجتني ثمر المعالي ... بأيدي النّصر من ورق الحديـــد[٤]

من قول ابن هاني الأندلسي :

وجنيتم ثمر الوقائع يانعـــاً ... بالنصر من ورق الحديد الأخضر[٥]

ويصور أسامة بن منقذ الجيش الإسلامي وقد خرج للقاء الفرنج، فأظلته الطيور الجارحة، وكلها أملٌ بأن تقتات على جثث الأعداء :

---

(١) انظر :د. أحمد بدوي : الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام، دار النهضة، القاهرة ط٢، د.ت : ص٤٠٧-٥١٦.

د. محمد علي الهرفي : شعر الجهاد في الحروب الصليبية في بلاد الشام، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط٢ سنة ١٩٨٠م : ص١١٩-١٩٢.

(٢) شعر ابن القيسراني، جمع وتحقيق ودراسة : د. عادل جابر، الوكالة العربية للنشر والتوزيع، الأردن – الزرقاء، ط١ سنة ١٩٩١م : ص٢٠٠.

(٣) ديوان بشار بن برد، جمعه وشرحه : محمد عاشور، الشركة التونسية للتوزيع، سنة ١٩٧٦م : ١ : ٣٣٥.

(٤) ديوان ابن قسيم الحموي، جمع وتحقيق : د. سعود عبد الجابر، دار البشير – عمان، ط١ سنة ١٩٩٥م : ص٤٥.

(٥) تبيين المعاني في شرح ديوان ابن هانيء الأندلسي، تحقيق : د. زاهر علي – القاهرة سنة ١٣٥٢هـ : ص٣٢١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نسير إلى الأعداء والطير فوقنا لها القوت من أعدائنا ولنا النصر[١]

وقد ارتكز أسامة في بناء صورته على صورة النابغة الذبياني :

إذا ما غزوا بالجيش حلق فوقهم عصائب طيرٍ تهتدي بعصائب[٢]

ولكن أسامة زاد صورته توضيحاً فجعل مرافقة الطيور لجيش المسلمين علامة من علامة النصر.

ويصور فتيان الشاغوري الصليبيين وقد تملكم الرعب خوفاً من المسلمين، فهزموا بالرعب قبل أن تنالهم سيوف المسلمين :

يغزو الملوك الرعب قبل مسيره في عسكر أفتك به من عسكر[٣]

ولعله أخذ هذه الصورة من قول أبي تمام في بائيته المشهورة :

لم يغز قوماً ولم ينهد إلى بلدٍ إلا تقدمه جيش من الرعب

لو لم يقد جحفلاً يوم الوغى لغدا من نفسه وحدها في جحفل لجب[٤]

ويدعو ابن الساعاتي شعراء عصره إلى توظيف الشعر في تعظيم فتح القدس، وتمجيد البطل صلاح الدين، فيقول مفتتحاً قصيدة له :

أعيا وقد عاينتم الآية العظمى لآية حال تدخر النثر والنظما[٥]

ويبدو أنّه التفت إلى قول أبي تمام في فتح عمورية :

فتح الفتوح تعالى أن يحيط به نظم من الشعر أو نثر من الخطب[٦]

والبطل عند عمارة اليمني يخرج من معاركه منتصراً وسليماً من أي أذى، ولكن حد سيفه قد فل وضعف لكثرة ما عمل في رقاب الأعداء :

ورحت سليم العرض من كل وصمة ولكنّ حدّ السيف ليس بسالم[٧]

---

(١) ديوان أسامة بن منقذ : ص٢٠٢.

(٢) ديوان النابغة الذبياني، جمعه وشرحه : محمد عاشور، الشركة التونسية للتوزيع، سنة ١٩٧٦م : ص٤٦.

(٣) ديوان فتيان الشاغوري : ص١٤١.

(٤) ديوان أبي تمام : ١ : ٥٩.

(٥) ديوان ابن الساعاتي، تحقيق : أنيس المقدسي، الجامعة الأمريكية – بيروت سنة ١٩٢٨م : ٢ : ٣٨٥.

(٦) ديوان أبي تمام : ١ : ٤٦.

(٧) عمارة اليمني : النكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية، تحقيق هرتويغ درنبرغ، مكتبة مدبولي – القاهرة، ط٢ سنة ١٩٩١م : ص ٣٣٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهذا القول أشبه ما يكون بقول النابغة الذبياني :

ولا عيب فيهم غير أنّ سيوفهم ... بهنّ فلولٌ من قراع الكتائب[١]

ويقول عمارة اليمني مادحاً :

أحاديث من حلمٍ وبأسٍ ونائل ... تجدد ذكر السؤدد المتقادم

نسينا بها أخبار قيس بن عاصم ... وعمرو بن معدي وكعبٍ وحاتمٍ[٢]

وقد انتزع هذين البيتين من قول أبي تمام في مدح ابن المعتصم :

إقدام عمرو في سماحة حاتمٍ ... في حلم أحنف في ذكاء إياس[٣]

واستفاد العماد الأصفهاني من بيت أبي تمام في قوله مادحاً نور الدين زنكي :

في بأس عمرو في بسالة حيدر ... في نطق قس في تقى سلمان[٤]

كما استفاد منه علم الدين الشاتاني[٥] إذ يقول في مدح نور الدين زنكي :

في الرأي قيس في السماحة حاتم ... في النطق قس في البسالة حيدر[٦]

ويلاحظ أن الأصفهاني والشاتاني قد حاكيا بيت أبي تمام من غير تصرف، ولكن عمارة لم يكتف بتشبيه ممدوحه بأهل الرأي والشجاعة والسؤدد كما فعل أبو تمام، وإنما فضله عليهم، وجعل منزلته أعلى من منزلتهم، وكأنه أراد أن يتلاشى المآخذ التي أخذت على بيت أبي تمام، فقد ذكر ابن رشيق أن أحد المستمعين لأبي تمام قال : «ما صنعت شيئاً، شبهت ابن أمير المؤمنين وولي عهد المسلمين بصعاليك العرب، ومَنْ هؤلاء الذين ذكرت ؟ وما قدرهم ؟ »[٧].

ويقول ابن سناء الملك مخاطباً ممدوحه ومفتخراً بشعره :

فخذها فقد جاءتك من متأخرٍ ... مجيد وليس الفضل للمتقدم[٨]

---

(١) ديوان النابغة الذبياني : ص٤٧.

(٢) النكت العصرية : ص٢٣٧.

(٣) ديوان أبي تمام : ٢ : ٢٤٩.

(٤) ديوان عماد الأصفهاني: ص٤١٨.

(٥) هو أبو علي بن سعيد بن عبد الله، توفي سنة ٥٩٩هـ.
ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: د. إحسان عباس، دار صادر– بيروت، سنة ١٩٧٨م :١: ١٧٥.

(٦) أبو شامة المقدسي : الروضتين في أخبار الدولتين : النورية والصلاحية، ج١ تحقيق محمد حلمي أحمد، لجنة التأليف والترجمة – القاهرة سنة ١٩٥٦م، ١٩٦٢م : ١ : ٢ : ٤٤٦.

(٧) العمدة : ١ : ٣٥٥.

(٨) ديوان ابن سناء الملك : ص٢٨٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد استوحى هذا البيت من قول أبي العلاء المعري :

وإني وإن كنت الأخير زمانه لآتٍ بما لم تستطعه الأوائل[١]

فالمعنيان متشابهان، فكلا الشاعرين يفتخر بقدرته على قول الشعر، ويؤكد أحقيته في حمل لواء الشعراء.

ويستمد ابن سناء الملك قوله في القاضي الفاضل:

وصبت إليه وزارةً ألقت إليه زمامها[٢]

من قول أبي العتاهية في تهنئة المهدي بالخلافة :

أتته الخلافة منقادةً إليه تجرر أذيالها[٣]

كما أخذ هذه الصورة فتيان الشاغوري في قوله مادحاً :

أتته الولايات منقادةً وفي داره قيل يؤتى الحكم[٤]

ومن الملاحظ أن الشاغوري أخذ صدر بيت أبي العتاهية من غير أن يغير فيه شيئاً، أما ابن سناء الملك فقد كسا معنى أبي العتاهية وصورته ألفاظاً أخرى.

ويصف فتيان الشاغوري ممدوحه فيقول :

محي بجوده الكرم مازال قتال العدم [٥]

ويقول ابن الساعاتي :

إباءً كما أفنى العدى أوجد الهدى وجود كما أحيا الغنى قتل العدما[٦]

وكلا البيتين منتزع من قول ابن المعتز :

جمع الحق لنا في إمام قتل البخل وأحيا السماحا[٧]

ولم يكتف شعراء الجهاد في هذا العصر بالأخذ من معاني من سبقهم من الشعراء، فقد استفاد بعضهم من الخطب المشهورة كخطبة الحجاج بن يوسف

---

(١) سقط الزند : ص١٩٣.
(٢) ديوان ابن سناء الملك : ص٢٨٧.
(٣) ديوان أبي العتاهية، دار صادر- بيروت، سنة ١٩٨٠م : ص٣٧٥.
(٤) ديوان فتيان الشاغوري : ص٤٤٦.
(٥) المصدر نفسه : ص٤٠٣.
(٦) ديوان ابن الساعاتي : ٢ : ٣٨٧.
(٧) ديوان ابن المعتز، دار صادر – بيروت، سنة ١٩٦١م : ص١٤١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الثقفي ولاسيما من قوله : «إني لأرى رؤوساً قد أينعت، وحان قطافها، وإني لصاحبها»[١] .

ومن الشعراء الذين استحضروا هذه العبارة في شعرهم ابن الخياط إذ يقول محرضاً المسلمين على جهاد الصليبيين :

فقد أينعت أرؤس المشركيـــن فلا تغفلوها قطافاً وحصـــــدا [٢]

ويقول ابن الساعاتي مادحاً :

من إذا أينعت رؤوس الأعـــادي حيث سمر القنا نجوم قـــذاف

حاز معنى سميّه فجناح النّجح ضافي قـــــوادمٍ وخوافـــــي[٣]

أما الشاب الظريف[٤] فقد تأثر ببيت سحيم الرياحي[٥] الذي استشهد به الحجاج في خطبته :

أنا ابن جلا وطلاع الثنايـــــا إذا أضع العمامة تعرفونـــي[٦]

ويقول الشاب الظريف مادحاً :

وإنك ابن جلا لكن عرفت فـــلا تلق العمامة أنّى يجهل القمـر[٧]

ويقول مضمنا صدر بيت سحيم :

وأنشد ثغره يبغي افتخـــــاراً أنا ابن جلا وطلاع الثنايـــــا[٨]

ويعتبر التضمين من أبرز مظاهر تأثر شعراء الجهاد في عصر الحروب الصليبية بالشعراء السابقين، فقد أكثر الشعراء من أخذ أنصاف أبيات أو أبيات كاملة من شعر من سبقهم، ومن ذلك قول عمارة اليمني يصف مجلس الملك الصالح طلائع بن رزيك وقد تأخر القاضي أبو المعالي السعدي عن الحضور :

---

(١) الطبري : تاريخ الطبري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف – القاهرة، ط٤، ١٩٧٩م : ٦ : ٢٠٣.

(٢) ديوان ابن الخياط : ص١٨٥.

(٣) ديوان ابن الساعاتي : ٢ : ١٨٤.

(٤) شمس الدين محمد بن عفيف الدين سليمان التلمساني، توفي سنة ٦٨٨هـ.
صلاح الدين الصفدي : الوافي بالوفيات، المطبعة الهاشمية – دمشق سنة ١٩٥٣م : ٣ : ١٣٠.

(٥) هو سحيم بن وثيل أحل بني حميري، شاعر مخضرم.
عبد القادر البغدادي : خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، الهيئة المصرية العامة للكتاب ط٢ سنة ١٩٧٩م : ١ : ٢٥٥.

(٦) الأصمعي : الأصمعيات، تحقيق وشرح : أحمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف، مصر ط٣ : ص٣.

(٧) ديوان الشاب الظريف، تحقيق : شاكر شكر، مكتبة النهضة العربية – بيروت، ط١، سنة ١٩٨٥م : ص١٠٩.

(٨) المصدر نفسه : ص٢٤١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأظلم جوّ الفضل إذ غاب بدره وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر[١]

فقد ضمن الشطر الثاني قول أبي فراس الحمداني :

سيذكرني قومي إذا جد جدهم وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر[٢]

ويقول عمارة اليمني مادحاً :

آثار سيفك أحلى من روايتنا والسّيف أصدق أنباء من الكتب[٣]

فمن الواضح أنه أخذ صدر بيت أبي تمام المشهور[٤]، كما أخذه شرف الدين الأنصاري وضمنه شعره في أكثر من موضع[٥].

وينقل شرف الدين الأنصاري قول عمر بن أبي ربيعة :

قلن : أتعرفن الفتى؟ قلن : نعم قد عرفناه، وهل يخفى القمر؟ [٦]

من الغزل إلى المدح، فيقول في مدح الملك المظفر الثاني[٧] :

يخفي ضياء الشمس نقع خميسه وتنير غرّته، وهل يخفى القمر؟ [٨]

وينتزع ابن سناء الملك قوله في مدح القاضي الفاضل :

يغضي حيـــاءً ويغضى من مهابته فما يكلم إجلالاً إذا ابتسمـــا [٩]

من قول الفرزدق في مدح زين العابدين :

يغضي حياءً ويغضى من مهابتـه فما يكلّم إلاّ حين يبتســـم [١٠]

فقد أخذ ابن سناء الملك صدر البيت من غير أن يتصرف فيه، ولكنه خالف الفرزدق في عجزه، فممدوحه إذا ابتسم فإنه لا يكلم الناس إجلالاً وإكباراً. أما ممدوح الفرزدق فإن عطاءه يزداد حينما يبتسم. ولعل قول الفرزدق أقرب إلى

---

(١) النكت العصرية : ص٢٥٣.

(٢) ديوان أبي فراس الحمداني، شرحه د. عمر الطباع، دار الأرقم – بيروت : ص١٣٣.

(٣) النكت العصرية : ص١٤٧.

(٤) ديوان أبي تمام : ١ : ٤٠.

(٥) ديوان شرف الدين الأنصاري : ص٨٦-٨٧، ٩٢.

(٦) ديوان عمر بن أبي ربيعة المخزومي، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة سنة ١٩٥٢م : ص١٤٣.

(٧) هو المظفر الثاني تقي الدين محمود بن المنصور الأول، توفى سنة ٦٤٢هـ.
أبو الفدا : المختصر في تاريخ البشر : ٣ : ١٠٩.

(٨) ديوان شرف الدين الأنصاري : ص ٢٢٠.

(٩) ديوان ابن سناء الملك : ص٢٧٦.

(١٠) ديوان الفرزدق، دار صادر – بيروت سنة ١٩٦٠م : ٢ : ١٧٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

النفس الإنسانية، فمن طبيعة البشر أن الفرحة تحثهم على العطاء والعفو.

ويقول ابن سناء الملك مادحاً :

وكم قلعةٍ فوق السماء أساسها ... وعامرها أسلاف عاد وجرهـــم

رقى سلّماً للعزّ أوصله لهـــا ... فقد نال أسباب السّماء بسلّـــمِ[١]

وقد أخذ البيت الثاني من قول زهير بن أبي سلمى :

ومن هاب أسباب المنايا ينلنـــه ... وإن يرق أسباب السّماء بسلّم[٢]

ولكن ابن سناء نقل معنى أبي سلمى إلى المدح فجعل ممدوحه يرقى المجد بسلم.

وانتشرت ظاهرة المعارضات في الشعر الجهادي في هذا العصر، فقد نسج الشعراء بعض قصائدهم على منوال قصائد حربية سابقة «ولا شك أن المعارضة في الشعر تمثل إعجاباً بالشاعر الذي يعارضه شاعر من هذا العصر، كما تمثل إقراراً بتفوقه»[٣] وإلى جانب ذلك فإنها تبرز ثقافة المعارض وسعة اطلاعه على الموروث الأدبي.

وقد عارض غير شاعرٍ بائية أبي تمام المشهورة «السيف أصدق أنباءً من الكتب ...»، ومنهم ابن القيسراني[٤] في قصيدته التي مطلعها :

هذي العزائم لا ما تدّعي القضب ... وذي المكارم لا ما قالت الكتـــب[٥]

وعمارة اليمني، وأول قصيدته :

إذا قدرت على العلياء بالغلـــب ... فلا تعرّج على سعي ولا طلـــب[٦]

والعماد الأصفهاني في قصيدته التي بدأها بقوله :

بالجد أدركت ما أدركت لا اللعب ... كم راحة جنيت من دوحة التعب[٧]

---

(١) ديوان ابن سناء الملك : ص٦٨٤.

(٢) التبريزي : شرح القصائد العشر، تحقيق محمد محيي الدين، مكتبة صبيح – مصر، ط١ سنة ١٩٦٢م : ص١٦٥.

(٣) د. عبد الجليل عبد المهدي : بيت المقدس في أدب الحروب الصليبية : ص٢٩١.

(٤) انظر : د. محمود إبراهيم : صدى الغزو الصليبي في شعر ابن القيسراني : ص١٧٧.

(٥) شعر ابن القيسراني : ص٦٩.

(٦) النكت العصرية : ص١٦٤.

(٧) ديوان العماد الأصفهاني : ص٧٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد اتفقت هذه القصائد مع قصيدة أبي تمام في الموضوع والشكل، فمن حيث الموضوع فإن كل شاعر منهم مجد بطله ومدحه، وأبرز قوته وبطولته في المعركة، وصور جيشه، كما أظهر أثر النصر في نفوس المسلمين، ووصف هزيمة الأعداء وفرارهم من مواجهة المسلمين. أما من حيث الشكل فقد وافقت قصائد ابن القيسراني وعمارة والعماد بائية أبي تمام بالوزن والقافية والإسهاب في استخدام فنون البديع والاكثار من الصور الحركية. وإلى جانب ذلك كله هناك تشابه واضح في المطلع. ولإيضاح ذلك سنعرض لنقاط التشابه بين قصيدتي أبي تمام وابن القيسراني.

وأول ما يلحظه القارئ لهاتين القصيدتين أن مطلع ابن القيسراني يشابه مطلع قصيدة أبي تمام، فقد اعتد الشاعران في مطلعهما بالقوة، وكذّبا ما جاء به المنجمون، وما ورد في الكتب، وقد اتكأ ابن القيسراني على معاني أبي تمام وصوره وتشبيهاته، فقوله :

وهذه الهمم اللاتي متى خطبت　　تعثرت خلفها الأشعار والخطب

مأخوذ من قول أبي تمام :

فتح الفتوح تعالى أن يحيط به　　نظم من الشعر أو نثر من الخطب

فالمعنيان قريبان جداً من بعضهما؛ فابن القيسراني يؤكد أن من حق نور الدين زنكي على الشعراء والخطباء أن يسجلوا في إنتاجهم الأدبي انتصاراته وبطولاته. ويقرر أبو تمام أن الابداع الأدبي عاجز عن مجاراة انتصارات بطله في عمورية. واستمد ابن القيسراني قوله :

صافحت يا ابن عماد الدين ذروتها　　براحة للمساعي دونها تعب

من قول أبي تمام مخاطباً المعتصم :

بصرت بالراحة الكبرى فلم ترها　　تنال إلا على جسر من التعب

فكلاهما يقرر أن البطل المجاهد لا يستطيع تحقيق البطولة والانتصارات، والوصول إلى قمة المجد إلا بعد أن يقطع دروب الشقاء، ويهيء للأمة النصر، ويذل أعداءها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويسلخ ابن القيسراني قوله :

من كان يغزو بلاد الشرك مكتسبا من الملوك فنور الدين محتسب

من قول أبي تمام :

هيهات زعزعت الأرض الوقور به عن غزو محتسب لاغزو مكتسب

فالبطلان يحتسبان غزوهما عند الله، ولا يبغيان المكسب المادي.

ويلاحظ أن ابن القيسراني أخذ كثيراً من قوافي قصيدة أبي تمام، ومنها : «الخطب، وتعب، والشهب، والحقب، والصلب، وكثب، والكذب، والغضب، وجنب، ولهب، وغرب، والعرب، والحجب، وسلب، وسرب، وجرب، والذنب، والشنب، وحلب، والهرب، وأشب، والقضب» ولعل هذا يؤكد أن ابن القيسراني قد حاكى بائية أبي تمام عن وعي وقصد.

وعارض أسامة بن منقذ في قصيدته التي مطلعها :

أطاع الهوى من بعدهم وعصى الصبر فليس له نهيٌ عليه ولا أمر[1]

قصيدة أبي فراس الحمداني، وأولها :

أراك عصي الدمع شيمتك الصبر أما للهوى نهيٌ عليك ولا أمر[2]

وضمن أسامة قصيدته كثيراً من عبارات أبي فراس، وأخذ بعض عباراته من قصيدة لأبي صخر الهذلي[3]، فقول أسامة :

ومازال صرف الدهر يسعى بيننا «فلما انقضى ما بيننا سكن الدهر»

مستمد من قول أبي صخر :

عجبت لسعي الدهر بيني وبينها فلما انقضى ما بيننا سكن الدهر[4]

وضمن أسامة قوله :

فأذهل حتى لا أجيب مناديـــاً «وأبهت لاعرف لدي ولانكـــــر»

---

(١) ديوان أسامة بن منقذ : ص٧٢.

(٢) ديوان أبي فراس الحمداني : ص١٣٠.

(٣) هو عبد الله بن سلمة السهمي بن بني هذيل، شاعر أموي، تعصب لبني مروان.
انظر : أبو الفرج الأصفهاني : الأغاني، ط١ دار الهلال : ٥ : ١٨٥.

(٤) أبو تمام الطائي : ديوان الحماسة – شرح البتريزي، القاهرة سنة ١٩٢٣م : ٢ : ٦١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من قول أبي صخر :

وما هو إلا أن أراها فجـــاءة فأبهت لاعرف لـدي ولانكـــر

وصورة أسامة :

وروعة شوق تعتريني إليكـــم «وكما انتفض العصفور بلله القطر»

تحريف لصورة أبي صخر :

وإني لتعروني لذكراك هـــزة كما انتفض العصفور بلله القطـر

وقول أسامة :

فيا روعتي لا تسكني بعد بعدهم «ويا سلوة الأيام موعدك الحشر»

مضمن من قول أبي صخر :

فيا حبّها زدني جوى كلّ ليلة ويا سلوة الأيام موعدك الحشر

وقول أسامة :

أساكن أكناف العواصم دعوة «بفي برودا، وهي في كبدي جمر»

تضمين لقول المتنبي :

أريقك أم ماء الغمامة أم خمـــر بفي برودا وهو في كبدي جمـر[1]

وحاكى محيي الدين الشهرزوري في قصيدته التي أولها

ألموا بسفحي قاسيون فسلّموا على جدث بادي السنا وترحّموا [2]

قصيدة أبي فراس الحمداني، ومطلعها :

نفى النوم عن عيني خيال مسلّم تأوّب من أسماء والركب نـوّمُ [3]

وأخذ الشهرزوري كثيراً من معاني أبي فراس وصوره، كما ضمّن قصيدته أبياتاً وأشطراً من قصيدة الحمداني.

ومن المعارضات التي تسترعي الانتباه قصيدة أسامة بن منقذ التي مدح بها الملك الصالح طلائع بن رزيك، ومطلعها :

---

(١) ديوان أبي الطيب المتنبي، شرحه أبو العلاء المعري، المعروف بمعجز أحمد، تحقيق : د. عبد المجيد دياب، دار المعارف - القاهرة، ط٢ سنة ١٩٩٢م : ١ : ٢٢٧.

(٢) الخريدة - قسم الشام : ٢ : ٣٣٦.

(٣) ديوان أبي فراس الحمداني : ص٢٢٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أجيرة قلبي، إن تدانوا، وإن شطّوا ومنية نفسي أنصفوني أو اشتطوا[١]

وعارض بها قصيدة أبي العلاء المعري، ومطلعها :

لمن جيرة سيموا النوال فلم ينطوا يظللهم ما ظل ينبته الخط[٢]

وقد ردّ طلائع بن رزيك على أسامة بقصيدة استوحاها من قصيدة أبي العلاء، ومطلع قصيدة ابن رزيك :

هي البدر لكن الثريا لها قرط ومن أنجم الجوزاء في نحرها سمط[٣]

ثم عارض العماد الأصفهاني قصيدة المعري بقصيدة طويلة مدح بها صلاح الدين الأيوبي، وأولها :

عفا الله عنكم مالكم أيّها الرهط قسطتم ومن قلب المحب لكم قسط[٤]

وكذلك مدح ابن سناء الملك الملك الأفضل، نور الدين علي بن الملك الناصر، بقصيدة استمد كثيراً من معانيها وعباراتها من قصيدة أبي العلاء، وأول قصيدة ابن سناء الملك :

أريقك أم صهباء في الكأس اسفنط وثغرك أم درٌ تضمّنه السمط[٥]

أربع قصائد نسجت على منوال قصيدة أبي العلاء، وقد اتفقت هذه القصائد مع القصيدة المثال أو الأنموذج بالموضوع والشكل، فبدأت القصائد الخمسة بمقدمة غزلية رقيقة، ثم انتقل أصحابها بعد الغزل إلى المدح والتحريض على الجهاد، وتشابهت هذه القصائد بالمطلع والوزن والقافية. وقد ضمن أسامة وطلائع والعماد وابن سناء قصائدهم كثيراً من عبارات قصيدة المعري، كما

---

(١) ديوان أسامة بن منقذ : ص٧٧-٨٠ ، ١٧٤-١٧٥.

(٢) سقط الزند : ص١٧٧-١٨٣.

ينطون : يعطون لسان العرب : نطى.

(٣) ديوان أسامة بن منقذ : ص١٧٥-١٧٨.

(٤) ديوان العماد الأصفهاني : ص٢٧٦-٢٨٤.

قسطتم : ظلمتم. لسان العرب : قسط.

(٥) ديوان ابن سناء الملك : ص٢٥٥-٢٥٨.

اسفنط : ضرب من الأشربة، فارسي معرب. لسان العرب : سفط.

السمط : الخيط يسلك به الدر أو غيره. بسان العرب : سمط.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تأثروا بمعانيها وصورها وموسيقاها وتراكيبها، وأخذوا كثيراً من قوافيها.

الاهتمام بالمتنبي وديوانه زمن الحروب الصليبية

يعتبر أبو الطيب المتنبي قمة من قمم الشعر العربي، فقد شغل أهل الأدب والنقد على مر العصور، وخلّف أثراً عظيماً في الشعر والشعراء، وشعره منارة يهتدي بها أصحاب فن القول إلى ضالتهم، وقلده المداحون في كل عصر، واستمد ناظموا الحكم من حكمته وفلسفته الشيء الكثير، وارتد شعراء الحرب الذين جاؤوا من بعده بأبصارهم إلى قصائده الحربية، وأخذوا منها ما يناسبهم.

وأثّر شعر أبي الطيب بالشعر العربي في عصره وفي مَنْ جاء بعده، فمن عادة أهل الأدب الاقتداء والاتباع والمنافسة، فأبو فراس الحمداني وأكثر الشعراء الحمدانيين الذي ذكرهم الثعالبي كانوا ينسجون على آثار أبي الطيب، وهم الذين حسدوه، وتتبعوا أخطاءه وعثراته. وأما الذين أتوا بعده وتأثروا به فهم كثير، لو تجرد مؤلف لجاء لهم بكتاب كبير فيهم[١].

ولقي أبو الطيب المتنبي وديوانه زمن الحروب الصليبية عناية فائقة، وقد لاحظ ابن الأثير هذا الأمر أول ما قدم إلى مصر سنة ٥٩٦هـ، فقال : «رأيت الناس منكبين على شعر أبي الطيب المتنبي دون غيره، فسألت جماعة من أدبائها عن سبب ذلك، وقلت : إن كان لأن أبا الطيب دخل مصر فقد دخلها قبله مَنْ هو مقدم عليه، وهو أبو النواس الحسن بن هانىء، فلم يذكروا لي في ذلك شيئاً، ثم إني فاوضت عبد الرحيم البياسي في هذا، فقال : إن أبا الطيب ينطق عن خواطر الناس، ولقد صدق فيما قال»[٢].

ومن مظاهر العناية بالمتنبي وشعره زمن الحروب الصليبية اهتمام سلاطين الأيوبيين بشعر أبي الطيب، ومن ذلك ما رواه ابن الأثير من أن معركة دارت بين صلاح الدين الأيوبي والفرنج من بانياس سنة ٥٧٥هـ، وانتصر فيها

---

(١) د. زكي المحاسني : المتنبي، دار المعارف - مصر سنة ١٩٦١م : ص٥٨.

(٢) الوشي المرقوم في حل المنظوم، تحقيق : د. جميل سعيد، مطبعة المجمع العلمي العراقي، سنة ١٩٨٩م : ص٥٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المسلمون، وكان عز الدين فروخ شاه ابن أخي صلاح الدين ممن أبلى فيها بلاءً حسناً، وكان محباً للشعر الحربي، مدفوعاً به، فقد روي عنه أنه قال في تلك المعركة : ذكرت في تلك الحال بيتي المتنبي، وهما :

فان تك الدولات قسمـــا فإنّهـــا لمن ورد الموت الزؤام تدول

ومن هون الدنيا على النفس ساعةً وللبيض في هام الكماة صليل[١]

فهان الموت في عيني، فألفيت نفسي إليه»[٢].

وكان الملك الكامل الأيوبي من المحبين لشعر أبي الطيب، إذ يروي العكبري في شرحه لديوان المتنبي هذه الحادثة : «قال الشيخ أبو محمد عبد المنعم بن صالح النحوي عند قراءتي عليه (الملك الكامل) هذا الديوان، وقد وصلت إلى هذا البيت[٣]، سألني الملك الكامل، أبو المعالي محمد بن أبي بكر بن أيوب ملك الديار المصرية والشام والحرمين عن هذا البيت في قوله : «وطريقها عذراء». فقلت له : يريد أنها صعبة لم تسلك، فقال لي : هذا يدل على أن الممدوح لا يعرف، ولا له ذكر ولا نائل؛ لأن الطريق إليه عذراء لم تطرق، والممدوح إذا كان له عطاء وذكر، ويعرفه القصّاد كانت الطريق إليه لا تنقطع. ولقد أحسن في هذا النقد»[٤].

وعارض الشاعر الملك الصالح طلائع بن رزيك وزير الأيوبيين على مصر غير قصيدة للمتنبي[٥]. وتأثر تاج الملوك الأيوبي بأبي الطيب في كثير من شعره، وعارض كثيراً من قصائد المتنبي[٦] .

ولعل اهتمام أهل البلاط الأيوبي بشعر أبي الطيب من أهم الأسباب التي دفعت علماء اللغة والبلاغة والنقد للعناية بديوان المتنبي، فقد ألف عبد القادر

---

(١) ديوان أبي الطيب المتنبي :٣ : ٣٥٤.

(٢) الكامل في التاريخ، راجعه : د. محمد الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٧م : ١١ : ٢٠٦.

(٣) وهو : انساعها ممغوطة وخفافها منكوحة وطريقها عذراء.

(٤) ديوان أبي الطيب المتنبي، شرح أبي البقاء العكبري، دار المعرفة – بيروت : ١ : ١٧.

(٥) انظر : ديوان طلائع بن رزيك : ص١٣٥.

(٦) انظر : ديوان تاج الملوك الأيوبي : ص١٠٩، ٢٠٢، ٢٠٥، ٢٢٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الوأواء الحلبي[١] شرحاً لديوان أبي الطيب. ووضع تاج الدين الكندي[٢] حواشي على شرح الوأواء[٣]. كما شرحه أبو البقاء عبد الله بن الحسن العكبري النحوي المتوفى سنة ٦١٦هـ.

وألف ابن الحاجب النحوي[٤] أماليا[٥] في مجلد ضخم بعضها على آيات يوجه إعرابها فيما يشكل فيه الإعراب، وبعضها على أبيات مشكلة للمتنبي يوجه إعرابها وأحياناً يلم بنواحٍ معنوية، كشرح أو بيان جمال تعبير أو تخطئة للمتنبي[٦].

ووضع ابن الأثير كتاب مختارات اختار فيه من شعر أبي تمام والبحتري وديك الجن والمتنبي[٧]. كما صنف ابن هيجون[٨] كتاباً سماه «أخبار المتنبي». وجمع ياقوت الحموي أخبار المتنبي ووضعها في كتاب[٩].

وكان ديوان أبي الطيب المتنبي المثال العالي لأدباء زمن الحروب الصليبية وشعرائه، فقد تدارسوه، وحفظه بعضهم، يقول ابن خلكان في ترجمته

---

(١) هو : أبو الفرج عبد القادر بن عبد الله الملقب بالوأواء، ولد في حلب، ومات فيها سنة ٥٥١هـ.
عبد الرحمن السيوطي : بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، دار الفكر – ط٢ سنة ١٩٧٩م : ٢ : ٢٤٤.
حاجي خليفة : كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مكتبة الفيصلية – مكة المكرمة د.ت : ١ : ٨١٢، ٢ : ٣١١.

(٢) هو العلامة تاج الدين أبو اليمن زيد بن الحسن الكندي، ولد في بغداد سنة ٥٢٠هـ، ورحل إلى الديار المصرية سنة ٥٦٣هـ.
أبو شامة المقدسي : تراجم رجال القرنين السادس والسابع، المعروف بالذيل على الروضتين، دار الجيل – بيروت، ط٢ سنة ١٩٧٤م : ص٩٥.
عبد الرحمن السيوطي : بغية الوعاة : ١ : ٥٧٠-٥٧٢.

(٣) انظر : أبو شامة المقدسي : الذيل على الروضتين : ص٩٥.
حاجي خليفة : كشف الظنون : ١ : ٨١٢.

(٤) هو : عثمان بن عمر بن أبي بكر من علماء النحو المشهورين، ولد في مصر سنة ٥٧٠هـ، وتوفي سنة ٦٤٦هـ.
أبو شامة المقدسي : الذيل على الروضتين : ص١٨٢.
عبد الرحمن السيوطي : بغية الوعاة : ٢ : ١٣٤-١٣٥.

(٥) مخطوط بدار الكتب المصرية، رقم : ١٠٠٧ و ١٠٣٤ نحو.

(٦) د. أحمد بدوي : الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام، مكتبة نهضة مصر : ص٢٠٨.

(٧) ابن خلكان : وفيات الأعيان : ٢ : ١٥٨.

(٨) هو : البلطي عثمان بن عيسى بن هيجون الأديب النحوي، المتوفي سنة ٥٩٩هـ.
ياقوت الحموي: معجم الأدباء، تحقيق : د. إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١ ١٩٩٣م : ٤ : ١٦١٠-١٦٢١.
ابن شاكر : فوات الوفيات، تحقيق : د. إحسان عباس، دار صادر – بيروت، سنة ١٩٧٤م : ٢ : ٤٤٣-٤٤٧.

(٩) ابن خلكان : وفيات الأعيان : ٢ : ٢٩٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

للأديب البياسي الحافظ : «بلغني أنه كان يحفظ كلام الحماسة تأليف أبي تمام، وديوان أبي الطيب، وسقط الزند ديوان أبي العلاء المعري»[١].

وقد وجدت مجموعة من العوامل -بالإضافة إلى العوامل السابقة- دفعت شعراء العصر للتأثر بأبي الطيب واتباع أسلوبه، ومن هذه العوامل إعجاب شعراء زمن الحروب الصليبية بشخصية المتنبي وعبقريته، فقد كان لشخصية أبي الطيب أثر عظيم في تتبع شعراء هذا العصر لشعره، واحتذائهم حذوه، ولا غرابة في ذلك، فقد برز المتنبي من بين شعراء عصره، وعده حازم القرطاجني الطراز الأعلى الذي يجب أن يؤتم به[٢]. وكان يُنْظَر للمتنبي في ذلك العصر -كما يرى بلا شير- بوصفه شاعراً عظيماً[٣].

ويعتبر واقع العصر الذي عاشه المسلمون زمن الحروب الصليبية أهم الأسباب التي جعلت الشعراء يرتدون بأبصارهم إلى شعر المتنبي، وينظرون إليه نظرة تقديس، وإجلال وإكبار، فأخذوا ينهلون من معانيه وصوره وتراكيبه، فقد ظهر المتنبي وصراع المسلمين مع الروم على أشده، مما جعله يبدع في الشعر الحربي أفضل إبداعاته، حتى أن ابن الأثير قدمه على أبي تمام وأبي فراس والبحتري في تصوير مواقف القتال، إذ يقول : «واختص بالإبداع في مواقف القتال، وأنا أقول قولاً لست متأثماً، ولا منه متلثماً وذلك أنه إذا خاض في وصف معركة كان لسانه أمضى من نصالها، وأشجع من أبطالها. وقامت أقواله للسامع مقام أفعالها حتى تظن الفريقين قد تقابلا، والسلاحين قد تواصلا، فطريقه في ذلك تضلّ بسالكه وتقوم بعذر تاركه، ولا شك أنه كان يشهد الحروب مع سيف الدولة، فيصف لسانه ما أدى إليه عيانه»[٤].

---

(١) ابن خلكان : ٥ : ٩٦.

(٢) منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تقديم وتحقيق : محمد الحبيب بن الخوجة، دار الكتب الشرقية – تونس ١٩٦٦م : ص٨٨، ٢٩٣، ٣٠١، ٣٦٣.

(٣) أبو الطيب المتنبي – دراسة في التاريخ الأدبي، ترجمة : إبراهيم الكيلاني، دار الفكر – دمشق، ط٢ سنة ١٩٨٥م : ص٤٠١.

(٤) المثل السائر : ١ : ١٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فقد واكب المتنبي وقائع سيف الدولة مع الروم، وصور أحداثها في شعره، وعايش شعراء مصر وبلاد الشام في القرنين السادس والسابع الهجريين أحداث الحروب الصليبية، فصوروا في شعرهم الوقائع والمعارك التي عايشوها، وكان أبو الطيب بوصفه شاعر حرب مثالهم الأعلى في وصف المعارك والجيوش، فعمدوا إلى شعره، وأخذوا من معانيه تارة، وحاكوها تارة أخرى، وسلخوا كثيراً من ألفاظه وعباراته، كما حاكوا كثيراً من صوره الشعرية، واحتذوا حذوه في بناء القصيدة الحربية.

ويضاف إلى هذه العوامل أن أبا الطيب كان أقرب عهداً من غيره من شعراء الحرب إلى شعراء زمن الحروب الصليبية، كما أن إقامته في كنف سيف الدولة في حلب جعل شعره ألصق ببيئة بلاد الشام ومصر، فسيفياته التي تمثل معظم شعره الحربي قالها وهو بجوار سيف الدولة، وارتباط شعره ببيئة الشام جعل شعره أقرب إلى نفسية شعراء الحروب الصليبية، فمن يحاول أن يتتبع أماكن الصراع في شعر أبي الطيب، يجد أنّها قد ذكرت من قبل في شعر أبي الطيب، وأدى ذلك إلى تشابه الصور المكانية بين شعر الحروب الصليبية وشعر المتنبي.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثاني

أثر شعر المتنبي في الشعر زمن الحروب الصليبية من حيث المحتوى

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

* صورة البطل

سطع نجم المتنبي في فترة مضطربة من حياة الدولة العربية الإسلامية، وعاش في عصر امتزجت فيه العناصر الأجنبية بالأمة العربية، وأخذت تزاحم العرب في مكانتهم، وتغلغلت في السلطة، وسلبت الخليفة الإرادة والإدارة. وفي هذه الظروف أخذ المتنبي يبحث عن بطل يضع حداً لتمزق أمته وتسلط غير العرب على العرب، ووجد ضالته -أول الأمر- بأبي الحسين بدر بن عمار الذي كان يتولى إمارة الجيش في طبرية، فأقام المتنبي بجواره أربع سنوات، مدحه خلالها بأنفس القصائد. ثم رحل إلى حلب، ونزل عند سيف الدولة، ووجد فيه البطل المثال، ورسم له أبو الطيب في شعره صورة بديعة، وصف فيها مبادئه وأخلاقه، وصور فيها معاركه ضد الروم والخارجين عليه، ووصف انتصاراته وانتكاساته.

وبعد أقل من قرنين يعيد التاريخ نفسه، فقد تعرضت الديار المقدسة لحملات صليبية حاقدة، واشتدت المحنة على المسلمين، وعاد الصراع بين الروم والمسلمين ليحصد الأرواح، ويمزق البلاد إرباً، واتصلت هذه الأحداث بحياة الأمة كلها، وشغلت الناس جميعهم، فشاركوا فيها بجهودهم وعواطفهم، وترقبوا على قلق نتائجها. وأخذت طائفة من الشعراء في هذا العصر تبحث عن قائد تجسد فيه قيم البطولة العربية الإسلامية، وتدفعه لصد حملات الفرنج على الإسلام.

وما كاد عماد الدين زنكي يحمل لواء الجهاد حتى التف حوله ابن منير الطرابلسي وابن القيسراني، وابن قسيم الحموي، فتغنوا ببطولاته. ثم توارثهم ابنه نور الدين زنكي، وانضم إليهم أسامة بن منقذ، وابن الدهان الموصلي، والعماد الأصفهاني في الشام، وفي مصر ظهر المهذب بن الزبير، وطلائع بن رزيك. وحظي البطل صلاح الدين الأيوبي باهتمام عدد كبير من الشعراء، منهم : العماد الأصفهاني، وعبد المنعم الجلياني، وابن سناء الملك، وابن الساعاتي،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفتيان الشاغوري، وابن قلاقس[1] والأسعد بن المماتي[2]. كما وجد آخر أبطال الحروب الصليبية الأشرف خليل بن قلاوون من يصور بطولته كشهاب الدين محمود، وبدر الدين المنيجي.

وهكذا يجد المرء نفسه أمام مرحلتين زمنيتين متقاربتين ومتشابهتين في الوقائع والأحداث، وكان لشاعر بطل المرحلة الأولى أثر بارز في الشعراء الذين مجدوا قادة المرحلة الثانية. واستطاع شعراء عصر الحروب الصليبية أن يرسموا صورة لأبطالهم تماثل صورة بطل المتنبي.

وتعتبر العزيمة من أهم مقومات البطولة وقيمها، فبها يثبت جنان البطل، وهي التي تمده بالقدرة على الثبات والصبر، وتزوده بالشجاعة والإقدام، فتصغر أمامه عظائم الأمور، يقول ابن القيسراني :

هذي العزائم لا ما تدّعي القضب وذي المكارم لا ما قالت الكتب[3]

ويقول طلائع بن رزيك :

ألا هكذا في الله تمضي العزائم وتمضي لدى الحرب السّيوف الصّوارم[4]

ويمجد الشاعر عبد المنعم الجلياني بطله صلاح الدين بقصيدة مطلعها :

العزم ينفذ ليس البيض والسّمر تلك العزيمة منها هذه الأثر[5]

وقد حاكوا في مطالع قصائدهم مطلع ميمية أبي الطيب المشهورة وقد بين فيه أثر العزيمة في البطل :

على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم

وتعظم في عين الصغير صغارها وتصغر في عين العظيم العظائم[6]

---

(١) هو الأعز أبو الفتوح نصر بن عبد الله بن علي بن الأزهري السكندري المتوفى سنة ٥٦٧هـ.
وفيات الأعيان : ٢ : ٢٣١.

(٢) هو أبو المكارم أسعد بن الخطير بن مهذب بن زكريا بن مماتي المتوفى سنة ٦٠٦هـ.
وفيات الأعيان : ١ : ٩٥.

(٣) شعر ابن القيسراني : ص٦٩.

(٤) ديوان طلائع بن رزيك : ص ١٣٥.

(٥) ديوان المبشرات والقدسيات : ص١٢٦. انظر أيضاً : ص ١٤٧، ١٦٨.

(٦) ديوان أبي الطيب المتنبي، شرحه أبو العلاء المعري المعروف بمعجز أحمد، تحقيق : د. عبد المجيد دياب، دار المعارف – القاهرة، ط٢ سنة ١٩٩٢م : ٣ : ٤٢٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويلاحظ تأثر ابن القيسراني وابن رزيك والجلياني بمطلع قصيدة المتنبي، فقد أخذوا بعض مفرداته : «العزائم، المكارم»، وسلخ ابن رزيك قوله «تمضي العزائم» من قول المتنبي «تأتي العزائم» ...

ويقول عمارة اليمني متأثراً بمعنى المتنبي :

ولا تجعلوا مقصودكم طلب الغنى فتجنوا على مجد المقام وفخره

ولكن سلوا منه العلى تظفروا بها فكل امرئ يرجى على قدر قدره [١]

فقوله «فكل امرىء يرجى على قدر قدره» إيجاز لبيتي المتنبي السابقين، فشجاعة كل إنسان على قدر همته ومنزلته، فإن كان عظيم القدر علت مكانته، وإن كان قليل القدر قلّ مجده وضعفت عزيمته.

والعزيمة تبعث الهمة، وتقرب البعيد، يقول البوصيري مادحاً المنصور قلاوون :

أخو عزمات فالبعيد من العلا لديه قريب والعسير يسير

تكاد إذا ما أبرمت عزماته لها الأرض تطوى والجبال تسير[٢]

وقدّ استوحى هذا المعنى من قول أبي الطيب في سيف الدولة :

مثل الأمير بغى أمراً فقرّ به طول الرماح وأيدي الخيل والإبل

وعزمة بعثتها همةٌ زحلٌ من تحتها بمكان الترب من زحل[٣]

فعزيمة بطل البوصيري تقرب له البعيد، وتذلل له الصعاب، ولشدة عزيمته تخضع الأرض/وتطيعه الجبال، أما بطل المتنبي فعزيمته تقرب له مرامه، ويصبح زحل تحت همته بمكان التراب من زحل.

ويصور شعراء الحروب الصليبية أبطالهم أصحاب رأي قوي، وعقل راجح،

---

(١) النكت العصرية : ص٣٦.

انظر : الخريدة – الشام : ١ : ٢٣٤. الخريدة – مصر : ٢ : ١٤٥، ٢٣٢.

ديوان العماد الأصفهاني : ٢٦٥، ٤٢٦. ديوان ابن الساعاتي : ٢ : ٣٥٢.

ديوان ظافر الحداد، تحقيق : د. حسن نصار، مكتبة مصر سنة ١٩٦٩م : ص٢٧٧.

ديوان الشاب الظريف : ص٢٨.

(٢) ديوان البوصيري، تحقيق : محمد سيد كيلاني، مطبعة الحلبي – مصر ، ط٢ سنة ١٩٧٣م : ص١٤٧.

(٣) ديوان أبي الطيب المتنبي : ٣ : ٧١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتفكير حصيف، وذكاء فذ، يقول ابن منير الطرابلسي :

مظفر الرّايات والـــرّأي إذا (م) الحرب مشت تعثر في خطامهـــا[١]

ويقول ابن القيسراني :

مصيب سهام الرّأي لوأنّ عزمـــه رمى سد ذي القرنين أصمى سداده[٢]

ويقول العماد الأصفهاني :

موفّق الرّأي، ماضي العزم مرتفع على الأعاجم مجداً والأعاريـــب[٣]

وقد استمدوا هذه المعاني من قول المتنبي :

ما كان نومي إلا فوق معرفتـي بأنّ رأيك لا يؤتى من الزّلـل

وقوله :

ولكن تفوق الناس رأياً وحمكة كما فقتهم حالاً ونفساً ومحتداً

وقوله :

أرادوا أن يديروا الرأي فيهـا فصبّحهم بـــرأي لا يـــدار[٤]

ويؤكد أبو الطيب المتنبي أن الرأي السديد مقدم على الشجاعة، فالشجعان يحتاجون إلى الرأي أولاً ثم إلى الشجاعة، وقد يغني الرأي عن الشجاعة، ويوصل صاحبه إلى الإيقاع بالأعداء والتنكيل بهم من غير قتال أو حرب، ويقول :

الرّأي قبل شجاعة الشجعـان هو أول وهي المحل الثّاني

فإذا هما اجتمعا لنفس مـرّة بلغت من العلياء كلّ مكـان

ولربّما طعن الفتى أقرانـــه بالرّأي قبل تطاعن الأقـران

لولا العقول لكان أدنى ضيغم أدنى إلى شرفٍ من الإنسان [٥]

---

(١) ديوان ابن منير الطرابلسي : ص٢٣٥.

(٢) شعر ابن القيسراني : ص١٤٩.
سد ذي القرنين : في بلاد الترك، بناه ذو القرنين من الحديد والنحاس المذابين على يأجوج ومأجوج.
معجم البلدان : ٢ : ٣٦٧.
أصمى : أصاب بسرعة. لسان العرب : صمما.
السداد : الصواب من القول والفعل . لسان العرب : سدد.

(٣) ديوان العماد الأصفهاني : ص٨٣. انظر أيضاً : ص٢٦٥، ٢٦٦، ٢٨٨.
انظر : ديوان ابن الدهان : ص٤١. ديوان ظافر الحداد : ص ٨٠، ١٠٩.
ديوان المبشرات والقدسيات : ص١٢٥. ديوان فتيان الشاغوري : ص٣٦٥، ٤٧٦، ٤٩٠.

(٤) ديوان أبي الطيب المتنبي : ٣ : ٢٨٠، ٣٨٢، ٤٧٥.

(٥) المصدر نفسه : ٣ : ٥٢٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأخذ العماد الأصفهاني هذا المعنى، وضمن شعره صدر مطلع قصيدة المتنبي، يقول مادحاً نور الدين زنكي، وقد انتصر على الفرنج بالرعب سنة ٥٦٨هـ [١] :

وجلوت، نور الدّين، ظلمة كفرهم لما صدعت بواضح البرهان

وهزمتهم بالرّأي قبل لقائهم والرأي قبل شجاعة الشجعان [٢]

ومن مستلزمات الرأي الصائب الفصاحة في القول، فلا يعقل أن يكون البطل صاحب رأي ومشورة ويعجز عن التعبير عما يدور في عقله، يقول فتيان الشاغوري :

وإذا تحدث غير محتفل بما يبدي أرانا في الفصاحة يعربا [٣]

ويقول المتنبي واصفاً فصاحة بطله :

وميدان الفصاحة والقوافي وممتحن الفوارس والخيول [٤]

وتغنى الشعراء زمن الحروب الصليبية بشجاعة أبطالهم وفروسيتهم، ولم تختلف صفات البطولة والفروسية التي وصفوا بها قادتهم عن الصفات التي اتصف بها بطل المتنبي، فالبطل أسد هصور، وصقر جارح، وبحر زاخر، وسيف قاطع ... ومع ذلك فإن المتتبع لصورة البطل المجاهد في هذا العصر يجدها تشابه إلى حد كبير صورة البطل عند أبي الطيب، فهو يتقدم الجيش اللهام غير آبهٍ بكثرة الأعداء، وهو وحده جحفل جرار، يقول ابن منير الطرابلسي :

إن سار سار وقد تقدّم جيشه رجف يقصّع في اللّها دعارها [٥]

ويقول عمارة اليمني :

تلقاه أوّل فارس إن أقدمت خيلٌ وأوّل راجلٍ في العسكر [٦]

---

(١) الروضتين : ١ : ١ : ٥٢٨.

(٢) ديوان العماد الأصفهاني : ص٤١٣.

(٣) ديوان فتيان الشاغوري : ص٣٥.

(٤) ديوان أبي الطيب المتنبي : ٣ : ٢٨٩.

(٥) ديوان ابن منير الطرابلسي : ص٢١٧ انظر أيضاً : ص٢٧١.
اللها : جمع لهو، وهو ما يلقيه الطاحن في فم الرحى بيده. لسان العرب : لهو.

(٦) النكت العصرية : ص٨٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويقول شرف الدين الأنصاري :

أغناك عن فتكات جيشك فيهم جيش كثرت به العديد الأكثـــرا
غرّرت حتّى ظنّ أنّك موقـــن أنّ الحتوف تحيد عمّن غـــرّرا
صادمتهم طوداً ورعتهـــم ردى ومضيت صمصاماً وصلت غضنفرا[1]

وتأثر ابن منير وعمارة والأنصاري في وصفهم لأبطالهم بقول المتنبي :

فلما رأوه وحده قبل جيشـــه دروا أن كلّ العالمين فضـــول[2]

وانتزع الأنصاري البيت الثاني من قول أبي الطيب :

وأنّ رماح الخطّ عنه قصيـرة وأنّ حديد الهند عنه كليـــل[3]

والبطل صاحب دراية بالحرب، وعارف فنونها، ومن كثرة قتاله للأعداء كاد أن يكون أخاً للحرب، يقول ابن منير الطرابلسي واصفاً عماد الدين زنكي :

أخو الحرب غذّته القراع مفطّمـــاً يشوب بإقدام الفتى حنكة الكهـل[4]

ويقول ابن الدهان مادحاً الملك الصالح طلائع بن رزيك :

أخو الحرب ربّ المكرمات أبو الندى حليف العلى صبٌّ إلى العرف تائق[5]

وهذه الصفة مستمدة من قول المتنبي في سيف الدولة :

أخو الحرب، يخدم ممّا سبـــى قناه، ويخلع ممّـــا سلـــب[6]

وأخذ ابن منير وابن رزيك عن المتنبي جعله الحرب أخاً للبطل، يحبها كما يحب الأخ أخاه، ونشأ في ظلالها كما ينشأ الأخ مع أخيه. ولم يكتف ابن منير بالتأثر بأبي الطيب، فقد بث الحياة فيما أخذه، فشخص القراع، وجعل بطله يتغذى على القتال، كما جعله خبيراً بأساليب الحرب وخدعها، فصار كإنسان كهل، أكسبه طول العمر وكثرة التجارب الحكمة والحلم.

---

(١) ديوان فتيان الشاغوري : ص٢١٧، انظر أيضاً : ص٤٠٦.
كثرت : يقال كثر الرجل : غلبة في الكثرة، أي كان أكثر منه. لسان العرب : كثر .
انظر : شعر ابن القيسراني : ص١٥٧، ١٥٨، ١٩٤. ديوان ابن سناء الملك : ص١٢٠.
(٢) ديوان أبي الطيب المتنبي : ٣ : ٣٤٧.
(٣) المصدر نفسه : ٣ : ٣٤٨.
(٤) ديوان ابن منير الطرابلسي : ص١٩٧، انظر أيضاً : ص٢١٨.
(٥) ديوان ابن الدهان : ص٢٢٨. انظر: ديوان ابن الساعاتي : ١ : ١٣٠.
(٦) ديوان أبي الطيب المتنبي : ٣ : ٥٩٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولا شكّ أنّ قيم البطولة التي تغنّى بها شعراء الحروب الصليبية هي قيم عربية أصيلة، تغنى بها من سبقهم من شعراء العربية في عصور الأدب العربي المختلفة، ولكن شعراء الحروب الصليبية أخذوا كثيراً من مفرداتهم وعباراتهم وصورهم من شعر أبي الطيب الذي صور فيه قيم البطولة العربية كما هو واضح في النماذج المختارة.

وصور شعراء الجهاد في عصر الحروب الصليبية أبطال المسلمين فرحين بلقاء العدو، لا يهابون الحرب، ويسعون إليها وهم يضحكون، يقول أسامة بن منقذ مادحاً طلائع بن رزيك :

يستقبل الحرب بسّاماً وقد كشرت بها المنيّة عن أنيابها الأرم [١]

ويقول ابن سَناء الملك واصفاً صلاح الدين :

يرى جذلاً في حومة الحرب ضاحكاً فلا القلب منحوب ولا الوجه معبس[٢]

وحاكى أسامة وابن سناء في ذلك قول أبي الطيب في سيف الدولة :

وقفت وما في الموت شكّ لواقف كأنّك في جفن الردّى وهو نائم

تمرّ بك الأبطال كلمى هزيمة ووجهك وضّاح وثغرك باسم [٣]

ولكنهما قصرا؛ فالمتنبي جعل بطله محاطاً بالموت من كل جانب، ولكن الردى كان غافلاً عنه مع أن سيف الدولة كان مقيماً في جفنه، وهو في هذا الموقع يتبسم وفرسان الأعداء يمرون من أمامه منهزمين، مجروحين، عابسي الوجوه، ويتلألأ وجهه لينير الظلام الذي خلفه العجاج. وقد أخذ أسامة وابن سناء وغيرهما من شعراء العصر[٤] جزءاً من هذه الصورة، فاقتصروا على ملاقاة البطل للعدو وهو يبتسم، فجاءت صورهم قاصرة عن صورة أبي الطيب. ولكن أسامة كان أكثرهم فهما لصورة المتنبي فقد جمع بين الفرحة بلقاء العدو والموت الذي

---

(١) ديوان أسامة بن منقذ : ص١٩٥.

(٢) ديوان ابن سناء الملك : ص١٧٤.

(٣) ديوان أبي الطيب المتنبي : ٣ : ٤٢٨.

(٤) انظر : شعر ابن القيسراني : ص٣٧٥. الخريدة – مصر : ٢ :٧١.
ديوان ابن عنين : ص١٣. ديوان البوصيري : ص٥٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يكمن في الحرب، ومع هذا فإنه لم يبلغ بصورته ما بلغه المتنبي.

وكذلك شبه شعراء هذا العصر أبطالهم وهم في ساحة الوغى بالبدر الساطع الذي ينير مثار النقع، يقول ابن منير الطرابلسي :

بدر الجحافل والمحافل فارس الآ ساد في غاب الوشيج الأسمر[١]

وهذا البيت يشبه قول أبي الطيب :

أنت لعمري البدر المنير ولكنّك (م) في حومة الوغى زحل[٢]

وجعل أبو الطيب ممدوحه بدراً ينير الدنيا، ولكنه في الحرب يتحول إلى زحل على أعدائه، ويصير ظلمة عليهم ونحساً لهم. وقد أخذ فتيان الشاغوري في قوله :

هو الملك عند السلم حلو مذاقه ولكنّه في حومة الحرب باسل[٣]

عجز بيت المتنبي، وغير فيه تغييراً خفيفاً حيث استبدل كلمة باسل بكلمة زحل، ولكنه أفقد الصورة جمالها ورونقها.

ويصور ابن منير نور الدين زنكي عاشقاً يفتش عن أحبابه في الوغى، فيعانقهم معانقة العاشق لمعشوقته، يقول :

وتهشّ إن كبت الوجوه كأنّما أعداؤه تحت الوغى أحبابه[٤]

ويقول فتيان الشاغوري :

كأنّما أعداؤه أحبّة يشتاق في الحرب إلى اعتناقها[٥]

وقد استوحى الشاعران هذه الصورة من قول المتنبي :

يا أخت معتنق الفوارس في الوغى لأخوك ثم أرقّ منك وأرحم[٦]

ومع هذا فإن البطل أسد يفترس أعداءه قبل أن يفترسوه، يقول ابن منير

---

(١) ديوان ابن منير الطرابلسي : ص٢٣٠.
انظر : شعر ابن القيسراني : ص٦٠. ديوان ابن قسيم الحموي : ص١٠٤.
(٢) ديوان أبي الطيب المتنبي : ٢ : ١٣٥.
(٣) ديوان فتيان الشاغوري : ص٣١٧.
(٤) ديوان ابن منير الطرابلسي : ص٢٤٧.
(٥) الخريدة – قسم الشام : ١ : ٢٥١.
(٦) ديوان أبي الطيب المتنبي : ٢ : ٤٥٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الطرابلسي مهنئاً نور الدين زنكي بفتح أنطرسوس سنة ٥٤٧هـ:

أسدٌ، فرائسه الفوارس، والظبا أظفاره والسّمهريّة غابُـــهُ

طبع الحديد فكان منه جنانـــه وسنانه وإهابه وثيابـــــه [١]

وحاكى ابن منير في هذه الصورة قول المتنبي :

أسْدٌ فرائسها الأسود يقودهـــا أسد يصير له الأسود ثعالبـا [٢]

ولكن صورة المتنبي أكثر دقة، فقد جعل أعداء بطله أسوداً ولكنهم يصيرون في ساحة الوغى ثعالب لا يقدرون على الثبات أمام الممدوح.

وبطل ابن منير يفترس الأعداء ويقتات عليهم :

نبذوا السلاح لضيغم عاداتـــه فرس الفوارس والقنا غاباته [٣]

وهذا البيت مستمد من قول أبي الطيب في سيف الدولة :

في خميس من الأسود بئيسٍ يفترسن النّفوس والأمـــوالا [٤]

أما قول ابن منير في نور الدين وقد فتح عزاز وظفر بصاحبها جوسلين سنة ٥٤٥هـ :

تجلى لها حيـــدري المصـــا ع أغلب مـــود بغلابهـــــا

مورث أركاسهـــا مـــــن أبٍ أكول الفوارس شرّابهـــا [٥]

فهو أشبه ما يكون بقول المتنبي في سيف الدولة وقد هزم الروم في دُلُوك سنة ٣٤٢هـ[٦] وجرح الدمستق في وجهه وأسر ابنه :

أغركم طول الجيوش وعرضهـــا عليٌّ شروبٌ للجيوش أكـــول [٧]

فبطل ابن منير كبطل المتنبي يقضي على الأعداء بسهولة، وهم له كالشراب والطعام. واستخدام أبي الطيب للاستفهام التعجبي في صدر البيت زاد صورته

---

(١) ديوان ابن منير الطرابلسي : ٢٤٧، انظر أيضاً : ص٢١٦.

(٢) ديوان أبي الطيب المتنبي : ٢ : ٣٥.

(٣) ديوان ابن منير الطرابلسي : ص٢١٠.
انظر مثلاً : ديوان العماد الأصفهاني : ص ٤٥. ديوان شرف الدين الأنصاري : ص٢١٨.

(٤) ديوان أبي الطيب المتنبي : ٣ : ٥١٣.
بئيس : شديد. لسان العرب : بأس.

(٥) ديوان ابن منير الطرابلسي : ص٢٢١. الروضتين : ١: ١: ١٨١.

(٦) انظر : ابن العديم : زبدة الحلب من تاريخ حلب : ١ : ١٢٣.

(٧) ديوان أبي الطيب المتنبي : ٣ : ٣٥٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جمالاً، ومكنه من رسم صورة بديعة لبطله، فسيف الدولة يواجه أعداءه وإنْ عظم عددهم، وكلما كثر كان أجود له. أما ابن منير فجعل بطله يتميّز بالشجاعة والفروسية دون أن يلتفت إلى تصوير الأعداء مما أضعف صورته مقارنة بصورة أبي الطيب.

ويرسم المهذب بن الزبير في قصيدته التي مطلعها :

أقصر -فديتك- عن لومي وعن عذلي أو لا فخذ لي أماناً من يد المقل[1]

صورة لبطله طلائع بن رزيك يستمد خطوطها من صورة بطل المتنبي في قصيدتيه : «أعلى الممالك ما يبنى على الأسل ...» و «أجاب دمعي وما الداعي سوى طلل...». ويصور ابن الزبير ممدوحه حساماً مكسواً بدماء الأعداء، وتخر له الجبابر والدول، وقد فاق كل الفرسان في الشجاعة والإقدام، يقول المهذب بن الزبير :

هو الحسام الذي يسمو بحامله زهواً فيفتك بالأسياف والدول
إذا بدا عارياً من غمده خلعت غمد الدّماء عليه هامة البطل
وإن تقلّد بحراً من أناملـه رأيت كيف اقتران الرزق بالأجل
من السّيوف الّتي لاحت بوارقها في أنمل هي سحب العارض الهطل
فجاءنا لبني رزّيك معجزها بآيةٍ لم تكن في الأعصر الأول

ويقول :

أفارس المسلمين اسمع فلا سمعتْ عداك غير صليل البيض في القلل
مقال ناءٍ غريب الدار قد عدم الـ أنصار لولاك لم ينطق ولم يقل[2]

فقد تأثر في البيت الأول بقول المتنبي :

لقد رأت كل عين منك مالنهـا وجربت خير سيف خيرة الدول[3]

واستفاد في البيت الرابع من قول أبي الطيب :

---

(١) الخريدة- قسم مصر : ١ : ٢٠٦.
(٢) المصدر نفسه : ١ : ٢٠٦-٢٠٧.
(٣) ديوان أبي الطيب المتنبي : ٣ : ٧٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وما ثناك كلام الناس عن كـــرم ومن يسد طريق العارض الهطـل[١]

وأخذ البيت الخامس من قول المتنبي :

ليت المدائح تستوفي مناقبـــه فما كليب وأهل الأعصـــر الأول[٢]

واستوحى البيتين الأخيرين من قول المتنبي :

وما تقر سيوفٌ في ممالكهـــا حتى تقلقل دهراً قبل في القلـل[٣]

وقوله :

الفاعل الفعل لم يفعل لشدّتـــه والقائل القول لم يترك ولم يقـل[٤]

وقوله :

أنت الشجاع إذا مالم يطأ فرسٌ غير السّنوّر والأشلاء والقلـــل[٥]

وقد استخدم ابن الزبير في أبياته السابقة كثيراً من مفردات المتنبي وعباراته : «الأسياف والدول، العارض الهطل، الأعصر الأول، القلل، ولم يقل» وهذا يؤكد أنّ أخذه عن أبي الطيب جاء عن وعي وقصد، ولكنه لم يستنسخ أبيات المتنبي ففي قوله : «أفارس المسلمين ...»يدعو لبطله بأن ينتصر على أعدائه ويستمر في قتالهم. أما المتنبي ففي قوله : «وما تقرّ سيوف ...» فهو يؤكد أن سيف الدولة لا تستقر سيوف في مملكته حتى يقلقل أعداءه، وتعمل سيوفه دهراً في رؤوسهم. فمعنى ابن الزبير قريب جداً من معنى أبي الطيب ولكن المتنبي كان أكثر دقة في بيته فقد جعل بطله يستمر في قتال الأعداء أبد الدهر.

أما تصويره للسيوف وقد اتخذت من دماء الأعداء وهاماتهم غمداً لها فهي صورة تتكرر كثيراً في شعر هذا العصر، يقول ابن الخياط :

حقيقٌ إذا ما انتضى سيفـــه بأن يجعل الهام للسّيف غمـداً[٦]

---

(١) ديوان أبي الطيب المتنبي : ٣ : ٢٨٣.

(٢) المصدر نفسه : ٣ : ٢٧٤.

(٣) المصدر نفسه : ٣ : ٧١.

(٤) المصدر نفسه : ٣ : ٧٣.

(٥) المصدر نفسه : ٣ : ٢٨٤.

السّنوّر : ما يلبس من السلاح كالدروع ونحوها. لسان العرب : سنر.

(٦) ديوان ابن الخياط : ص١٨٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويقول العماد الأصفهاني :

إن فارقتْ سيوفُه غمودَهـــا فـــإنّ هاماتهـــم غمودهـــا[1]

ويقول ابن الساعاتي :

وإذا هم شاموا بروق غمودهم تخذوا الغمود الهام بعد غمودها[2]

وقد حاكوا في هذه الصور قول أبي الطيب المتنبي :

طلعن شموساً والغمود مشارقٌ لهنّ وهامات الرجال مغـــارب[3]

وقوله :

بهجر سيوفـــك أغمادهـــا تمنى الطلى أن تكون الغمـودا

إلى الهام تصدر عن مثلـــه تري صدراً عـــن وردٍ وروداً[4]

وعارض ابن الساعاتي قصيدتي المتنبي السابقتين[5] بقصيدة مدح بها الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي، يقول مصوراً بطله :

ما بعد لقياك للعافين من أمـــلٍ ملك الملوك وهذي دولة الـدّول

من حاتمٌ عندما كفّاك واهبـــةً حتى غدا مثلاً ناهيك من مثـــل

ذر الصّوارم في أغمادها فلقـــد جلوتها من دماء الهام في خلـــل

لولا مساعي صلاح الدين ما صلحت شمّ الممالك بعد الزّيغ والميـــل

ولا اغتدت ألسن العلياء مفصحـةً من بعد ماكنّ رهن العيّ والخطل

يهزّه المدح هزّ الجود سائلـــه أولا-وحاشاه- هزّ الشارب الثمل[6]

فقد أخذ أول بيتين من قول أبي الطيب :

ليت المدائح تستوفي مناقبـــه فما كليب وأهل الأعصـــر الأول

---

(١) ديوان العماد الأصفهاني : ص ١٤٥، انظر أيضاً : ص١١١.

(٢) ديوان ابن الساعاتي : ٢ : ٢٤١، ٣٨٢.

انظر : ديوان أسامة بن منقذ : ص١٩٠. الخريدة - قسم مصر : ١ : ١٤٣.

ديوان الشاب الظريف : ص٤٤. ديوان فتيان الشاغوري : ص ٤٧٦.

ديوان ابن سناء الملك : ص ١١٩. ديوان البوصيري : ص ١٤٦.

(٣) ديوان أبي الطيب المتنبي : ١ : ٢٦٧. أنظر أيضاً : ١ : ٢٧٥.

(٤) المصدر نفسه : ٢ : ١٢٠.

(٥) أنظر : ص ٩٣ من هذه الدراسة.

(٦) ديوان ابن الساعاتي : ٢ : ٣٨٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقوله :

وجرى فقصّر عن مداه في العـــلا أهل الزّمان وأهل كلّ زمـــــان[١]

واستحضر في البيت الثالث قول المتنبي :

صان الخليفة بالأبطال مهجتـــه صيانة الذّكر الهنديّ بالخلـــل[٢]

واستفاد في البيتين الرابع والخامس من قول أبي الطيب :

والمدح لابن أبي الهيجاء تنجده بالجاهليّة عين العيّ والخطـــل[٣]

واستوحى تشبيهه لاهتزاز ممدوحه عند العطاء بتمايل الجوزاء من تشبيه المتنبي للخيل وقد سارت في دماء الأعداء بالإنسان الثمل في قوله :

مازال طرفك يجري في دمائهم حتّى مشى بك مشي الشّارب الثّمل[٤]

ويقول ابن الساعاتي في قصيدة أخرى مدح بها صلاح الدين :

كريمٌ إذا استنجدته هزّ عطفـه السماح كأنّ رنّحتَه بابنة الكـــرم[٥]

وقد أخذ هذه الصورة من قول أبي الطيب :

وجاد فلولا جوده غير شـــارب لقيل كريم هيجته ابنة الكـــــرم[٦]

وأخذ ابن الساعاتي بعض مفردات المتنبي وعباراته : «دولة الدول، الخلل، العي والخطل، الشارب الثمل». وقد استخدم ابن الساعاتي بعض ألفاظ أبي الطيب مع تغيير خفيف في المعنى، ففي قوله : «ولا اغتدت ألسن العلياء ...» يؤكد أن انتصارات صلاح الدين على الإفرنج جعلت الشعراء تقرض الشعر الجيد، وتنطق الكلام الفصيح من بعد ما كانت مرهونة بالعيّ والكلام الفاسد. وهذا المعنى يخالف ما قصده المتنبي في قوله : «والمدح لابن أبي الهيجاء ..» فأبو الطيب يرى أنه لا فائدة من الاستعانة بأيام آباء بطله في الجاهلية لإظهار عظمته، فهو صاحب مناقب عظيمة لا يحتاج معها إلى ذكر آبائه وأجداده. وهذا يؤكد أن

---

(١) ديوان أبي الطيب المتنبي : ٣ : ٥٣٠. أنظر أيضاً : ٢ : ٢١٨، ٣ : ١٦٩.
(٢) المصدر نفسه : ٣ : ٧٣.
(٣) المصدر نفسه : ٣ : ٢٧٣.
(٤) ديوان أبي الطيب المتنبي : ٣ : ٧٨.
(٥) ديوان ابن الساعاتي : ٢ : ٢٨٦.
(٦) ديوان أبي الطيب المتنبي : ١ : ٢٩٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ابن الساعاتي كان على دراية بما أخذه، فحينما أراد أن يستر سرقته غير في المعنى مع الإبقاء على بعض ألفاظ بيت المتنبي.

كما عارض ابن الساعاتي قصيدتي المتنبي السابقتين[1] بقصيدة ثانية مدح بها الملك الأفضل بن الملك الناصر، وقد ضمنها كثيراً من عبارات المتنبي ومعانيه وصوره، ومطلعها :

ليست قدوداً ولكن هذه أسل وتلك بيض ومن أسمائها المقل[2]

واستحضر بعض شعراء هذا العصر[3] صورة سيف الدولة في ميمية المتنبي المشهورة «على قدر أهل العزم تأتي العزائم...» ليوضحوا معالم صور أبطالهم، فقد رسم أسامة بن منقذ بريشته الفاتنة صورة لبطله طلائع بن رزيك، واعتمد في توضيح خطوطها على كثير من عبارات المتنبي ومعانيه وصوره في الميمية، يقول أسامة :

* رميت العدا بالأسد في أجم القنا على الجرد تقتاد الردى وهو راغم
* فليس لراجٍ غير عفوك ملجـــأ وليس لعاصٍ لم يتب منك عاصم
* فيا ملكاً قد أحمد الله سعيـــه ونيّته والله بالســـرّ عالـــم
تهن ثناءً طبّق الأرض نشـــره هو المسْكُ لا ما ضمّنته اللطائـم[4]

وتأثر أسامة في نسج صورته الشعرية في البيت الأول بقول أبي الطيب واصفاً قلعة الحدث :

طريدة دهرٍ ساقها فرددتهـــا على الدين بالخطي والدهر راغم

وقوله مادحاً سيف الدول :

---

(١) انظر : ص ٤١ من هذه الدراسة.

(٢) ديوان ابن الساعاتي : ٢ : ٣٥١.

(٣) انظر : شعر ابن القيسراني : ص٦٩.
النكت العصرية : ص٢٠٧.
ديوان العماد الأصفهاني : ص ٣٦٨.
ديوان ابن سناء الملك : ص١٧٢.
ديوان ابن الساعاتي : ١ : ٢٠١، ٢ : ١٣٨، ١٥٠.
ديوان ابن قسيم الحموي : ص١٠١
ديوان طلائع بن رزيك : ص١٣٥.
ديوان المبشرات والقدسيات : ص١٢٦.
ديوان الشاب الظريف : ص١٠٧.

(٤) ديوان أسامة بن منقذ : ص ٢٢٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقفت وما في الموت شكّ لواقفٍ كأنّك في جفن الردى وهو نائـم[١]

كما استوحى البيت الثاني من قول المتنبي :

ألا أيّها السّيف الذي لست مغمداً ولا فيك مرتاب ولا منك عاصـم[٢]

وأخذ البيت الثالث من قول المتنبي :

تجاوزت مقدار الشّجاعة والنّهى إلى قول قومٍ : أنت بالغيب عالم[٣]

ولكن أسامة بن منقذ نسب علم الغيب إلى الله -سبحانه وتعالى-، ولم ينسبه إلى البطل -كما فعل أبو الطيب- خشية الوقوع في الزلل.

وأخذ ابن الساعاتي معنى المتنبي السابق، وجعل بطله صلاح الدين عارفاً بالغيب، يقول :

بصير بما تنوي قلوب وفـوده كأنّ له بالغيب من وفده علمـا[٤]

وأخذ شعراء هذا العصر عن أبي الطيب تشبيهه ممدوحه بالسيف البتار المشهور في وجه الضلال، يقول ابن الخياط مادحاً عضب الدولة :

هو السّيف لا تلقاه إلا مؤهّـلاً لإيجاب عزّ قاهرٍ أو لسلبـه[٥]

ويقول ابن منير الطرابلسي :

ما أنت إلا السّيـف صدّ صـدأً عن متنه مضربـه البتّـار[٦]

ويقول ابن القيسراني :

لا زال عزمك في الحوادث ماضياً كالسّيف مطبوع الغرار على المضا[٧]

وساروا في ذلك على خطى المتنبي في قوله :

---

(١) ديوان أبي الطيب المتنبي : ٣ : ٤٢٤، ٤٢٨.
(٢) المصدر نفسه : ٣ : ٤٢٩.
(٣) المصدر نفسه : ٣ : ٤٢٩.
(٤) ديوان ابن الساعاتي : ٢ : ٣٨٧.
(٥) ديوان ابن الخياط : ص١٧٤.
(٦) ديوان ابن منير الطرابلسي : ص٢٦٦. انظر أيضاً : ص٢٣٣، ٢٣٦، ٢٣٩، ٢٤٠.
(٧) شعر ابن القيسراني : ص٢٧٤.

الغرار : حد السيف. لسان العرب : غرر.
انظر : ديوان أسامة بن منقذ : ص١٨٩. ديوان العماد الأصفهاني : ص٣٧٢
ديوان ابن الساعاتي : ٢ : ١٤٣. ديوان ابن عنين : ص١٣، ٤٠، ٥١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكنت السّيف قائمه إليهـــا وفي الأعداء حـدّك والفـــرار[١]

وقوله :

قلّد الله دولة سيفـــــها أنـ ت حساماً بالمكرمات محلـــى[٢]

وجعلوا السيف يستمد قوته ومضاءه من الممدوح، فالضربة الشديدة تحصل بقوة الكف لا بجودة السيف، لأن السيف الماضي في يد الجبان لا يعمل شيئاً، فالسيوف عند ابن القيسراني تأخذ مضاءها وحدّتها من عزم بطله :

عجب النّاس منك أنّك في الحـــر ب شهاب الكتيبة الشّهبـــاء

وكأنّ السّيوف من عزمك المـــا ضي أفادت ما عندها من مضـــاء[٣]

ويجعل ابن سناء الملك النصل يستمد قوته من كفّ بطله، فالكف هي التي تحدث الضرب لا السيف :

فلا تحسبوا بالكف جرّد نصلـــه ولكنه قد جرد الكفّ بالنصـــل[٤]

وقد استوحوا هذا المعنى من قول أبي الطيب :

إذا ضربت في الحرب بالسّيف كفّه تبيّنت أن السّيف بالكفّ يضرب[٥]

وقوله :

وإنّ الّذي سمى عليّا لمنصـــفٌ وإنّ الذي سمّاه سيفاً لظالمـــهْ

وما كلّ سيفٍ يقطع الهام حـــدّه وتقطع لزبات الزّمان مكارمـــه[٦]

كما قلدوا المتنبي في إضافة السيف إلى لفظ الجلاله أو الإسلام، وهم بذلك يرفعون البطل عن أن يكون سيفاً للإمارة أو الخليفة أو الأمة، مما يوحي بأن الممدوح مؤيد بنصر الله، وأنه يجاهد في سبيل الله لنصرة الإسلام والمسلمين، يقول ابن منير :

---

(١) ديوان أبي الطيب المتنبي : ٣ : ٤٦٧.

(٢) المصدر نفسه : ٣ : ٤٩٨.

(٣) شعر ابن القيسراني : ص٦٠. انظر أيضاً : ص١٧٥.

(٤) ديوان ابن سناء الملك : ص٢٢٣. انظر أيضاً : ديوان ابن الساعاتي : ٢ : ١٢٦.

(٥) ديوان أبي الطيب المتنبي : ٤ : ١٠٧.

(٦) ديوان أبي الطيب المتنبي : ٣ : ٢٨. انظر أيضاً : ٣ : ٣٨، ١٤٢، ١٦٠، ٣٢٢، ٥٠٢.
لزبات : الشدائد. لسان العرب : لزب.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يا صارماً بيمين اللـــه قائمــه وفي أعالي أعادي الله حـــداه[١]

ويقول أسامة بن منقذ :

أنت سيف الإسلام حقاً فلا فـل غراريك أيها السيف دهـــر

بك زاد الإسلام يا سيفه المخذم عزاً وذل شـرك وكفـــــر[٢]

ويقول المهذب بن الزبير :

لقد جرّد الإسلام منك مهنّـداً حديداً شباه لا يداوى له جـرح

إقامة حد اللّه في الخلق حـده إذا سلّه والصّفح عنهم له صفح[٣]

وهذه الأبيات أشبه ما تكون بقول أبي الطيب في وصف قدوم رسول الروم على سيف الدولة :

فأقبل من أصحابه وهو مرسلٌ وعاد إلى أصحابه وهو عـاذل

تحيّر في سيفٍ ربيعة أصلـه وطابعه الرحمن والمجد صاقل[٤]

وقوله :

عرضت له دون الحياة وطرفـه وأبصر سيف اللّه منك مجردا[٥]

وقوله :

على عاتق الملك الأغرّ نجـاده وفي يد جبّار السّماوات قائمه[٦]

وإقران شعراء الحروب الصليبية والمتنبي لفظ السيف بلفظ الذات الإلهية والإسلام يشير إلى وعي الطرفين (المتنبي وشعراء الحروب الصليبية) لحقيقة الصراع بين المسلمين والإفرنج، فهو صراع عقائدي بين الكفر والإيمان، ومن هنا كثرت الألفاظ المرتبطة بالدين في شعر المتنبي وشعر الحروب الصليبية،

---

(١) ديوان ابن منير الطرابلسي : ص١٩٥.

(٢) ديوان أسامة بن منقذ : ص١٧٠.

(٣) الخريدة – قسم مصر : ١ : ٢١٦.
انظر : ديوان ظافر الحداد : ص١٩٣. ديوان القاضي الفاضل : ١ : ١٤٦، ٢٨٥.

(٤) ديوان أبي الطيب المتنبي : ٣ : ٣٩٤.

(٥) المصدر نفسه : ٣ : ٣٧٧.

(٦) ديوان أبي الطيب المتنبي : ٣ : ٢٧. انظر أيضاً : ٣ : ٤٩٨، ٦٠٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولكنها كانت أكثر شيوعاً في شعر الحروب الصليبية[١].

وأعلى شعراء هذا العصر من شأن القوة، ولا غرابة في ذلك، فمنطق القوة عندهم كان وليد ظروف العصر، فالبطل مطالب بأن يوقف الزحف الصليبي، ويرهب قادة العدو، وينشر الرعب بينهم، ولا يكون ذلك إلا بالقوة، قال تعالى ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم﴾. وإدراك الشعراء لهذه الحقيقة جعلهم يكثرون من النماذج الشعرية التي تبين أهمية القوة في الصراع مع الفرنج، وجاء شعرهم مطبوعاً بطابع القوة والحماسة والعنف، يقول ابن القيسراني :

فلا تحفلنّ بصول الذّئـــاب ... وقد زأر الأسد الباســـــل

كذا ما انثنت قطّ صمّ الرّما ... ح أو يتثنى القنا الذابـــل

هو السيف إلاّ تكن حامـــلاً ... لبزّته بـــزّك الحامـــــل[٢]

فلا شيء يقف أمام القوة، ومن يملكها تخضع له الرقاب، ويملك زمام الأمور، وتطيعه الملوك، ولا يحفل بكيد الكائدين.

وعشق المتنبي القوة فأعلى من شأنها، وبنى شعره عليها، وديوانه يزخر بالأبيات التي تبين فضل القوة المقرونة بالعقل، فهي السبيل إلى تحقيق الآمال والوصول إلى المعالي، يقول أبو الطيب :

والمشرفيّة لازالت مشرّفةً ... دواء كل كريم أو هي الوجع[٣]

ويقول :

ولا تحسبن المجد زقاً وقينـــةً ... فما المجد إلاّ السّيف والفتكة البكر

وتضريب أعناق الملوك وأن ترى ... لك الهبوات السّود والعسكر المجر

---

(١) انظر : د. محمد علي الهرفي : شعر الجهاد : ص١١٩-١٥٣.
د. محمود إبراهيم : صدى الغزو الصليبي في شعر ابن القيسراني : ص١٤٠-١٤٤.
د. عبد الجليل عبد المهدي : بيت المقدس في أدب الحروب الصليبية : ص٢٧٩-٢٨٣.

(٢) شعر ابن القيسراني : ص٣٣٣. انظر أيضاً : ص ١٤٨، ١٥٧، ١٩٤، ٢٠٧.
انظر : ديوان ابن الخياط : ص١٨٨. ديوان ابن منير : ص٢٢٥، ٢٣٦.
النكت العصرية : ص٣٥٢. ديوان العماد الأصفهاني : ص ٧٩.
ديوان فتيان الشاغوري : ص١٥١. ديوان ابن عنين : ص٢٦، ٤٣.

(٣) ديوان أبي الطيب المتنبي : ٣ : ١٧٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتركك في الدّنيا دوّياً كأنّمـــــا تداول سمع المرء أنمله العشـــر[١]

وأخذوا عن أبي الطيب تشبيهه رسائل البطل بالجيوش، فكتبه تغني عن إرسال الجيش الجرار. فقوة البطل وشجاعته جعلت العدو يهابه ويخشى جيوشه، ويرتد على أعقابه قبل أن يلقاه في ساحة القتال، يقول المتنبي :

وكفتك الصّفائح النّاس حتّـى قد كفتك الصّفائحَ الأقـــــلامُ [٢]

ويقول :

يا من إذا ورد البلاد كتابـــــه قبل الجيوش ثنى الجيوش تحيّرا[٣]

ويقول ابن القيسراني متأثراً بمعنى المتنبي :

يقوم مقام الجيش فيها وعيـــده ويفعل أفعال الكتائب كتبـــــه [٤]

ويقول ابن الدهان مادحاً صلاح الدين :

تردي الكتائب كتبه فإذا مضت لم ندر أنفذ أسْطراً أم عسكـــرا [٥]

ومن مظاهر الغلو في شعر أبي الطيب أنه يصور بطله متحكماً بالمنايا، فالموت تحت طاعته، يغدو كل يوم فيقف بين يديه منتظراً أوامره، فإذا أمره بالوقوع على الأعداء فإنه يطيع، فيأتي على أرواحهم، يقول المتنبي :

ويستكبرون الدّهر والدّهر دونه ويستعظمون الموت والموت خادمه[٦]

ويقول :

تغدو المنايا فلا تنفك واقفـــة حتى يقول لها : عودي فتندفـــــع[٧]

ويقول عمارة اليمني متأثراً بهذا المعنى :

يا من بليغ المعاني من عبارتـه ومن صريح المعالي من عشارتـــه

---

(١) ديوان أبي الطيب المتنبي : ٣ : ٣٢٢.
(٢) المصدر نفسه : ٢ : ٢٢٨.
(٣) المصدر نفسه : ٤ : ٢٨٤.
(٤) شعر ابن القيسراني : ص٧٨.
(٥) ديوان ابن الدهان : ص٥١
انظر : الخريدة – قسم مصر : ٢ : ١٦٧ ديوان ابن الساعاتي : ٢ : ٢٥٨، ٢٦٣.
(٦) ديوان أبي الطيب المتنبي : ٣ : ٢٧.
(٧) المصدر نفسه : ٣ : ١٨٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن تروح المنايا في أمارتـــه جنداً وتغدو الأماني في إمارتـــه[١]

ويقول ظافر الحداد :

وما الموت إلا تابعٌ ما أمرتـه على أنّه من حد سيفك جـــازع[٢]

فقد جعل عمارة والحداد الموت تحت طاعة بطلهما، وهما بذلك يقلدان أبا الطيب، فالمنايا تنتظر أوامر القائد لتنقض على أعدائه، وإن كان المتنبي جعل الموت خادماً لسيف الدولة، فقد جعله ظافر الحداد جازعاً من سيف بطله، ويطيعه رهبة وخوفاً، وهو بذلك يكون أكثر غلواً من أبي الطيب.

وجعل المتنبي الموت شراباً يسقيه الأعداء بالكؤوس، يقول :

يدير بأطراف الرماح عليهـم كؤوس المنايا حيث لا يشتهي الخمر[٣]

وقد حاكى بعض شعراء الحروب الصليبية هذه الصورة، يقول عرقلة الكلبي:

جار صرف الردى على جيرون وسقى أهلها كؤوس المنـــون[٤]

وقول فتيان الشاغوري :

يسقي العدى بسنانه وحسامه كأس الرّدى فَيعُلّ منه وينهـــل[٥]

واتبع شعراء هذا العصر المتنبي في تركيزهم على تصوير أخلاق البطل، فهو كريم السجايا، وعفيف الإزار، وبريء من الإثم، وطيب المعشر، ومصون العرض، يقول ابن الساعاتي واصفاً ممدوحه :

هو الهازم الإعدام وهو جحافلٌ ومنهزم الأفعال من واحد الإثـم[٦]

ويقول :

فتى لم يعوّد نادماً قرع سنّـه على منفسٍ أو عضّ كفّيه للغبـن

---

(١) النكت العصرية : ص١٨٧. انظر أيضاً : ص ٢٤٩.

(٢) ديوان ظافر الحداد : ص١٩٢.
انظر: ديوان ابن منير : ص٢٤٧.
ديوان الشاب الظريف : ص٩٩.
ديوان طلائع بن رزيك : ص٨٩.
ديوان البوصيري : ص٨٩.

(٣) ديوان أبي الطيب المتنبي : ٢ : ٣٢٤.

(٤) ديوان عرقلة الكلبي : ص١٠٥.

(٥) ديوان فتيان الشاغوري : ص٣١٣.
انظر : ديوان ابن منير الطرابلسي : ص٢٦٦.

(٦) ديوان ابن الساعاتي : ٢ : ٢٨٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تنزّه عمّا يوجب الذم فعلـــه ... وراح عفيف العين واليد والأذن[1]

واستوحى هذه المعاني من قول أبي الطيب :

وجدنا ابن إسحاق الحسين كحدّه ... على كثرة القتلى بريّاً من الإثـم[2]

وقوله :

ولم تفترق عنه الأسنّة رحمـةً ... ولم تترك الشام الأعادي له حباً

ولكن نفاها عنه غير كريمـةٍ ... كريم النّثا ماسب قطّ ولا سبّـا[3]

والبطل المجاهد يترفع عن صفات السوقة ومغريات الحياة، ويترك شهواته للسيوف والرماح، فهو يجد في الحرب المتعة والشهوة، أما مجالس اللهو والعبث فلم تخلق له، يقول ابن منير مادحاً نور الدين زنكي :

ملك مجالس لهوه شدّاتـــه ... ومشوقه بين الصّفوف شذاتـه

يغرى بحثحثة اليراع بنانـــه ... إن لذّ حثحثة الكؤوس لداتـــه

ويروقه ثغر العدا قانٍ دمـــا ... لا الثّغر يعبق في لماه لثاتـــه

فصبوحه خمر الطّلى وغبوقه ... نطف النّفوس تديرها نشواته[4]

فنور الدين محب للفروسية والشجاعة، وإذا أراد اللهو فإنه يلهو على صهوات الجياد، ويفرّق صفوف أعدائه، ويستبدل دم الأعداء بالخمر. ويقول العماد الأصفهاني مادحاً صلاح الدين :

قرع الظّبى بالظّبى في الحرب يطربه ... لا قينة صنع باللّحن مطـراب[5]

ويقارن ابن سناء الملك بين ممدوحه صلاح الدين وغيره من الملوك فيقول :

---

(١) ديوان ابن الساعاتي : ١ : ١٦٠.
انظر : شعر ابن القيسراني : ص ٩٤، ٣٥٨.
ديوان الشاب الظريف : ص١٧٧.
ديوان ابن الدهان : ص٥٢
ديوان ظافر الحداد : ص٥٩.

(٢) ديوان أبي الطيب المتنبي : ١ : ٢٨٩.

(٣) ديوان أبي الطيب المتنبي : ٣ : ٢٤١.

(٤) ديوان ابن منير الطرابلسي : ص٢٠٩.

(٥) ديوان العماد الأصفهاني : ص٧٥.
انظر: ديوان ابن منير الطرابلسي : ص١٩٥.
الخريدة – قسم مصر : ١ : ١٩٤.
ديوان شرف الدين الأنصاري : ص ٥١، ٢١١.
انظر أيضاً : ص٧٧، ١١٠، ١٣٩، ١٤٤.
الخريدة – بداية قسم الشام : ص٤٤.
ديوان ظافر الحداد : ص٤٥.
ديوان البهاء زهير : ص١٢٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتهيم بالأســـد الغضـــاب وهـام غيـــرك بالجـــآذر[١]

وقد أخذوا هذه المعاني والمقارنات من قول المتنبي :

وما العشق إلا غرّة وطماعـةٌ يعرّض قلب نفسه فتصـــاب

وغير فؤادي للغواني رميّـــةٌ وغير بناني للزّجاج ركـــاب

تركنا لأطراف القناكلّ شهـوةٍ فليس لنا إلاّ بهنّ لعـــاب[٢]

وبذلك يصبح البطل أهلاً للمكرمات، يقول المهذب بن الزبير :

جمع الفضائل كلها فكأنّمـــا أضحى لشخص المكرمات مثالا[٣]

وهو يحاكي في هذا البيت قول أبي الطيب :

وكلّ أناس يتبعون إمامهـــم وأنت لأهل المكرمات إمـــام[٤]

ومن كانت هذه أخلاقه وقيمه حق له أن يتفرد من بين الآخرين، ويكون أوحد زمانه، ويفوق غيره من الملوك والأشراف في المنزلة والمكانة، يقول ابن منير الطرابلسي :

أصبحت دون ملوك الأرض منفرداً بلا شبيه إذ الأملاك أشبـــاه[٥]

ويقول شرف الدين الأنصاري :

مليك تعالى في المعالي فأصبحت به تضرب الأمثال وهو بلا مثل[٦]

فالممدوح أوحد بني آدم، ولا نظير له في الخلق كلهم. وقد أخذوا هذا المعنى من قول المتنبي :

فكن كما أنت يا من لا شبيه لـه أو كيف شئت فما خلقٌ يدانيكا[٧]

---

(١) ديوان ابن سناء الملك : ص١٣٠.

(٢) ديوان أبي الطيب المتنبي : ٤ : ١٥٠.

(٣) الخريدة – قسم مصر : ١ : ٢٢٢.

(٤) ديوان أبي الطيب المتنبي : ٣ : ٤٤٢.

(٥) ديوان ابن منير الطرابلسي : ص ١٩٥.

(٦) ديوان شرف الدين الأنصاري ص٣٩٦.

انظر : ديوان ابن الخياط : ص١٧. النكت العصرية : ص٣٢، ٥٥.

ديوان العماد الأصفهاني : ص٢٣٩، ٢٤٧، ٤٢٨. ديوان فتيان الشاغوري : ص٤٣٥.

ديوان القاضي الفاضل : ١ : ١٥١، ٢٤٢، ٢٦٣، ٢ : ٤٤٤، ٤٦١.

(٧) ديوان أبي الطيب المتنبي : ١ : ٢٢٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقوله :

كن حيث شئت تسر إليك ركابنا فالأرض واحدة وأنت الأوحد[١]

ويستفيد بهاء الدين زهير في قوله :

مولى ترى بين الأنام وبينه في القدر ما بين الثريا والثرى[٢]

من قول أبي الطيب :

فإن تفق الأنام وأنت منهم فإن المسك بعض دم الغزال[٣]

وصور شعراء هذا العصر الملوك والأمراء والسلاطين وهم يؤدون الولاء لأبطالهم وممدوحيهم، فيخرون على الأرض يقبلون البسط طالبين العفو والرحمة ومعلنين الطاعة والاستسلام، يقول ظافر الحداد :

تبصر جباه ملوك الأرض ساجدة على ثرى هو فيها أشرف الأمم[٤]

ويقول فتيان الشاغوري :

تقبل أفواه السلاطين بسطه فتفنى من التقبيل لا غيره البسط[٥]

وقد نسخوا هذه الصور من قول أبي الطيب :

تقبل أفواه الملوك بساطه ويكبر عنها كمّه وبراجمه[٦]

وقوله :

تظل ملوك الأرض خاشعةً له تفارقه هلكى وتلقاه سجدا[٧]

ومن الصفات التقليدية التي أكثر شعراء العربية على مر العصور من وصف ممدوحيهم بها صفة الكرم، وكثيراً ما شبهوا عطاءه بالبحر الزاخر، والسحاب

---

(١) ديوان أبي الطيب المتنبي : ١ : ١٨٤.

(٢) ديوان البهاء زهير : ص١١٩.

(٣) ديوان أبي الطيب المتنبي : ٣ : ٥٤.

(٤) ديوان ظافر الحداد : ص٢٧٧.

(٥) ديوان فتيان الشاغوري : ص٢٥٦.
انظر : ديوان ابن الخياط : ص١٧٥.
الخريدة – الشام : ٢ : ١٧٧.
ديوان ابن سناء الملك : ص٢٢٢، ٢٣٤.

(٦) ديوان أبي الطيب المتنبي : ٣ : ٢٣.

(٧) المصدر نفسه : ٣ : ٣٧٥.
انظر أيضاً : ص٧٨، ١٧٨، ٣٢٦.
انظر أيضاً : ص٣١٧، ٣١٩، ٤٢٣، ٥٦٩.
الروضتين : ١ : ١:٨٩، ٩٨، ٢٧٧.
الخريدة – مصر : ١.: ٢٢١، ٢ : ١٢٢، ١٤٦.
ديوان شرف الدين الأنصاري : ص١٢٧، ١٥٦.
انظر أيضاً : ٣ : ٤٨١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنهمر، والسيل المتدفق ... وقد سار المتنبي على نهج من سبقه في ذلك، ومع هذا فإن شعراء عصر الحروب الصليبية تأثروا بأبي الطيب في مدحهم لقادتهم بهذه الصفة، فقد نسخ تاج الملوك الأيوبي قوله :

كالبحر يقذف للداني جواهـــره ... جوداً وتبعث للنائي به السّحب

لو لم يكن أيّها المولى أبوك أبي ... (لقلت : إنك في الحالتيــن أب)

أحال رأيك عن ما كنت أعهـــده ... حتّى بدا لك أن الدرّ مخشلــب[1]

قول المتنبي :

كالبحر يقذف للقريب جواهـراً ... جوداً ويبعث للبعيد سحائبــا[2]

وقوله :

بياض وجه يريك الشمس حالكة ... ودرّ لفظ يريك الدّرّ مخشلبــا[3]

وتأثر الشاب الظريف في قوله :

متهلل القسمات يؤذن بالرّضا ... وجه الكريم يبين عن أفعالــه[4]

بقول أبي الطيب :

كرمٌ تبين في كلامك ماثـــلاً ... ويبين عتق الخيل في أصواتها[5]

واستوحى ابن سناء الملك قوله :

يقري الضيوف شعاع تبر أحمر ... فشعاع ذاك التبر نيران القــرى[6]

من صورة المتنبي :

ومللت نحر عشارها فأضافني ... من ينحر البدر النّضار لمن قرى[7]

وضمن شرف الدين الأنصاري قوله :

---

(١) ديوان تاج الملوك الأيوبي، تحقيق ودراسة : د. محمد سالم، هجر للطباعة – مصر، ط١ سنة ١٩٨٨م : ص ١٠٥.
المخشلب : الرديء من الدر، وقيل هو الخرز الأبيض الذي يشبه اللؤلؤ. ديوان أبي الطيب المتنبي : ١ : ٣٤٦.
انظر : ديوان فتيان الشاغوري : ص٢٠.

(٢) ديوان أبي الطيب المتنبي : ٢ : ٣٧.

(٣) المصدر نفسه : ١ : ٣٤٦.

(٤) ديوان الشاب الظريف : ص١٩٦.

(٥) ديوان أبي الطيب المتنبي : ٢ : ٣١٦.

(٦) ديوان ابن سناء الملك : ص١٥٩.

(٧) ديوان أبي الطيب المتنبي : ٤ : ٢٨٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لا تطلبنّ كريماً بعد رؤيتـــه ولا تبال بشعـر بعـــد شاعـــره[١]

من قول أبي الطيب :

لا تطلبن كريماً بعد رؤيتـــــه إن الكرام بأسخاهم يداً ختمـــوا

ولا تبال بشعر بعد شاعـــــره قد أفسد القول حتى أحمد الصمم[٢]

وتأثر أبو الحسن الأخفش[٣] في نسج صورته :

هو الغيث يممه إذا كان ممطراً وخذ حذراً منه إذا كان مصعقـــا[٤]

يصوره المتنبي :

هو البحر غص فيه إذا كان ساكناً على الدر واحذره إذا كان مزبـدا[٥]

وتمتّع البطل بقيم البطولة، والأخلاق الحميدة، والسجايا الكريمة، كفيل بأن يجعله يتربع على عرش المجد الذي ينشده كل ذي همة، ولكن لا يصل إليه إلا من عرف أنّ الحياة ليست لهواً، وإنّما هي الظفر بالأعداء في معترك الوغى، وضرب أعناقهم بالسيف، وقيادة الجحفل اللهام الذي يزاحم الجوزاء، وتضيق به البطحاء، فالمجد والعلا لمن عرف أن الدنيا تؤخذ غلابا، يقول عمارة اليمني.

لا يدرك المجد إلاّ كلّ مقتحـــم في موج ملتطمٍ أو فوج مضطرم

لا ينقض الخطرة الأولى بثانية ولا يفكّر في العقبى من النـــدم[٦]

ويقول عرقلة الكلبي مادحاً :

زد علواً في المجد يا ابن علي[٧] هكذا من أراد أن يتعالـــى

قدحوى الدين يـــا مؤيـــده(م) منك هزبراً وديمة وهـــــلالا

وغدت جلّق تناديك عجبـــــاً (هكذا هكـذا وإلاّ فـــــلا لا)

---

(١) ديوان شرف الدين الأنصاري : ص٢٤٦.

(٢) ديوان أبي الطيب المتنبي : ٣ : ٥٦٠.

(٣) هو الشريف أبو الحسن علي بن محمد بن الأخفشي المغربي.
الخريدة – قسم مصر : ١ : ٢٣٨.

(٤) المصدر نفسه : ١ : ٢٤٢.

(٥) ديوان أبي الطيب المتنبي : ٣ : ٣٧٤.

(٦) النكت العصرية : ص٣٥٣. انظر أيضاً : ص٣٣، ١٥٥، ١٥٨.

(٧) هو مؤيد الدين أبو الفوارس المسيب بن علي بن الحسن الصوفي توفي سنة ٥٤٩هـ.
ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق : ص٤٣٤، ٥٠٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جئتها في الظّلام خيلا ورجلا وحميت النفوس والأمـــوالا

ما تبالي من بعدها بعـــدوّ إنما كان ذاك قطعـــاً وزالا

قد بلغت المراد من كلّ ضـــدّ وكفا الله المؤمنين القتـــالا [1]

ويقول العماد الأصفهاني :

بالجد وبالجهاد نجح الطّلـب والراحة مستودعة في التّعب [2]

ويقول ابن الساعاتي :

فاصبر وإن جارت الأيّام جاهدةً من دوحة الصبر يجنى المجد والشرف[3]

وقد استوحوا هذه المعاني من قول أبي الطيب :

ولا تحسبنّ المجد زقا وقينـــة فما المجد إلا السّيف والفتكة البكر

وتضريب أعناق الملوك وأن ترى لك الهبوات السّود والعسكر المجر

وتركك في الدنيا دوياً كأنّمـــا تداول سمع المرء أنمله العشـــر[4]

وقوله :

* ذي المعالي فليعلون من تعالـى هكـــذا هكـــذا وإلا فـلا لا

شرف ينطح النجـــوم بروقيـ ـه وعز يقلقل الأجبـــــالا

* من أطاق التماس شيء غلابـــاً واغتصابا لم يلتمسه سؤالا [5]

وهكذا يتبين للدارس أثر أبي الطيب المتنبي في تشكيل صورة البطل عند الشعراء زمن الحروب الصليبية، فقد رسموا صورة أبطالهم في ضوء قيم البطولة التي جسدها أبو الطيب في أبطاله وممدوحيه، كما انتزعوا معاني

---

(١) ديوان عرقلة الكلبي : ص٨٣.

(٢) ديوان العماد الأصفهاني : ص٧٧. انظر أيضاً : ص٧٦، ٧٩، ١١٠، ١١٢.

(٣) ديوان ابن الساعاتي : ١ : ٢٣٧. انظر أيضاً : ١ : ٧٣، ٩٦.
انظر : ديوان ابن الخياط : ص٩، ٢٣٤.
ديوان أسامة بن منقذ : ص١٧١.
ديوان ابن عنين : ص١٣، ٤٦.
ديوان ابن منير الطرابلسي : ص٤٤.
ديوان فتيان الشاغوري : ص٢٢٦، ٢٤٩.
ديوان البهاء زهير : ص٣٣٠.

(٤) ديوان أبي الطيب المتنبي : ٢ : ٣٢٢.
الهبوة : غبار العسكر العظيم. لسان العرب : هبو.

(٥) ديوان أبي الطيب المتنبي : ٣ : ٥٠١-٥١٣.
روقاه : قرناه. لسان العرب : روق.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشجاعة وصورها الشعرية من فن المتنبي. ولكن هل استطاعوا تخليد أبطالهم وقادتهم كما خلد المتنبي بطله ؟ يقول الدكتور محمد زغلول : «ويعجب المتتبع لشعر العصر وشعرائه أن لا يجد بين أولئك الشعراء من يتناول شخصية أحد الأبطال، فيحاول تخليدها بشعر يرسم معالمها كما فعل المتنبي بالنسبة لسيف الدولة، حيث رسم خطوط شخصيته واضحة في قصائده المعروفة بالسيفيات، وهذه السيفيات تعتبر من أجمل الشعر العربي وأخلده، وقد خلدت شخصية سيف الدولة كما لم تخلد شخصية من قبل في الشعر العربي، بل كما خلد هوميروس أخيل، وكان أجدر بصلاح الدين أن يلقى متنبيا آخر في القرن السادس، إلا أننا لا نجد سوى قصائد عادية في مستواها الفني»[1] ويوافقه في هذا الرأي أحمد الجندي فيقول : «لم تخلق الحياة لصلاح الدين شاعراً كالمتنبي أو البحتري أو أبي تمام أو زهير بن أبي سلمى أو النابغة، أولئك الذين خلدوا ممدوحيهم بشعر بقي على الزمن في حين ذهبت تلك الشخصيات واختفى أثر بعضها من صفحات التاريخ، أما شعراء صلاح الدين فهم الذين اختفوا، وظل صلاح الدين كالجبل في مهب رياح الزمن»[2].

إن من يطلب من الشعراء جميعاً أن يكونوا في مستوى المتنبي فإنه يظلمهم، فأسباب الإبداع وعوامله محدودة، لا تتهيأ إلا لعدد قليل من أصحاب الملكات الخلاقة، وليس من المعقول أن يكون جميع الشعراء عبر العصور من الأفذاذ، فهم بشر، والبشر مختلفون في طبائعهم وظروفهم وعبقرياتهم، واستعداداتهم للإبداع، وصقل مواهبهم ... وقد تمتع المتنبي بعبقرية فذة صقلها بالثقافة الواسعة، كما تمتع برؤية نافذة، وإحساس رهيف، وقدرة على التعبير عما يدور في خلجات النفس الإنسانية بأسلوب متميز ... كل ذلك أهله لأن يكون رائداً في الشعر ولاسيما الشعر الحربي لمصاحبته أبطاله في حروبهم وغزواتهم.

وقد استفاد شعراء عصر الحروب الصليبية كثيراً من تصوير المتنبي

---

(١) الأدب في العصر الأيوبي، دار المعارف – مصر، د.ط سنة ١٩٦٨م : ص٢٣٥.

(٢) مقدمة ديوان عرقلة الكلبي : ص هـ.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لبطله، ولكن هذه الاستفادة لم تمكنهم من التفوق على الشاعر المثال أو الارتقاء إلى مستواه، ومع هذا فقد نبغ منهم غير شاعر، فإن الدارس لشعر الجهاد في هذا العصر يلمس براعة ابن منير ودقة ابن القيسراني في تصويرهما لشخصية نور الدين زنكي، وقد شبههما العماد الأصفهاني بجرير والفرزدق، ويقول في ترجمته لابن منير : «وقع القيسراني في مباراته ومعارضته ومجاراته في مضمار القريض ومناقضته فكأنهما جرير العصر وفرزدقه» [1].

كما يلحظ الدارس لشعر هذا العصر تمتع العماد الأصفهاني بقدرة فائقة على توضيح معالم صورة بطله صلاح الدين، فقد صوره في جميع حالاته، فمن يطلع على قصائده وقصائد ابن سناء الملك وفتيان الشاغوري وابن الساعاتي في صلاح الدين يجد أنهم قد صوروا بطلهم في حالتي السخط والرضا، كما صوروه مجاهداً في سبيل الله، لا يهاب الموت، ويحمل بنفسه على الفرنج، فيشتت جمعهم، وينشر بينهم الرعب ... ومع ذلك فإنهم لم يستطيعوا أن يرتقوا بشعرهم إلى مستوى شعر أبي الطيب، ولكنهم أفادوا منه كثيراً، مما هيأ لشعرهم شيئاً من التميز على غيرهم من شعراء عصرهم.

* وصف المعارك والجيوش

صور المتنبي في سيفياته صراع المسلمين مع الروم، ووصف فيها معارك سيف الدولة، وكان لسانه -كما يقول ابن الأثير- أمضى من نصالها، وأشجع من أبطالها، وقامت أقواله للسامع مقام أفعالها، حتى تظن الفريقين قد تقابلا والسلاحين قد تواصلا [2].

وتأثر الشعراء زمن الحروب الصليبية كثيراً برواميات أبي الطيب، فكانوا يبدؤون وصف المعركة -كعادة المتنبي- بوصف الجيش الإسلامي، وهو سائر للقاء العدو، وقد صوروه جيشاً عظيماً ضاقت الأرض به فملأ الفضاء، ويعز على

---

(١) الخريدة – قسم الشام : ١ : ٧٩.

(٢) المثل السائر : ٣ : ٢٢٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحصر والإحصاء، ويحول النهار ليلاً من كثافة النقع، يقول فتيان الشاغوري واصفاً جيش صلاح الدين :

جحافله أسْدٌ تزأر في الوغـــى ... وما غيلها إلاّ القنا والقنابـــــل
يسير بجيش يرجف الأرض بأسه ... وتبدو لها في كـلّ قطـــر زلازل
خميس له الرّايات ظلٌ وفوقـه ... من الطير ظلٌ يحجب الشّمس سادل
تراطن فيه العجم من كل جانب ... وترتجز العرب الكرام البواســـل
دروعهم سحب تلوح خلالهـــا ... وجوههم فهي البدور الكوامـــل
هم الأسد إلاّ أنّ عيصهـــم إذا ... سروا مشرفيات وسحر ذوابـــل
أسنّتهم واللّيل نقعٌ نجومـــه ... رجوم بأكباد الأعـــادي أوافـــل
إذا ما اشتكت يوماً أسنّتهم صدًى ... فليس لها إلاّ الدمـــاء مناهـــل[1]

فجيش صلاح الدين يزلزل الأرض تحته، وقد امتلك المسلمون القوة فأرهبوا بها أعداءهم، وملكوا بلادهم، وكلما ساروا تجاه الأعداء حلقت الطير فوقهم أملاً بأن تقتات على جثث القتلى. ويقرر فتيان الشاغوري في النص السابق أن صلاح الدين استطاع أن يوحّد المسلمين فغدا جيشه منهم كافة عرباً وعجماً. وتأثر الشاغوري في هذه الأبيات بقول أبي الطيب :

والباعث الجيش قد غالت عجاجته ... ضوء النّهار فصار الظّهر كالطّفل
الجوّ أضيق مالاقاه ساطعهـــا ... ومقلة الشّمس فيه أحير المقـــل[2]

وقد أخذ البيت الرابع من قول المتنبي في وصف جيش الروم :

تجمع فيه كل لسن وأمّـــةٍ ... فما يفهم الحدّاث إلاّ التراجـــم[3]

كما إستوحى صورته في البيت السابع من قول المتنبي

---

(١) ديوان فتيان الشاغوري : ص٣١٧.
انظر : ديوان ابن منير الطرابلسي : ص٢٤٣، ٢٤٦.
ديوان طلائع بن رزيك : ص٥٨.
الخريدة – قسم مصر : ١ : ٢٠، ١٧٩، ٢١١.
ديوان ابن الساعاتي : ١ : ١٣١، ١٥٨.
انظر أيضاً : ص١٥٠، ٢٢٦، ٤٣٠.
ديوان أسامة بن منقذ : ص١٩٢.
الخريدة – قسم الشام: ١: ٩، ٤١٤، ٤٢٧، ٤٢٩.
النكت العصرية : ص٧٠، ٣٢١، ٣٣٥.
ديوان الأصفهاني : ص١٠٩، ١٩٢، ١٦٤.

(٢) ديوان أبي الطيب المتنبي : ٣ : ٧٤.

(٣) المصدر نفسه : ٣ : ٤٢٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يزور الأعادي في سماء عجاجةٍ أسنته في جانبيها الكواكب[1]

ويستحضر ظافر الحداد في قوله :

لمن يستعد الجيش قد ملأ الفضا وضاقت على الجوزاء منه المطالع[2]

قول أبي الطيب في وصف جيش الأعداء :

خميس بشرق الأرض والغرب زحفه وفي أذن الجوزاء منه زمازم[3]

ويصور ابن سناء الملك فرسان الجيش الإسلامي وهم يقبلون على الموت بلا خوف، فهم يرون الموت في معترك الوغى حياة، ويرفضون أن يمدوا أيديهم إلى الغنائم، فطبعهم نهب النفوس لا الأموال، يقول مخاطباً ممدوحه :

لك الجحفل الجرّار والبيض والقنا تخطّ خطوط النّصر حتّى على الترب

به كلّ وثّابٍ إلى الموت باسل ومن ذا يردّ الأسد عن عادة الوثب؟

يعفون عن كسب المغانم في الوغى فليس لهم غير الفوارس من كسب

ويشغلهم سبي الأسود عن المها ويلهيهم نهب النّفوس عن النّهب

لهم معجز في الطّعن والضّرب باهر فلا طعن في طعن ولا ضرب في ضرب

ويرهب من أسيافهم قبل سلّها وربّ سيوفٍ قطّعت وهي في القرب

فمدن الأعادي غير محميّة الحمى بهم وقراهم غير آمنة السّرب

وكم ملك بالتّاج يعصب رأسه أتوه فحازوا ذلك العصب بالغضب

يدورون كالأفلاك حولك خدمةً وأنت لهم كالقطب لازلت كالقطب[4]

وتأثر ابن سناء في هذه الأبيات بقول المتنبي :

وفوارس يحمي الحمام نفوسها فكأنّها ليست من الحيوان [5]

وقوله :

في خميس من الأسود بئيسٍ يفترسن النّفوس والأموالا [6]

---

(١) ديوان أبي الطيب المتنبي : ١ : ٢٦٦.

(٢) ديوان ظافر الحداد : ص ١٩٢، انظر أيضاً : ص١٨٠.

(٣) ديوان أبي الطيب المتنبي : ٣ : ٤٢٦.

(٤) ديوان ابن سناء الملك : ص١٠، انظر أيضاً : ص٣٢٨.

(٥) ديوان أبي الطيب المتنبي : ٣ : ٥٣٨.

(٦) المصدر نفسه : ٣ : ٥١٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويلاحظ أن ابن سناء الملك قد غير بعض الشيء في معنى أبي الطيب؛ فالفرسان عنده انشغلوا عن النساء بسبي قادة الأعداء وألهوا أنفسهم عن الغنائم بالقضاء على جيش الفرنج، أما عند أبي الطيب فالجند يفترسن النفوس والأموال.

ويصور ابن سناء في البيت الأخير من النص السابق بطله وقد أحاط فرسانه به للدفاع عنه، وهم منجذبون إليه يدورون حوله كالأفلاك، ويلبون أوامره، وهذه الصورة مستوحاة من قول أبي الطيب :

يهز الجيش حولك جانبيه ... كما نفضت جناحيها العقاب[1]

وأكثر شعراء هذا العصر من تشبيه الجيش الإسلامي بالبحر، ولكنه بحر من سيوف وقنا وأسنة، يقول عمارة اليمني :

لئن نصبوا في البر جسراً فإنكم ... عبرتم ببحر من حديد على الجسر[2]

ويقول ابن الساعاتي :

لأسال بحراً من حديد مزبد ... بالزّغف يسلك كلّ بحر مزبد [3]

وأخذوا هذه الصورة من قول المتنبي :

رميتهم ببحرٍ من حديدٍ ... له في البر خلفهم عباب [4]

وبذلك فإن شعراء الجهاد في هذا العصر أخذوا عن المتنبي تركيزه على الجماعة لا على البطل الفرد، فقد أشاد في شعره «بنفس الجماعة وما ترتقي إليه حين تبلي فتحسن البلاء، وحين تمتحن فتحسن احتمال المحنة»[5] فهم ينسبون البطولة إلى جماعة المسلمين، وعندما يتغنون بشجاعة قادتهم فإنهم يجعلون الأبطال رموزاً ينضوي تحتها جيش المسلمين. ويقول الدكتور طه حسن بحق

---

(١) ديوان أبي الطيب المتنبي : ٣ : ٤٠٧.

(٢) النكت العصرية : ص٢٧٠، انظر أيضاً : ص٢٣٥.

(٣) ديوان ابن الساعاتي : ١ : ١٣٥.
انظر : الروضتين : ١ : ٩٥، ٢٥٧. ديوان أسامة بن منقذ : ص٢٠٩.
ديوان الملك الأمجد الأيوبي، دراسة وتحقيق : د. ناظم رشيد، مطبعة وزارة الأوقاف- العراق، د.ط سنة ١٩٨٣م : ص٣٢٣.

(٤) ديوان أبي الطيب المتنبي : ٣ : ٤١٦.

(٥) د. طه حسين : مع المتنبي -دار المعارف- القاهرة، ط١٢ سنة ١٩٨٠م : ص٧٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المتنبي : «فقد كان المتنبي يمدح سيف الدولة من غير شكّ، ولكنه لم يكن يصور سيف الدولة وحده، وإنما كان يصور معه نفسه، ويصور جماعة المسلمين المجاهدين»[١].

وحظيت الخيل التي يخوض عليها الفرسان غمرات القتال باهتمام شعراء الجهاد في هذا العصر، فوصفوها وهي مستقرة في مرابطها، وخلعوا عليها الصفات الجميلة، ووصفوا أعضاءها، كما بينوا فضلها واعتناء العرب بها[٢].

وذكر أبو الطيب الخيل في كثير من شعره[٣]، وتكرر لفظ الخيل في سيفياته ثماني وخمسين مرة، وتكرر لفظ الجياد عشرين مرة، وبالإضافة إلى ذلك تكررت مجموعة كبيرة من الألفاظ التي تدل على الخيل وصفاتها، وارتبط ذكر الخيل عنده بفكرة القوة والاندفاع نحو الأعداء.

واستفاد شعراء هذا العصر من تصوير المتنبي للخيل، فابن منير الطرابلسي يجعل خيل نور الدين زنكي تقوم مقام السهام في السرعة والإقدام، ويقول :

تدني لك الأمل البعيد سواهمُ محقت أهلّتها وكنّ بدورا
مثل السّهام لو ابتغى ذو أربع في الجو مطلباً لكن طيورا [٤]

وهذه الصورة مستمدة من قول أبي الطيب :

رمى الدّرب بالجرد الجياد إلى العدا وما علموا أن السهام خيول [٥]

ولكن أبا الطيب كان أكثر براعة في تشبيهه للخيل بالسهام من ابن منير حيث استخدام التشبيه المقلوب فجعل السهام مشبها والخيل مشبها به، وأراد من ذلك أن يبيّن سرعة خيله وقدرتها على الانطلاق في ميادين القتال. أما ابن

---

(١) مع المتنبي : ص ١٧٤.
(٢) انظر : ديوان ابن منير الطرابلسي : ص٢٢٦.
النكت العصرية : ص٢١٣.
الخريدة – قسم الشام : ١: ٤١٥، ٤٣٨.
(٣) ابن رشيق القيرواني : العمدة : ١ : ٤٠٣.
(٤) ديوان ابن منير الطرابلسي : ص٢٤٤.
(٥) ديوان أبي الطيب المتنبي : ٣ : ٣٣٨.
ديوان ابن قسيم الحموي : ص٣٦.
الروضتين : ١ : ١: ١١٦.
الخريدة – قسم مصر : ٢ : ٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

منير فأخذ التشبيه على أبسط صورة، ولكنه زاد صورته جمالاً بأن شبه الخيل وهي تندفع إلى أرض الأعداء فتبيدهم بالسهام التي تنطلق نحو الطير فتقتله، وهو بذلك يستفيد من صورة المتنبي ولا يستنسخها.

والخيل عند ابن منير الطرابلسي رافعة رماحها كما ترفع العقارب أذنابها، ولهذه الرماح من الطعن ما للعقارب من اللسع، يقول :

صبحت دمشق بمشق الجياد زبور الوغى بين أحدابها

وفاجأت «قورس» بالشّائلات تمج القنا سمّ أذنابها [1]

وقد حاكى في هذه الصورة قول أبي الطيب :

شوائل تشوال العقارب بالقنا لها مرحٌ من تحته وصهيل [2]

ويصور ابن منير وابن القيسراني سرعة خيول نور الدين زنكي تصويراً مليئاً بالحركة والنشاط، فلا تجدها في شعرهما إلا منطلقة نحو العدو، ولسرعتها تقذف فرسانها أمام الأعداء حتى يرى المهزوم خلف الهازم[3]. وهما بتصويرهما لحركة الخيل يقلدان المتنبي فقد ركّز كثيراً على عنصر الحركة[4]. وهذه الحركة تزيد الخيل قوة وسرعة، يقول ابن منير :

بعيشك يا مبيد الخيل ركضاً حمامٌ هنّ تحتك أم حمام [5]

وكأنه نظر إلى قول أبي الطيب في خيل سيف الدولة :

وخيل براها الركض في كلّ بلدةٍ إذا عرّست فيها فليس تقيل [6]

ويرسم المهذب بن الزبير صورة لافتة لخيل طلائع بن رزيك في المعركة، فالشجعان يزدادون شجاعة كلما سمعوا صهيلها، وأصواتها أجمل من أصوات المغنين، وهي تطرب من حماسة فرسانها، وتثمل من دماء الأعداء، وهي تواجه

---

(١) ديوان ابن منير الطرابلسي : ص٢٢٢.
قورس : مدينة بها آثار قديمة تقع في نواحي الشام. معجم البلدان : ٤ : ٤١٢.

(٢) ديوان أبي الطيب المتنبي : ٣ : ٣٣٩.

(٣) انظر : ديوان ابن منير الطرابلسي : ص٢١٨، ٢٤٤. شعر ابن القيسراني : ص ٢٧٨.

(٤) انظر : ديوان أبي الطيب المتنبي : ٣ : ٦٠، ١٥٢، ١٩٦، ٣٣٨، ٤٣١.

(٥) ديوان ابن منير الطرابلسي : ص٢٢٠.

(٦) ديوان أبي الطيب المتنبي : ٢ : ٣٤٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العدو بفرسانها مقبلة لا مدبرة، وتتلقى بجسدها طعنات الرماح وضربات السيوف، ومع ذلك لاتهاب، ولا تتراجع عن الإقدام، وتسابق الريح في ميدان الفروسية :

وهزهم لصهيل الخيل تحت صهيـ ـل البيض ماهزّ أعطاف القنا الخطل
فالدم حمر وأصوات الجياد لهم أصوات معبد في الأهزاج والرّمل
والخيل قد أطربتها مثلما طربوا أفعالهم فهي تمشي مشية الثّمل
من كل أجرد مختال بفارسه إلى الطّعان جريح الصدر والكفل
وكلّ سلهبةٍ للريح نسبتها لكنّها لو بغتها الريح لم تنل[1]

ويبدو أن المهذب في هذه الأبيات متأثر بقول المتنبي :

مازال طرفك يجري في دمائهم حتى مشى بك مشي الشّارب الثّمل
يا من يسير وحكم النّاظرين له فيما يراه وحكم القلب في الجذل
إن السّعادة فيما أنت فاعله وفقت مرتحلاً أو غير مرتحل
أجرِ الجياد على ما كنت مجريها وخذ بنفسك في أخلاقك الأول
ينظرن من مقلٍ أدمى أحجّتها قرع الفوارس بالعسّالة الذّبل
فلا هجمت بها إلاّ على ظفرٍ ولا وصلت بها إلا إلى أمل[2]

فخيل سيف الدولة وطلائع بن رزيك ثملة بالنصر، وتتمايل بفارسها كما يتمايل السكران، وتنظر من عيون قد أدماها قرع البطل للفوارس بالقنا.

وصور شعراء هذا العصر الخيل وهي تطأ بسنابكها هامات الأعداء، وتسبح في دمائهم، وتتعثر بأطرافهم، يقول العماد الأصفهاني :

معودةٌ خوض النجيع من العدى إذا انتجعته ألسن السّمر بالوخضِ

---

(١) الخريدة، قسم مصر : ١ : ٢٠٧
الخطل : الاضطراب والتحرك. لسان العرب : خطل.
معبد : وهو معبد بن وهب، وهو مغنٍ مشهور في العصر الأموي.
أبو الفرج الأصفهاني : كتاب الأغاني، تحقيق : دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، سنة ١٩٩٤م : ١ : ٦١.
السلهبة من الخيل : ما عظم وطال عظامه. لسان العرب : سلهب.

(٢) ديوان أبي الطيب المتنبي : ٣ : ٧٨
الأحجة : العظم الذي فوق العين . لسان العرب : حجج.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إذا حفيت منها النعال تنعّلت بهام عدى رضّت بها أيما رضّ [1]

واستوحى العماد الأصفهاني هذه الصورة من قول المتنبي :

يطأن من الأبطال من لا حملنه ومن قصد المرّان مالا يقوّم [2]

وقوله :

فخاضت نجيع الجمع خوضاً كأنّه بكلّ نجيع لم تخضه كفيل [3]

والدارس للنماذج الشعرية المصورة للخيل في هذا العصر فإنه يجد أن أصحابها قد تأثروا بصور جزئية عند المتنبي لا كلية، فالمتنبي عندما يصور الخيل فإنه يستمد صوره من قوة الأحاسيس والمشاعر التي تربط الفارس بجواده، وليس الجواد أقل شجاعة من صاحبه، فهو في شوق عظيم لمواجهة العدو والدفاع عن الديار، ومن ذلك قوله :

خرجن من النّقع في عارضٍ ومن عرق الرّكض في وابل

فلمّا نشفن لقين السياط بمثل صفا البلد الماحل

شفنّ لخمس إلى من طلب ن قبل الشّفون إلى نازل

فدانت مرافقهنّ البرى على ثقة بالدّم الغاسل

وما بين كاذتي المستغير كما بين كاذتي البائل

فلقّين كلّ ردينيّة ومصبوحة لبن الشّائل [4]

فمن يقرأ الأبيات السابقة يشعر أنه أمام بطلٍ مقدام يكر على الأعداء من غير خوفٍ أو جبن.

---

(١) ديوان العماد الأصفهاني : ص٢٦٦.
الوخض : الطعن. لسان العرب : وخض.
انظر : الخريدة – قسم مصر : ٢ : ١٤١، ٢٢٢.
ديوان ابن سناء الملك : ص١٢٠، ١٧٣
ديوان ابن الساعاتي : ١ : ١٧٢.
ديوان فتيان الشاغوري : ص١٥١.

(٢) ديوان أبي الطيب المتنبي : ٣ : ١٥٢.
القصد : ما تكسر من الرماح. لسان العرب : قصد.
المران : الرماح اللينة : لسان العرب : مرن.

(٣) ديوان أبي الطيب المتنبي : ٣ : ٣٤٢.

(٤) المصدر نفسه : ٣ : ٦٠.
شفن : نظرن، والشفون : النظر. لسان العرب : شفن.
البرى : الثرى. لسان العرب : برى
الكاذة : لحم الفخذ . لسان العرب : كوذ.
الشائلة : التي حملت وقل لبنها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويرسم شعراء هذا العصر للجيش الصليبي صورة واضحة في شعرهم، فهو جحفل جرار تضيق عليه الأرض بما رحبت، وفرسانه متسربلون بالحديد، يقول محمود الشيزري :

وأقبل ملك الروم في رعن شاهقٍ ... يضيق بأولاه فسيح الفضا الرّحب
خميسٌ كأن الأرض قد جمعت بـه ... فطبّقها ما بين شرق إلى غـرب
أتوا في سرابيل الحديد كأنهـم ... ليوثٌ وولّوا مشمعلّين كالسّرب [1]

ويقول ابن سناء الملك :

لم تلاق الجيوش منهـم ولكنّـ ... ـك لاقيتهم بلاداً ومدنـا
كل من يجعل الحديد لـه ثـو ... باً وتاجاً وطيلساناً وردنـا [2]

وقد ركز الشيزري وابن سناء الملك في تصويرها لجيش الإفرنج -كما هو ملاحظ- على الحالة النفسية للأعداء فقد أتوا إلى قتال المسلمين وهم متسربلون بالحديد لا يكاد يظهر منهم غير عيونهم، ولكنهم سرعان ما ولّوا الأدبار فارّين من ضربات سيوف المسلمين. وهذه الصورة مأخوذة من وصف المتنبي لجيش الروم، يقول :

أتوك يجرون الحديد كأنّهـم ... سروا بجياد مالهنّ قوائـم
إذا برقوا لم تعرف البيض منهـم ... ثيابهم من مثلها والعمائـم
خميسٌ بشرق الأرض والغرب زحفه ... وفي أذن الجوزاء منه زمـازم
تجمّع فيه كلّ لسـنٍ وأمّـةٍ ... فما يفهم الحداث إلاّ التراجـم [3]

وقد عد القدماء هذا الوصف من أحسن ما قيل في تصوير الجيوش العظيمة [4].

ويلاحظ أن الشيزري وابن سناء الملك لم يبلغا في تصويرهما لجيش الفرنج

---

(١) مسلم الشيزري : جمهرة الإسلام، ميكرو فيلم : ١ :٥٦.
(٢) ديوان ابن سناء الملك : ص٣٤١.
انظر : ديوان ابن منير الطرابلسي : ص١٩٨، ٢٥٣. ديوان أسامة بن منقذ : ص٢٢٦.
ديوان العماد الأصفهاني : ص٣٠٩. ديوان فتيان الشاغوري : ص٣١٩.
(٣) ديوان أبي الطيب المتنبي : ٣ : ٤٢٦.
(٤) يوسف البديعي : الصبح المنبي عن حيثية المتنبي، تحقيق : مصطفى السقا ومحمد شتا، دار المعارف- القاهرة، د.ط سنة ١٩٦٣م : ص١٨٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مبلغ صورة المتنبي، فأبو الطيب حشد في هذه الصورة مجموعة من الألفاظ والأصوات المعبرة عن المعنى الذي أراده، فالأعداء أتوا يجرون الحديد، وقوائم الخيل لا تظهر من كثرة ما حملت من السلاح، وبريق السيوف يختلط بلمعان ثيابهم، وقعقعة السلاح تمتزج بأصواتهم التي تتعالى حتى تعانق عنان السماء، وزاد على ذلك بأن جعل جيش الأعداء خليطاً من الأمم المختلفة، فلا يفهمون بعضهم إلا بوجود المترجمين. فصورة المتنبي أكثر دقة في اختيار الألفاظ وأروع تعبيراً. أما صورة الجيش الصليبي عند الشيزري وابن سناء فقد جاءت متأثرة بالمتنبي، ولكنها لم تفلت من عنان الصور التقليدية الموروثة.

واستخدم شعراء هذا العصر أسلوب المتنبي في إبراز صورة البطل والجيش الإسلامي، فقد لجأ المتنبي إلى أسلوب المقابلة بين صورة المسلمين في ساحة الوغى وصورة قائد الروم وجيشه، فبضدها تتبيّن الأشياء، وتتضح معالمها، وتعتبر قصيدة أبي الطيب «على قدر أهل العزم تأتي العزائم ... » خير نموذج على هذه الظاهرة، يقول المتنبي يصف بطله بعد أن وصف الأعداء :

تقطّع ما لا يقطع الدرع والقنا ... وفرّ من الفرسان من لا يصادم
وقفت وما في الموت شكٌّ لواقفٍ ... كأنّك في جفن الردى وهو نائم
تمر بك الأبطال كلمى هزيمةً ... ووجهك وضّاح وثغرك باسم
تجاوزت مقدار الشجاعة والنهى ... إلى قول قومٍ : أنت بالغيب عالم
ضمنت جناحيهم على القلب ضمةً ... تموت الخوافي تحتها والقوادم
بضرب أتى الهامات والنصر غائبٌ ... وصار إلى اللّبّات والنصر قادم
حقرت الردينيات حتى طرحتها ... وحتّى كأنّ السيف للرمح شاتم

وسرعان ما انتقل أبو الطيب بعد تصويره لجيش الروم وتوضيحه لصورة البطل إلى تصوير قائد الروم (الدمستق) وقد لبس ثوب الذل والعار بصور توحي بالسخرية والتهكم :

أفي كلّ يوم ذا الدمستق مقدم ... قفاه على الإقدام للوجه لائم
أينكر ريح الليث حتى يذوقه ... وقد عرفت ريح الليوث البهائم

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد فجعته بابنه وابن صهـــره وبالصّهر حملات الأمير الفواشـم
مضى بشكر الأصحاب في فوته الظّبا لما شغلتها هامهم والمعاصـــم
ويفهم صوت المشرفيّة فيهـم على أن أصوات السيوف أعاجـم

وبعد أن عرض موقف كل منهما في المعركة يقارن بين البطلين (الجيشين) في نص واحد، فيقول :

يسرّ بما أعطاك لا من جهالةٍ ولكن مغنوماً نجا منك غانـم
ولست مليكاً هازماً لنظيره ولكنّك التوحيد للشرك هازم
تشرّف عدنانٌ به لا ربيعـةٌ وتفتخر الدنيا به لا العواصم [1]

فالدمستق مسرور بما سلمه إلى سيف الدولة من أصحابه وأمواله لسلامته وهروبه من الموت، فالمهزوم إن نجا من عدوه كان غانماً، ويؤكد المتنبي أن الصراع بين المسلمين والروم هو صراع عقائدي، فالدمستق ملك الشرك وسيف الدولة بطل التوحيد. صورتان متقابلتان متضادتان، صورة توحي بالفخر والاعتزاز وأخرى توحي بالذل والعار.

وقد تأثر عدد من شعراء الجهاد في زمن الحروب الصليبية كابن منير، وابن القيسراني، وابن قسيم الحموي، وأسامة بن منقذ، وطلائع بن رزيك بأسلوب المتنبي في المقابلة بين الجيشين المتصارعين، وظهر هذا الأسلوب بوضوح في القصائد[2] التي عارض فيها ناسجوها قصيدة «على قدر أهل العزم تأتي العزائم..»، يقول ابن قسيم الحموي مادحاً عماد الدين زنكي :

أيلتمس الفرنج لديك عفـــواً وأنت بقطع دابرها زعيـم
وكم جرّعتها غصص المنايـــا بيوم فيه يكتهل الفطيـــم
فسيفك في مفارقهم خضيـب وذكرك في مواطنهم عظيم

---

(١) ديوان أبي الطيب المتنبي : ٣ : ٤٢٧-٤٣٤.

(٢) انظر : شعر ابن القيسراني : ص٣٧٤، ٣٧٧.
ديوان ابن قسيم الحموي : ص ١٠١.
ديوان طلائع بن رزيك : ص١٣٥.
ديوان ابن الساعاتي : ١ : ٢٠١ ، ٢ : ١٣٨.
النكت العصرية : ص ٢٠٧، ٣٣٥.
ديوان أسامة بن منقذ : ص٢٢٤.
ديوان ابن سناء الملك : ص ١٧٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكل محصّنٍ منهم أخيذ ... وكل محصّنٍ منهم يتيم

ولما ان طلبتهم تمنّى الـ ... منيّة جوسلينهم اللئيم

أقام يطوف الآفاق حيناً ... وأنت على معاقلهم مقيم

فسار وما يعادله مليك ... وعاد وما يعادله سقيم

يحاول أن يحاربك اختلاساً ... كما رام اختلاس الليث ريم

ألم تر أن كلب الروم امّا ... تبيّن أنّك الملك الرحيم

فجاء فطبّق الفلوات خيلاً ... كأنّ الجحفل الليل البهيم

وقد نزل الزّمان على رضاه ... فكان لخطبه الخطب الجسيم

فحين رميته بك في حميس ... تيقّن أنّ ذلك لا يدوم

وأبصر في المفاضة منك جيشاً ... فأحرن لا يسير ولا يقيم

كأنّك في العجاج شهاب نورٍ ... توقّد وهو شيطان رجيم

أراد بقاء مهجته فولّى ... وليس سوى الحمام له حميم [1]

فقد لجأ ابن قسيم إلى المقارنة بين صورة بطل عماد الدين زنكي وجيشه وصورة قائد الروم (جوسلين) وجنده، فكثيراً ما أعمل عماد الدين سيفه في رقاب الافرنج، وردهم عن ديار المسلمين خائبين من بعد ما يعدون أنفسهم أحسن إعداد، فهم يأتون إلى أرض الإسلام بجيش تضيق الأرض به، وقد تيقّنوا من النصر ولكن سرعان ما تتحطم أحلامهم، وتتضاءل آمالهم بالنصر عندما يواجهون فرسان المسلمين الذي يثخنونهم بالجراح، ويشتتون شملهم. وركز ابن قسيم على المقارنة بين بطل المسلمين وقائد الروم، فعماد الدين زنكي شهاب نور ينير بسيفه لجيشه درب الايمان والتضحية والفداء، وهو ملك رحيم بالمسلمين يقدم نفسه وأصحابه فداء للإسلام ودياره وأهله، أما قائد الروم (جوسلين) فهو شيطان رجيم يوقد نيران الحرب للقضاء على جنده، وعندما تشتد الحرب تجده أول الفارين مخلفاً وراءه أهله.

وهكذا فإنك تجد أن قصيدتي المتنبي وابن قسيم متشابهتان في الخطوط

---

(١) ديوان ابن قسيم الحموي: ص١٠١-١٠٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الرئيسية والتفصيلات الدقيقة. فمن الواضح أن ابن قسيم الحموي أخذ كثيراً من معاني قصيدة المتنبي وصورها.

واستحضر شعراء عصر الحروب الصليبية في تصويرهم للمصير الذي آل إليه قائد الفرنج وجيشه صورة الدمستق وجيشه عند المتنبي في قصيدته : «ليالي بعد الظاعنين شكول ... » و «على قدر أهل العزم تأتي العزائم ...» فقد رسم معظم شعراء هذا العصر صورة واضحة لهزائم الصليبيين أمام المد الإسلامي، فرؤوسهم تنثر في ساحة المعركة كما نثرت رؤوس أجدادهم على يد سيف الدولة فوق الأحيدب، وتقتات الجوارح على أشلائهم، والخيل تتعثر بالقنا المتكسر وجثث القتلى[١]. وعندما يفر الأعداء من معترك الوغى فإنهم لو ركضوا بعد ذلك بخيولهم في لهوات الطفل لما تأذى الطفل، فقد صاروا قلة لا حول لهم ولا قوة، يقول فتيان الشاغوري مصوراً عن ذلك :

لما رأوا أنهم من خوف سطوته ... نعام دوٍّ تبارى في نواحيه

أمسوا وركضهم لو كان في لهوات ... الطفل ما كان ذاك الركض يؤذيه[٢]

واستمد الشاغوري هذا المعنى من قول أبي الطيب :

وضاقت الأرض حتّى كان هاربهم ... إذا رأى غير شيء ظنّه رجلا

فبعده وإلى ذا اليوم لو ركضت ... بالخيل في لهوات الطفل ما سعلا [٣]

ومما يسترعي الانتباه أن شعراء هذا العصر قد تنبهوا -كما تنبه المتنبي من قبلهم- إلى ما يمكن تسميته اليوم بـ «الحرب النفسية» سلباً وإيجاباً، فقد ركز الشعراء على تصوير نفسية الأعداء المتخاذلة المهزومة على الرغم من كثرة جيوشهم وضخامة قوتهم، ومقابل ذلك صوروا ثبات البطل المسلم المجاهد

---

(١) انظر :

ديوان أسامة بن منقذ : ص٢٢٤.

ديوان طلائع بن رزيك : ص١٣٦.

ديوان فتيان الشاغوري : ص١٤٤.

ديوان شرف الدين الأنصاري : ص١٥٨.

ديوان العماد الأصفهاني : ص٢٥٤.

ديوان ابن سناء الملك : ص٣٢٣.

ديوان ابن عنين : ص ٢١.

(٢) ديوان فتيان الشاغوري : ص٥٩٢.

(٣) ديوان أبي الطيب المتنبي : ١ : ٦٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وصبره على الشدائد وإقدامه في الحرب. وهذه الصور أثرت تأثيراً سلبياً في الأعداء، فنشرت بينهم الرعب والفزع، وكان لها تأثير إيجابي في المسلمين، فغرست فيهم الشجاعة والثقة بالنفس، يقول العماد الأصفهاني مادحاً نور الدين زنكي :

أماتها رعبك في حصونها ... كأنّما حصونها لحودها [١]

ويقول عمارة اليمني :

ولم يزل عندهم منعٌ ومقدرةٌ ... وأمرهم مستمر غير مضطرب

حتى نهضت فلم تنهض قوائمهم ... والرعب يخفق في الأحشاء والركب[٢]

ويقول ابن الساعاتي :

حطت البلاد وما سللت لحفظها ... سيفاً ورعت وما هززت مثقّفا [٣]

وأخذوا هذه المعاني من قول أبي الطيب :

قد ناب عنك شديد الخوف واصطنعت ... لك المهابة مالا تصنع البهم

عليك هزمهم في كلّ معترك ... وما عليك بهم عارٌ إذا انهزموا [٤]

وقوله :

بسط الرّعب في اليمين يميناً ... فتولّوا وفي الشّمال شمالا [٥]

ولم يقف شعراء الحرب في هذا العصر عند مواطن النصر وحدها، ولكنهم صوروا ما حلّ بالمسلمين من نكبات مع أن الشاعر العربي -كما يرى الدكتور نصرت عبد الرحمن- ليس بالشاعر الذي يصور الهزائم، أو يتحدث عنها، وإنما هو شاعر النصر، الذي يمجد البطولة والأبطال[٦]. ولعل قصيدة ابن الدهان الموصلي التي مطلعها :

---

(١) ديوان العماد الاصفهاني : ص١٤٥. انظر أيضاً : ص ١٢٦، ٢٤٢.

(٢) النكت العصرية : ص١٧٩.

(٣) ديوان ابن الساعاتي : ٢ : ١٥٠.
انظر : ديوان ظافر الحداد : ص٥٠، ٧٤، ١٨٠، ١٩٢. ديوان ابن سناء الملك : ص٩، ١٢، ١٥، ١٣٤.
ديوان شرف الدين الأنصاري : ص ١٦١، ٣٥٠.

(٤) ديوان أبي الطيب المتنبي : ٣ : ٢٥٠.

(٥) المصدر نفسه : ٣ : ٥٠٩.

(٦) شعر الصراع مع الروم : ص٩٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ظبى المواضي وأطراف القنا الذّبل ضوامن لك ما حازوه من نفـــل[1]

خير نموذج يمثل الشعر المصور لهزائم المسلمين أمام الفرنج، وقد نهج الموصلي في قصيدته نهج أبي الطيب عندما وصف هزيمة سيف الدولة سنة ٣٣٩هـ، ومطلع قصيدته :

غيري بأكثر هذا النّاس ينخدع إن قاتلوا جبنوا أو حدّثوا شجعوا [2]

والدارس للقصيدتين يجد أن ابن الدهان قد نسج قصيدته على منوال قصيدة المتنبي، وتشابهت القصيدتان في كثير من القضايا، وفيما يلي دراسة لنقاط التشابه بينهما.

أولاً - التشابه في الظروف التاريخية

جمع سيف الدولة سنة ٣٣٩هـ ثلاثين ألف فارس، وسار إلى قيسارية والفندق وسمندو[3] وعبر نهر آلس إلى خرشنة[4] فقتل وسبى، ثم سار إلى صارخة[5] وقاتله الروم فيها بقيادة الدمستق، فانتصر عليه سيف الدولة، وأسر مائة وعشرين من البطارقة، وغنم أموالاً كثيرة. وعندما أراد سيف الدولة العودة بجيشه إلى حلب سد عليه الروم الطريق، وحاصروهم في مضيق صعب، وألقوا عليهم الصخور من قمم الجبال، وقتلوا معظم من كان مع سيف الدولة، ولهذا سميت هذه الغزوة بالمصيبة[6].

وهذه الظروف لا تختلف كثيراً عن الظروف التي قال فيها ابن الدهان

---

(١) ديوان ابن الدهان : ص٧٠.

(٢) ديوان أبي الطيب المتنبي : ٣ : ١٧٦.

(٣) قيسارية : مدينة قديمة تقع جنوب نهر الهالس وسط تركيا. كافار ماريوس، نخب تاريخية وأدبية جامعة لأخبار الأمير سيف الدولة الحمداني، الجزائر سنة ١٩٣٤م : ص٨٧.
الفندق : موقع كان قرب المصيصة. كافار : نخب تاريخية : ص٨٧.
سمندو : مدينة إغريقية تقع على مرتفع الكرمالاس. كافار : نخب تاريخية : ص٨٧.

(٤) بلدة قرب ملطية . معجم البلدان : ٢ : ٣٥٩.

(٥) مدينة بيزنطية تقع بالقرب من القسطنطينية. معجم البلدان : ٣ : ٣٨٨.

(٦) ابن ظافر الأزدي : أخبار الدولة الحمدانية، مقتطع من مخطوط : أخبار الدول المنقطعة، تحقيق : تميمة رواف، دار حسان، ط١ سنة ١٩٨٥م : ص٣٢.
ابن العديم : زبدة الحلب : ١ : ١٢١ -١٢٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قصيدته، ففي سنة ٥٥٨هـ جمع نور الدين زنكي عساكره، ودخل بلاد الافرنج قاصداً طرابلس، فنزل بالبقيعة تحن حصن الأكراد، ولكن الصليبيين هاجموهم من وراء الجبل الذي عليه الحصن، وهم في خيامهم وسط النهار، فحاول المسلمون ردهم، ولكنهم سرعان ما انهزموا، فأكثر الإفرنج القتل والأسر، وقصدوا خيمة الملك العادل، فخرج عن ظهر خيمته وركب فرساً وفرّ[١].

وأشار أبو شامة المقدسي إلى هذا التشابه ويقول : «حاول ابن أسعد في هذه القصيدة ما حاوله المتنبي في قوله : «غيري بأكثر هذا الناس ينخدع...» فإن كل واحد منهما اعتذر عن أصحابه ومدحهم وهم المنهزمون، وقد أحسنا معا»[٢].

ثانياً - التشابه في مقدمة القصيدتين

بدأت كلتا القصيدتين بذكر نتيجة المعركة، ويصور أبو الطيب في مقدمة قصيدته أثر الهزيمة فيه، فهو حزين ويائس، وساخط على الحياة التي تأتي بما لا يسره، وغاضب كل الغضب على من يدعون الشجاعة قولاً، ولكنهم في ساحة الوغى يكونون أول الفارين من المواجهة، فهم في ألسنتهم شجعان، وفي القتال جبناء، يهابون الموت المشرّف، ويرغبون بالحياة الذليلة. وسرعان ما ينتقل المتنبي في البيتين الخامس والسادس إلى حث سيف الدولة والمسلمين للأخذ بالثأر، ولكنه يلمح بذلك تلميحاً، ولا يصرح به مباشرة، فيؤكد أن المجد والعز يكسبان بالسيوف، فعلى المرء أن يحقق آماله بها، أو يقتل بها، فهي داء ودواء :

أأطرح المجد عن كتفي وأطلبه ... وأترك الغيث في غمدي وأنتجع ؟!

والمشرفيّة لازالت مشرّفـــةً ... دواء كلّ كريم أو هي الوجـــع[٣]

ويبدأ ابن الدهان قصيدته بما انتهى إليه أبو الطيب في مقدمته، فهو يرى أن القوة خير وسيلة لاستعادة ما حازه الأعداء، وغسل عار الهزيمة، وبها يصبح

---

(١) الروضتين : ١ : ١ : ٣١٨.

(٢) الروضتين : ١ : ١ : ٣١٨.

(٣) ديوان أبي الطيب المتنبي : ٣ : ١٧٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الإنسان صاحب عز وبأس ومهاباً جانبه :

ظبى المواضي وأطراف القنا الذّبل ضوامن لك ما حازوه من نفل
وكافلٌ لك كافٍ ما تحاوله عزٌ وعزمٌ وبأسٌ غير منتحل[1]

ثالثاً - تصوير الهزيمة

اعترف أبو الطيب بالهزيمة ولكن اعترافه جاء مجملاً وغامضاً، فلم يتعرض إلى أسبابها وأثرها في جيش سيف الدولة، وأراد من ذلك أن يقلل من عظمة انتصار الروم، ليبعث الحماسة في المسلمين، ويبعد عنهم الجزع والفزع، ويعيد إليهم الثقة بالذات، ولتحقيق ذلك تجده يتوعد الروم وينذرهم، ويذكرهم بالهزائم التي أصابتهم على يد سيف الدولة وجيشه. ويعترف المتنبي أن الروم قد أسروا عدداً من المسلمين. ولكنهم لم يأسروا أحداً ذا منزلة، فأسراهم من الضعفاء والمتخاذلين والمتقاعسين الذين ألقوا أنفسهم بين القتلى، وخضبوا أجسادهم بدماء الموتى وأشباه الموتى :

قل للدّمستق : إنّ المسلمين لكم خانوا الأمير فجازاهم بما صنعوا
وجدتموهم نياماً في دمائكم كأنّ قتلاكم إيّاهم فجعوا
ضعفى تعفّ الأعادي عن مثالهم من الأعادي وإن همّوا بهم نزعوا
لا تحسبوا من أسرتم كان ذا رمق فليس يأكل إلاّ الميّت الضبع[2]

ويرى ابن الدهان أن انتصار الفرنج على المسلمين لم يكن نتيجة تعاظم قوة الصليبيين وتقهقر المسلمين، وإنما كان بسبب مكر الأعداء وخديعتهم. ولم يكتف الموصلي بأن يعترف بالهزيمة من غير أن يبين أسبابها كالمتنبي، فهو يؤكد أن جيش نور الدين قد هزم في هذه الموقعة لما أصابهم من غرور بعددهم وعدتهم، فهزموا كما هزم المسلمون زمن الرسول [ﷺ] يوم حنين :

جيشٌ أصابتهم عين الكمال وما يخلو من العين إلاّ غير مكتمل

---

(١) ديوان ابن الدهان : ص٧٠.
(٢) ديوان أبي الطيب المتنبي : ٣ : ١٨٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لهم بيوم حنين أسوةٌ وهـــم خير الأنام وفيهم خاتم الرســل[١]

ويقلل ابن الدهان كما قلل المتنبي من قبله من شأن المسلمين الذين وقعوا في أسر الصليبيين، فهم أصاغر المسلمين وأضعفهم :

بني الأصيفر مانلتم بمكركـــم والمكر في كلّ إنسان أخو الفشــل
وما رجعتم بأسرى خاب سعيكـم غير الأصاغر والأتبـاع والسّفـــل
سلبتم الجرد معراةً بلا لُجُـــمٍ والسّمر مركوزة والبيض في الخلل
هل أخذ الخيل قد أردى فوارسها مثال أخذها في الشّكل والطـــول
أم سالب الرمح مركوزاً كسالبـه والحرب دائرةٌ من كفّ معتقـــل[٢]

فـابن الدهان يقلل من شـأن الإفـرنج عن طريق تأكيـده أن نصـرهم على المسلمين جاء بالمكر والخديعة لا الشجاعة والفروسية، وعن طريق تقليله من مكانة المسلمين الذين وقعوا في أسرهم، فهم أصاغر المسلمين وأقلهم شجاعة ودراية بالحرب، فشتان بين من يسلب الخيل من مرابضها ومن يسلبها وفرسانها عليها في ميدان القتال، فالافرنج جبناء حتى في مواطن النصر، فهم ينتهزون فرصة توقف المسلمين عن القتال ليغيروا عليهم ويأخذوا منهم الأسرى.

رابعاً - صورة البطل

صور أبو الطيب بطله في هذه القصيدة فارساً مقداماً، يواجه الروم وحده، ويمنع جيشه من الأعداء، ويذب عنه بسيفه، وعندما يقهر فإنه يغضب لذلك، ولكن الغضب لا يفقده عقله وأخلاقه وتوازنه :

وفارس الخيل من خفّت فوقّرها في الدّرب والدّم في أعطافها دفع
وأوحدته وما في قلبه قلـــقٌ وأغضبته وما في لفظه قـــذع
بالجيش تمتنع السادات كلّهم والجيش بابن أبي الهيجاء يمتنع[٣]

وينزه المتنبي بطله عن عار الهزيمة، ويرى أنّ العار والذل على الذين فروا

---

(١) ديوان ابن الدهان : ص٧٣.
(٢) المصدر نفسه : ص٧٣.
(٣) ديوان أبي الطيب المتنبي : ٣ : ١٧٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من معترك الوغى، وآثروا السلامة على القتال، وخذلوا بطلهم وتركوه يواجه الروم وحده. ويؤكد أن بطله أعلى من أن تضع الهزيمة من قدره وعظمته، أو يرفع الظفر محله، لأنه فوق الشمس :

تمشي الكرام على آثار غيرهم ... وأنت تخلق ما تأتي وتبتدعُ
وهل يشينك وقت كنت فارسه ... وكان غيرك فيه العاجز الضّرع
من كان فوق محلّ الشّمس موضعه ... فليس يرفعه شيءٌ ولا يضع
لم يسلم الكرّ في الأعقاب مهجته ... إن كان أسلمها الأصحاب والشّيع (١)

وبرّأ ابن الدهان بطله نور الدين زنكي من المسؤولية عن الهزيمة، وأنحى باللائمة على من فر من مواجهة العدو، وألحق عار الكسرة بهم، فهم الذين فضلوا الفرار على القتال، وأسلموا صاحبهم للعدو، وتفرقوا عنه، فأخذ يصارع الأعداء بمفرده كأنه جيش لهام، فالمجد كل المجد له، والذل كل الذل لهم :

قل للمولّيين كفّوا الطرف من جبنٍ ... عند اللقاء وغضّوا الطرف من خجل
طلبتم السّهل تبغون النجاة ولو ... لذتم بملككم لذتم إلى الجبل
أسلمتموه ووليّتم فسلّمكم ... برفقةٍ لو بغاها الطّود لم ينل
مسارعين ولم تنثل كنائنكم ... والسّمر لم تبتذل والبيض لم تذل
ولا طرقتم بوبل النّبل طارقةً ... ولا تغلغلت الأسياف في القلل
فقام فرداً وقد دلّت عساكره ... فكان من نفسه في جحفل زجل
في مشهد لو ليوث الغيل تشهده ... خرّت لأذقانها من شدّة الوجل
وسط العدى وحده ثبت الجنان وقد ... طارت قلوبٌ على بعدٍ من الوهل (٢)

وابن الدهان في هذا المحور من القصيدة يقابل بين صورة بطله نور الدين وصورة بعض أفراد جيشه الذين تخلّوا عنه، فنور الدين فارس مقدام، يحمي أمته بسيفه، ويقوم نفسه فداء لها،، وهو جيش جرّار يواجه الأعداء وحده، ويثبت أمامهم من غير خوف ولا وجل ثبوت الجبال في أماكنها. أمّا من فرّوا من ساحة

(١) ديوان أبي الطيب المتنبي : ٣ : ١٨٩.
(٢) ديوان ابن الدهان : ص٧٤-٧٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

القتال فقد ألبسوا أنفسهم ثوب العار، وفضلوا الحياة الذليلة على الموت المشرّف، فالعار كلّ العار لهم.

خامساً- خاتمة القصيدتين

يؤكد المتنبي في خاتمة قصيدته نقطتين رئيستين، أما الأولى فهي أن الهزيمة التي ألمت بالمسلمين زلة من الأيام، ولذلك أقبل الدهر يعتذر من البطل عن هذا الخطأ، ويضع نفسه طوع أمره. والثانية : الإعلاء من شأن القوة، وتعظيم من يقدر عليها، فالسيف ينتظر معاودة غزو الأعداء والانقضاض عليهم، لتلافي ما حدث :

الدهر معتذرٌ والسّيف منتظرٌ وأرضهم لك مصطافٌ ومرتَبَعُ[1]

ولكن لن يقدر على هذا الأمر إلا كل شجاع :

إنّ السلاح جميع النّاس تحمله وليس كلّ ذوات المخلب السّبُعُ[2]

ويشجع الموصلي في خاتمة قصيدته بطله على إعداد العدة للأخذ بالثأر، ولا سيما أن الله مؤيد له، وسيعينه على تحقيق مراده :

والله عونك فيما أنت مزمعه كما أعانك في أيّامك الأول [3]

ويمكن القول : إن الشاعرين قد أدركا أثر الشعر في النفس الإنسانية، فرفضا أن يبكيا الهزيمة، ويندبا ما حدث للمسلمين، لمعرفتهما أن ذلك يضعف الأمة، وللأمر ذاته جعلا بطليهما شامخين شموخ الجبال، وقادرين على أن يعيدا للأمة كرامتها وعزها.

* الفخـــر

اعتد كثير من شعراء عصر الحروب الصليبية بأنفسهم، وأنسابهم، وأخلاقهم، وفروسيتهم، وشعرهم. وتأثر بعضهم بشعر المتنبي في الفخر، يقول أسامة بن

(١) ديوان أبي الطيب المتنبي : ٣ : ١٩١.
(٢) المصدر نفسه : ٣ : ١٩٢.
(٣) ديوان ابن الدهان : ص٧٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

منقذ معلناً رفضه للضيم :

يأبى احتمال الضيم لي خلـــقٌ فيه على ما رابني صلـــف[١]

فلا فخر لمن يلحقه ضيم أو ذل، ويفضل ابن عنين الموت على الحياة الذليلة، ويرفض الإقامة بدمشق على الرغم من حبه لها لشعوره بالضيم فيها، فهو صاحب نفس أبيّة، وهمة فوق السّماك :

ووالله ما فارقتها عن ملالـــةٍ سواي عن العهد القديم يحـول

ولكن أبت أن تحمل الضيم همّتي ونفسٌ لها فوق السّماك حلول

فإنّ الفتى يلقى المنايا مكرمـــاً ويكره طول العمر وهو ذليـل[٢]

وهذه الأبيات مستوحاه من قول أبي الطيب :

لا افتخار إلاّ لمـــن لا يضـــام مدرك أو محارب لا ينـــام[٣]

وقوله :

لتعلم مصر ومـــن بالعـــراق ومن بالعواصم أنّي الفتـــى

وأنّي وفيت وأنّـــي أبيـــت وأنّي عتوت على من عتـــا

وما كلّ من قال قـــولاً وفـــى ولا كلّ من سيم خسفـاً أبـى[٤]

ومن يأبَ الذل والضيم يكون صاحب همة عالية، تحقّر له كل مطلب، وتقصر له غاياته، وكأن العماد الأصفهاني نظر في قوله :

لي همةٌ تأبى الدّنايا قـد سمـــت وأعز نفسي بأسها وعزوفهـــا[٥]

وقوله :

لمّا علت همّتي صيرتها وطنـــي وليس يقنع غير الدون بالـدون[٦]

إلى قول المتنبي :

تحقّر عندي همّتي كـــلّ مطلـبٍ ويقصر في عيني المدى المتطاول

---

(١) ديوان أسامة بن منقذ : ص٢٠٦. انظر أيضاً : ص١٩٢، ٢٠٠، ٢٤٢.

(٢) ديوان ابن عنين : ص٧٠.

(٣) ديوان أبي الطيب المتنبي : ٢ : ٢١٩.

(٤) المصدر نفسه : ٤ : ١٩٦.

(٥) ديوان العماد الأصفهاني : ص٣٠٥.

(٦) المصدر نفسه : ص٤٣٢. انظر : ديوان أسامة بن منقذ : ص٢٤٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن يبغ ما أبغي من المجد والعلى تساوى المحايي عنده والمقاتل[١]

وقوله :

وإذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الأجسام[٢]

فصاحب الهمة لا يعبأ بالمعوقات، ولا يرضى بدنايا الأمور، وتتساوى عنده مواضع الحياة والموت، فمن يطلب المجد والعلا يخاطر بالعظيم.

واستفاد المهذب بن الزبير من أبيات المتنبي السابقة في قوله :

وسوف أرمي بنفسي كلّ مهلكةٍ تسري بها الشّهب إن سارت على خطر

إمّا العلا وإليها منتهى أملي أو الردى وإليه منتهى البشر[٣]

ويؤكد تاج الملوك الأيوبي أن العظيم وحده يتصف بالهمة العالية، ويطلب الأمور العظيمة، فالذليل يقنع بصغائر الأمور :

ما يحمل الأمر العظيم من الورى ذو سؤددٍ حتّى يكونَ عظيماً [٤]

وأخذ هذا المعنى من قول أبي الطيب في رثاء محمد بن إسحاق التنوخي :

صبراً بني إسحاق عنه تكرماً إن العظيم على العظيم صبور [٥]

ويلاحظ أن تاج الملوك قد نقل المعنى من الرثاء إلى الفخر.

ويصور ابن سناء الملك نفسه جسوراً لا تؤثر فيه نكبات الزمان، ولا يهاب الدهر، ولا تستطيع الأيام أن تضعف همته أو تحول بينه وبين مراده، ونفسه الأبية قهرت الدهر وجعلته عبداً لها، ويحتقر من الناس من لم يتحلّ بمثل صفاته احتقاراً شديداً، يقول :

سواي يخاف الدّهر أو يرهب الرّدى وغيري يهوى أن يكون مخلّدا

ولكنّني لا أرهب الدّهر إن سطا ولا أحذر الموت الزؤام إذا عدا

ولو مدّ نحوي حادث الدهر طرفه لحدّثت نفسي أن أمدّ له يدا

---

(١) ديوان أبي الطيب المتنبي : ١ : ١٢٦.

(٢) المصدر نفسه : ٣ : ٣٠.

(٣) الخريدة – قسم مصر : ١ : ٢٢٥.

(٤) ديوان تاج الملوك الأيوبي : ص ٢٣٥.

(٥) ديوان أبي الطيب المتنبي : ١ : ٢٦٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

توقد عزمي يترك الماء جمـــرةً وحلية حلمي تترك السّيف مبردا
وفرط احتقاري للأنـام لأنّنـي أرى كلّ عارٍ من خلا سؤددي سدى
ويأبى إبائي أن يراني قاعـداً وألاّ أرى كلّ البريّـة مقعـدا
(وقدماً أصبح الدهر أشيبـاً) وبي بل بفضلي أصبح الدّهر أمردا
وإنّك عبدي يا زمان وإنّنـي على الكره منّي أن أرى لك سيّدا [1]

وهو يحاكي في هذا النص قول أبي الطيب :

أمثلي تأخذ النّكبات منـه ويجزع من ملاقاة الحمـام ؟
ولو برز الزّمان إليّ شخصاً لخضّب شعر مفرقه حسامي
وما بلغت مشيّتها اللّيالي ولا سارت وفي يدها زمامي
إذا امتلأت عيون الخيل منّي فويلٌ في التيقّظ والمنـام [2]

ويشير ابن سناء الملك في البيت السابع إلى قول المتنبي «ولو برز الزمان ...» فأبو الطيب جعل الدهر أشيب وقد خضبه بسيفه، أما ابن سناء الملك فقد كان أكثر غلواً ومبالغة فجعل الدهر أمرد.

ويأخذ ابن عنين عن المتنبي تعصبه للعرب، فهو يفخر بهم، ويتغنى بمجدهم وعزهم وشرفهم...، ويجعلهم أحق الأمم في سيادة العالم، وفي المقابل يذم الأعاجم ويرفض مدحهم :

فكيف تبيت تطمع في مديحي رجاء نوالها العجم الخساس
إذا طمعٌ كسا غيري ثيابـاً يذلّ لها كساني العزّ ياس
ولو أنّي مدحت ملوك قومي تراغت حوليَ النّعم الدّخاس
فإنّ النّاس في طرق المعالي لهم تبعٌ وهم للنّـاس راس [3]

ويرى أبو الطيب أن العجم لا همم لهم، ولا يصلحون لقيادة الأمم، ولن يفلح العرب إذا كان ملوكهم من العجم، فهم ليسوا أهل أدب ولا نسب ولا شرف :

---

(١) ديوان ابن سناء الملك : ص٥٥٩.
(٢) ديوان أبي الطيب المتنبي : ١ : ٢٠١.
(٣) ديوان ابن عنين : ص٣٣.
الدخاس : العدد الكثير . لسان العرب : دخس.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وإنّما النّاس بالملوك ومـــا تفلح عربٌ ملوكهـا عجـــم
لا أدبٌ عندهم ولا حســـبٌ ولا عهودٌ لهـــم ولا ذمـــم[1]

وحاول بعض شعراء هذا العصر أن يتخذوا من الممدوح مثالاً لهم يخاطبونه مخاطبة الند للند، والنظير للنظير، لا مخاطبة الشاعر المتكسب لممدوحة، وهم بذلك ينهجون نهج أبي الطيب في مخاطبة ممدوحيه، فهو يعظم الممدوح، ويعلي من شأنه، ولكنه لا ينسى نفسه، ولا يذوب في شخصية الممدوح، وإنما يذكر نفسه باستمرار ويعطيها حقها وقدرها، ويضع كل ذلك أمام ممدوحه دون مواربة أو تلميح[2] فهو يتوحد مع ممدوحه، ويشترك معه في كثير من صفاته التي يعتز بها كالعروبة والشجاعة والاعتداد بالنفس والطموح ... وممدوحه صورة مثالية يرى فيها نفسه، كما يري فيها طموحه وأخلاقه، فطباعه تدانيه في معاني الحق والخير والجمال، وفيه الفارس المثالي والبطل النموذج والأمل المرجو [3]. ومن ذلك قوله في قصيدة مدح بها بدر بن عمار :

كذا الدّنيا على من كان قبلـي صروف لم يدمن عليه حـــالا
أشدّ الغمّ عندي في ســـرورٍ تيقّن عنه صاحبه انتقـــالا
ألفت ترحّلي وجعلت أرضـي قتودي والغريريّ الجـــلالا
فما حاولت في أرضٍ مقامـاً ولا أزمعت عـــن أرضٍ زوالا
على قلقٍ كأن الريح تحتـــي أوجهها جنوباً أو شمـــالا
إلى بدر بن عمّار الّذي لـــم يكن في غرّة الشّهر الهـــلالا
ولم يعظم لنقصٍ كان فيـــه ولم يزل الأمير ولن يـــزالا
بلا مثلٍ وإن أبصرت فيـــه لكلّ مغيّبٍ حسنٍ مثـــالا [4]

فهو يتخذ من بدر بن عمار صديقاً له لا أميراً، وحديثه له فيه السمو والأنفة

---

(١) ديوان أبي الطيب المتنبي : ١ : ٣٢٦.
(٢) د. عبد الفتاح نافع : لغة الحب في شعر المتنبي، دار الفكر- عمان، ط١ ١٩٨٣م : ص١٦٥.
(٣) د. مصطفى أبو العلا : شعر المتنبي – دراسة فنية، مكتبة نهضة الشرق- القاهرة سنة ١٩٨٦م : ص١٢٤.
(٤) ديوان أبي الطيب المتنبي : ٢ : ١٤٥.
القتود : خشب الرحل . لسان العرب : قتد.
الغريري : فحل منسوب إلى غرير. لسان العرب : غرر.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويرفع من قيمة نفسه، ويفتخر بشعره وفروسيته وعلوّ قدره ومنزلته، وكل ذلك جعله يسمو على من حوله، وصار الدهر خادماً له. وتجدر الإشارة إلى أن الشاعر أسامة بن منقذ والملك الصالح طلائع بن رزيك كانت تربطهما علاقة صداقة حميمة حتى أنهما تبادلا الرسائل شعراً، وكان كل منهما يحث الآخر على جهاد الصليبيين[١].

وطلب ابن سناء الملك من ممدوحه صلاح الدين الأيوبي أن يوليه الإمارة، يقول :

فدًى لابن أيّوب الملوك لأنّهم ... إذا بخلوا أعطى وإن افقروا أغنى

ترى كلّ من يعطي المئين عفاته ... فدى ملك يعطي الأقاليم والمدنا [٢]

ويقول :

يهب المدن والأقاليم لمّا ... جلّ أن يجعل اليباب نضارا [٣]

وقد سبقه إلى ذلك أبو الطيب، إذ يقول مخاطباً سيف الدولة :

فتًى يهب الإقليم بالمال والقرى ... ومافيه من فرسانه وكرامه [٤]

ويقول مادحاً كافور الأخشيدي :

أبا المسك هل في الكأس فضلٌ أناله؟ ... فإنّي أغنّي منذ حين وتشرب

وهبت على مقدار كفّي زماننا ... ونفسي على مقدار كفّيك تطلب

إذا لم تنط بي ضيعةً أو ولايةً ... فجودك يكسوني وشغلك يسلب [٥]

واحتذى شعراء هذا العصر حذو المتنبي في افتخاره بشعره، فقد أعلوا من قيمة شعرهم معنى وفنا، وجعلوه يسمو على كل شعر، فهو كالحدائق الغناء، يقول ابن الخياط :

لقد حدقت بي من أياديك أنعمٌ ... فعندي من شكري لهنّ حدائق[٦]

---

(١) انظر : د. عبد الجليل عبد المهدي : بيت المقدس في أدب الحروب الصليبية :ص٤٠

(٢) ديوان ابن سناء الملك : ص٣٢١.

(٣) المصدر نفسه : ص١٣٦.

(٤) ديوان أبي الطيب المتنبي : ٣ : ٤٨٧.

(٥) المصدر نفسه : ٤ : ١٠٧.

(٦) ديوان ابن الخياط : ص٣٠٨، انظر أيضاً : ص٢٦٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويقول ابن الساعاتي :

ولقد أزرتك من حدائق منطقي ... ما سار في الدّنيا مباحاً صيّنـــا

سقيت منابته هواك فأطلعت ... زهراً ولكن بالمسامع يجتنـــى[١]

ويقول الملك الأمجد :

سأبعثها تحكي الرياض أنيقةً ... يوشّعها لفظي فتصبي رقومهـــا[٢]

وهذه الأبيات تشبه قول أبي الطيب :

حملت إليه من لساني حديقةً ... سقاها الحجا سقي الرّياض السّحائب[٣]

ويقول ابن الخياط مادحاً عضب الدولة :

وعندي على العلاّت درّ قرائـــحٍ ... حوى زبد الأشعار ماخضٌ وطبـــه[٤]

ويقول العماد الأصفهاني مادحاً صلاح الدين :

أصداف درّي إليك أحملهـــا ... وعن جميع الملوك أصرفـــها[٥]

ويقول القاضي الجليس[٦] مفتخراً بشعره :

خذها إليك بماء الطبع قد شرقت ... لو مازج البحر منها لفظه عذبـــا

جوالة بنواحي الأرض ممنعـــةً ... في السير لا تشتكي أيناً ولا نصبا

الفاظها الدر تحقيقاً ومن عجبٍ ... تملي على البحر در البحر مجتلبا[٧]

واستمدوا هذه الصورة من قول المتنبي :

إنّي نثرت عليك درّاً فانتقـــد ... كثر المدلّس فاحذر التدليســـا[٨]

---

(١) ديوان ابن الساعاتي : ٢ : ٤٧.

(٢) ديوان الملك الأمجد : ص١٠٠. انظر أيضاً : ص٢٧٣، ٢٧٨.
انظر : الخريدة – قسم مصر : ١ : ٢١٥. ديوان البهاء زهير : ص٢١٠.

(٣) ديوان أبي الطيب المتنبي : ٢ : ٤٤٣.

(٤) ديوان ابن الخياط : ص ١٧٦. انظر أيضاً : ص١٩١، ٢٦٠.

(٥) ديوان العماد الأصفهاني : ص ٣١١.

(٦) هو أبو المعالي عبد العزيز بن الحسين بن الحباب الأغلبي التميمي.
انظر : الخريدة – قسم مصر : ١ : ١٨٩.

(٧) المصدر نفسه : ١ : ١٩٧. انظر أيضاً : ٢ : ٨٥، ٢٢٢.
انظر : ديوان ابن منير الطرابلسي : ص٢٣٨. شعر ابن القيسراني : ص ٣٨٠.
الخريدة – قسم الشام : ١ : ١٨٤، ٢٤٠. ديوان ابن سناء الملك : ص٢٥٥.
ديوان الشاب الظريف : ص٥٩، ١٩٠.

(٨) ديوان أبي الطيب المتنبي : ١ : ٢١٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقوله :

لك الحمد في الدرّ الذي لي لفظه فإنّك معطيه وإنّـي ناظـــم[١]

وأخذ ابن سناء الملك قولة :

وفيك تملكـــت درّ الكـــلام وأبقيت للعالَم المخشلـــب[٢]

من قول أبي الطيب :

بياض وجه يريك الشمس حالكةً ودرّ لفظ يريك الدرّ مَخْشَلبا[٣]

وأكثر شعراء هذا العصر من تشبيه قصائدهم بالفتاة البكر التي تزفّ إلى زوجها وقد تزينت بأغلى الحلي وأنفس الجواهر، وأخذت تختال في مشيتها[٤] وقد استوحوا هذه الصورة من شعر المتنبي[٥].

وأخذوا عن أبي الطيب تشبيهه شعره وقد ازداد حسناً وجمالاً بقوله فيمن يستحق مدحه بالقلائد التي ازدادت بهاءً عندما تتقلدها الحسناء، يقول المتنبي مادحاً الحسين بن علي الهمذاني :

وجدت علياً وابنه خير قومـــه وهم خير قومٍ واستوى الحرّ والعبد

وأصبح شعري منهما في مكانـه وفي عنق الحسناء يستحسن العقد[٦]

ويقول ابن القيسراني محاكياً صورة المتنبي ومفصلاً أجزاءها :

وأصبحت لا أرضى القوافي لمنطقي على أنّ لي فيها لساناً ومنطقا

وصنت بنات الفكر عن غير أهلهـــا ومن ولي الحسناء صان وأشفقا

ومنيّتُها كفؤاً تليـــق بمجـــــده فكانت بآلاء ابن أحمد أليقـــا[٧]

---

(١) ديوان أبي الطيب المتنبي : ٣ : ٤٣٥.

(٢) ديوان ابن سناء الملك : ص٤٣. انظر : ديوان الشاب الظريف : ص ٢٨، ٥٤.
ديوان تاج الملوك الأيوبي : ص١٠٥. ديوان فتيان الشاغوري : ص٢٠.

(٣) ديوان أبي الطيب المتنبي : ١ : ٣٤٦.

(٤) انظر : ديوان ابن الدهان : ص٦٨. ديوان العماد الأصفهاني : ص٣٩٢.
ديوان ابن الساعاتي : ١ : ١٥٥، ٢٩٥، ٢ : ١٠٧، ١٧٧، ١٨١، ٢٩٢.
ديوان شرف الدين الأنصاري : ص٢٤٩، ٢٧٧. ديوان البهاء زهير : ص١١٧.

(٥) انظر : ديوان أبي الطيب المتنبي : ١ : ٢١٩.

(٦) ديوان أبي الطيب المتنبي : ١ : ٣٨٩.

(٧) شعر ابن القيسراني : ص٣١٤. انظر أيضاً : ص١٧٧.
انظر : ديوان ابن الخياط : ص١١٣. ديوان العماد الأصفهاني : ص٢٠١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وشعرهم كشعر المتنبي، يردده الخلق جميعهم، ويتغنون به، وما خلق الدهر إلا لإنشاده وروايته، يقول ابن القيسراني :

أبا الفضل، كم لي في مساعيك مدحة ... ألذّ على الأفواه من ضرب النّحلِ

ترى القوم فيها بين راوٍ وسامعٍ ... كلا عاشقيها الدّهر يكتب أو يملي

فريدة لفظٍ في فريد محاسنٍ ... فتلك بلا مثلٍ وأنت بلا مثل[1]

ويقول بهاء الدين زهير :

وقد يحسن الناس الكلام وإنّما ... كلامي هو الدر المنقّى المنقح

كلامٌ ينشّي السّامعين كأنّما ... لسامعه فيه الشّراب المفرح

نسيب كما رقّ النسيم من الصّبا ... وغازله زهر الرّياض المفتّح

ومدح يكون الدّهر بعض رواته ... فيمسي ويضحي وهو يسري ويسرح[2]

وقد استحضروا هذه الصورة من قول أبي الطيب :

وما الدّهر إلا من رواة قلائدي ... إذا قلت شعراً أصبح الدّهر منشدا

فسار به من لا يسير مشمّراً ... وغنّى به من لا يغني مغردا[3]

واعتبر بعض شعراء هذا العصر أنفسهم أشعر الشعراء، يأتون في قصائدهم بخوارق القول، فهم يسمعون الأصم، ويعجزون النقاد، يقول أسامة بن منقذ :

لفظٌ أرقّ من الشكوى وألطف مل ... عتبى وأشهى من الإبلال في الألم

جرت لطافته من قلب سامعه ... مجرى الهوى من فؤاد المغرم السّدم

فصاحة أسمعت من كان ذا صممٍ ... وحسن معنًى أفاد الفهم ذا اللّمم[4]

ويقول العماد الأصفهاني :

درّيّة الإشراق مشرفة الـ ... ـدرّيّ بل مسكيّة الختم

تجري وتفتح من سلاستها ... صمّ الصفا ومسامع الصّمّ[5]

---

(١) شعر ابن القيسراني : ص٣٥٢. انظر أيضاً : ص١٤٦.

(٢) ديوان البهاء زهير : ص٧٧. انظر أيضاً : ص١٧٦، ٢٩٢.
انظر : ديوان ابن الساعاتي : ١ : ١٧٢.

(٣) ديوان أبي الطيب المتنبي : ٣ : ٣٨٤.

(٤) ديوان أسامة بن منقذ : ص١٩٦.

(٥) ديوان العماد الأصفهاني : ص٤٠١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واستمد ابن منقذ والعماد الأصفهاني أبياتهما من قول المتنبي :

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي ... وأسمعت كلماتي من به صمم[١]

وافتخر كثير من شعراء هذا العصر[٢] بشاعريتهم وتفوقهم على غيرهم من الشعراء، وعجز أهل الأدب والنقد عن فهم شعرهم ونقده، ويستفيد الملك الأمجد في قوله :

فأين رجال النقد ؟ دونهم الّذي ... أنضد من جدّ القريض وهزله

وما الفضل إلاّ من يعبّر شعره ... بكل لسان عن نباهة فضله

فما بالهم عند الحقيقة أفحموا ... وقد فزت من حر الكلام بفصله[٣]

من قول أبي الطيب :

أنام ملء جفوني عن شواردها ... ويسهر الخلق جرّاها ويختصم[٤]

ويرى ابن الساعاتي أن غيره من الشعراء أخذوا شعره، وحرّفوه، ونسبوه إلى أنفسهم وهو أحق منهم به، ولا يستطيع أحد من الشعراء المعاصرين له أن يتقدم عليه، ولا يمكنهم أن يأتوا بمثل شعره :

لا تحفلنّ بنظم قوم أصله ... نظمي فلجّ البحر غير الساحل

طلبوا ففاتهم الّذي أنا قائل ... كالنّجم يبعد عن يد المتطاول

فهم البغاث متى سموا لمنيفةٍ ... بسقت منوا من منطقي بأجادل[٥]

وقد استنسخ هذه الأبيات من قول أبي الطيب :

لا تجسر الفصحاء تنشد ها هنا ... بيتاً ولكنّي الهزبر الباسل

ما نال أهل الجاهلية كلّهم ... شعري ولا سمعت بسحري بابل[٦]

---

(١) ديوان أبي الطيب المتنبي : ٣ : ٢٥٣.

(٢) انظر : ديوان ابن الخياط : ص١٥١. شعر ابن القيسراني : ص٤٠٤.
النكت العصرية : ص٧١. ديوان العماد الأصفهاني : ص٢٦٨.
ديوان عرقلة الكلبي : ص٨٠، ٨٢. ديوان ابن سناء الملك : ص٨، ٧٥، ١٢٢.
ديوان البهاء زهير : ص٣٣٤.

(٣) ديوان الملك الأمجد : ص٢٧٠. انظر أيضاً : ص٢٨١.

(٤) ديوان أبي الطيب المتنبي : ٣ : ٢٥٣.

(٥) ديوان ابن الساعاتي : ٢ : ٢١٨، انظر أيضاً : ٢ : ٢١.

(٦) ديوان أبي الطيب المتنبي : ٢ : ٢٨٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقوله :

أجزني إذا أنشدت مدحاً فإنّمـا بشعري أتاك المادحون مـــرددا

ودع كلّ صوت بعد صوتي فإنّني أنا الصّائح المحكيّ والآخرالصّدى[١]

وهكذا فإنك تجد أنّ بعض شعراء زمن الحروب الصليبية قد فخروا بما فخر به شعراء العربية من قبلهم في عصور الأدب المختلفة، ولكنهم كانوا في شعرهم أقرب إلى المتنبي من غيره، فمن يحاول أن يوازن بين شعرهم في الفخر وشعر أبي الطيب سيجد أنهم أخذوا عن النموذج المثال كثيراً من مفرداته وعباراته وصوره في الفخر.

* العتـــاب

قويت الصلة بين بعض شعراء هذا العصر وممدوحيهم، وكثيراً ما تطورت الصلة بين الطرفين لتصبح نوعاً من الصداقة، فخاطب الشعراء قادتهم مخاطبة الصديق لصديقه، وحين تضطرب العلاقة بينهما بسبب حسد الحساد، فإن الشاعر يجد نفسه مضطراً للدفاع عن نفسه، فيلجأ إلى دحض أقوال الواشين، وعتاب ممدوحه معاتبة الأخ لأخيه.

ووجد الشعراء الذين عاتبوا ممدوحيهم[٢] في قصيدة المتنبي «واحر قلباه ممن قلبه شبم ...» التي عاتب فيها سيف الدولة منهلاً عذباً، فساروا على خطاها، وتأثروا بها تأثُّراً واضحاً، وأخذوا كثيراً من معانيها وصورها، وكان أسامة بن منقذ أكثر شعراء العصر تأثراً بهذه القصيدة حيث تمثلها في غير قصيدة[٣]، وحاكاها في قصيدته التي أرسلها إلى معين الدين أنر بعد أن حاول الحسّاد الإيقاع بينهما، ومطلعها :

---

(١) ديوان أبي الطيب المتنبي : ٣ : ٣٨٤.

(٢) انظر : ديوان ابن الخياط : ص١٢١. النكت العصرية : ص٢٨٧، ٣٥٥.
ديوان طلائع بن رزيك : ص١٣٣. ديوان ابن الدهان : ص٩٣.
ديوان تاج الملوك : ص١٠٦، ١٨٩، ٢٢٧، ٢٣١. ديوان فتيان الشاغوري : ص٤٣١، ٤٦٦.

(٣) ديوان أسامة بن منقذ : ص٤٠، ١٤٣، ١٤٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولوا فلمّا رجونا عدلهم ظلمـوا فليتهم حكموا فينا بما علمـوا [1]

ولم يكتف أسامة بأن يسير على نهج قصيدة «واحر قلباه ...» وإنّما تجاوز ذلك إلى التأثر التفصيلي بها، فهو يتحدث في مقدمتها عن الهجر والوصل، ويصور ما أصابه من حزن وألم ومرارة لرحيل محبّيه، ومع هذا فهو يظهر في مقدمته ما يكنّه لهم من محبة وإخلاص، ولكن الطرف الآخر يقابل محبته بقسوة شديدة، وهجر :

ما مرّ يوماً بفكري مـا يريبهـم ولا سعت بي إلى ما ساءهم قـدمُ
ولا أضعت لهم عهداً، ولا اطّلعـت على ودائعهم في صدري التّهـم
فليت شعري بما استوجبت هجرهـم ملّوا فصدّهم عن وصلي السـأم
حفظت ما ضيّعوا، أغضيت حين جنوا وفيت إذ عذروا، واصلت إذا صرمـوا
حرمت ما كنت أرجو من ودادهـم ما الرّزق إلاّ الّذي تجري به القسـم
محاسني منذ ملّوني بأعينهـم قذًى وذكري في آذانهـم صمـم
وبعد لو قيل لي : ماذا تحب، ومـا مناك من زينة الدنيا ؟ لقلت : هـم
هم مجال الكرى من مقلتيّ ومـن قلبي محلّ المنى جاروا أو اجترموا
تبدلوا بي، ولا أبغي بهم بـدلاً حسبي همو أنصفوا في الحكم أو ظلموا

وقد يتوهم القارئ لقصيدة أسامة أن هذه المقدمة مقدمة غزلية، فعباراتها توحي بأن الشاعر يصور الألم الذي أصابه بعد فراق الأحبة، ولكن الأمر غير ذلك، فهو يشكو ممدوحه الذي استمع إلى أقوال الوشاة فصده وأبعده عن مجلسه، ولم يكن أسامة مبتدعاً لذلك، فهو يقلد أبا الطيب الذي يقول في مقدمة قصيدته :

واحرّ قلباه ممّن قلبه شبـم ومن بجسمي وحالي عنده سقم
مالي أكتّم حبا قد برى جسدي وتدّعي حبّ سيف الدولة الأمـم
إن كان يجمعنا حبٌّ لغرّتـه فليت أنّا بقدر الحبّ نقتسـم [2]

---

(١) ديوان أسامة بن منقذ : ص٤٠.

(٢) ديوان أبي الطيب المتنبي : ٢ : ٢٤٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فقد استخدم المتنبي ألفاظا لا يستخدمها إلا العشاق : «واحر قلباه، أكتم حبا، برى جسدي، يجمعنا حب» فتحول الجسد وضعف الحال كانا نتيجة حب ومعاناة عنيفين.

وتجاوز الشاعران الحدّ في العتاب حتى كاد يبلغ الهجاء، وانقلب عتابهما إلى تحدّ للممدوح، وصار استعطافهما وعيداً ونذيراً، يقول ابن منقذ :

وأنت أعدل من يشكى إليه، ولي ... شكيّةٌ، أنت فيها الخصم والحكم

هل في القضيّة يا من فضل دولته ... وعدل سيرته بين الورى علم

تضييع واجب حقّي بعدما شهدت ... به النصيحة والإخلاص والخدم

وما ظننتك تنسى حقّ معرفتي ... إن المعارف في أهل النّهى ذمم

ولا اعتقدت الّذي بيني وبينك من ... ودٍّ، وإن أجلب الأعداء، ينصرم

ويقول :

هلاّ أنفت حياءً أو محافظةً ... من فعل ما أنكرته العرب والعجم

أسلمتنا، وسيوف الهند مغمدةٌ ... ولم يرو سنان السمهري دم

وكنت أحسب من والاك في حرم ... لا يعتريه به شيبٌ ولا هرم [1]

وقد استفاد أسامة في أول بيتين من قول أبي الطيب :

يا أعدل النّاس إلاّ في معاملتي ... فيك الخصام وأنت الخصم والحكم

وضمن عجز البيت الرابع من قول المتنبي :

وبيننا لو رعيتم ذاك معرفةٌ ... إنّ المعارف في أهل النهى ذمم

وأخذ عبارة «وسيوف الهند مغمدة» من قول المتنبي :

قد زرته وسيوف الهند مغمدة ... وقد نظرت إليه والسيوف دم

ويلاحظ أنه نقل المعنى من المدح إلى الهجاء.

وحاول أبو الطيب المتنبي وأسامة بن منقذ أن يزاوجا بين المدح والعتاب، فكانا يجرحان بيد، ويضمدان جراحهما بأخرى، يقول أسامة :

بلّغ أميري : معين الدّين مالكة ... من نازح الدّار لكن ودّه أمم

---

(١) ديوان أسامة بن منقذ : ص ١٤٦-١٤٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقل له : أنت خير الترك فضلك الـ حياء والدّين والإقدام والكـرم

ويقول المتنبي متغنياً ببطولة سيف الدولة :

أكلّما رمت جيشاً فانثنى هرباً تصرّفت بك في آثاره الهمـم

عليك هزمهم في كلّ معتـرك وما عليك بهم عارٌ إذا انهزمـوا

أما ترى ظفراً حلواً سوى ظفرٍ تصافحت فيه بيض الهند واللمم

وصبّ الشاعران نيران غضبهما على الحساد الذين أوقعوا بينهما وبين ممدوحيهما، وجرد أبو الطيب وأسامة الكائدين من القيم العربية الأصيلة، فهم لا يتقنون غير النفاق والخداع، ونشر الفساد وتحريف الأقوال، فعلى الممدوح ألا يستمع إليهم، وأن يبعدهم عن مجلسه، فهم ليسوا أهل رأي ومشورة، يقول أسامة :

لكنّ ثقاتك مازالوا بغشّهـم «حتّى استوت عندك الأنوار والظّلم»

باعوك بالبخس، يبغون الغنى ولهم لو أنّهم عدموك الويل والعـدم

والله ما نصحوا لما استشرتهـم وكلّهم ذو هوى في الرّأي متّهـم

كم حرّفوا من مقالٍ في سفارتهـم وكم سعوا بفسادٍ ضلّ سعيهـم

وهو متأثر في هذه الأبيات بحملة المتنبي على خصومه وحساده :

أعيذها نظراتٍ منك صادقـةً أن تحسب الشّحم فيمن شحمه ورم

وما انتفاع أخي الدنيا بناظـره إذا استوت عنده الأنوار والظّلـم

أنا الّذي نظر الأعمى إلى أدبـي وأسمعت كلماتي من به صمـم

أنام ملء جفوني عن شواردهـا ويسهر الخلق جرّاها ويختصـم

وجاهل مدّه في جهله ضحكـي حتى أتته يدٌ فراسـةٌ وفـم

وختم كلاهما قصيدته بالفخر، ففخر المتنبي بنفسه وفروسيته وشعره، وفخر أسامة بشجاعته وأكد أن الوشاة لا يدانونه فيها، وقد ضمن خاتمته أشطراً وعباراتٍ من قصيدة أبي الطيب، يقول :

جرّبهم مثل تجريبي لتخبرهـم فللرجال إذا ما جرّبوا قيـم

هل فيهم رجلٌ يغنّي غنـاي إذا جلا الحوادث حدّ السّيف والقلم

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أم فيهم من له في الخطب ضاق به ذرع الرجال يدٌ يسطو بها وفم

لكنّ رأيك أدناهم وأبعدني «فليت أنّا بقدر الحبّ نقتسم»

وما سخطت بعادي إذ رضيت به «وما لجرحٍ إذا أرضاكم ألم»

ولست أسى على التّرحال عن بلدٍ «شهب البزاة سواءٌ فيه والرّخم»

واستفاد عمارة اليمني في قصيدته التي أولها :

يا خير معتصبٍ بالتاج منتصب ترضى المكارم عن يوميه والأمم[1]

من قصيدة «واحر قلباه ...» وأخذ بعض عباراتها وأشطرها، يقول :

* هل أنت مصغٍ إلى دعوى أخبرها إلى علاك «فأنت الخصم والحكم»

* فلو مدحت زماني وهو عبدكم بمدحكم لم يزرني «الشيب والهرم»

* قد كان يرفعني في صدر مجلسه الـ ـعالي ويبسط أنسى حين أحتشم

وكان يعرف مقداري وقد ذكروا «أن المعارف في أهل النهى ذمم»

وتأثر فتيان الشاغوري في قصيدته التي مطلعها :

تظلموا وهم عقوا وهم ظلموا لما سعوا لا سعت يوماً بهم قدم[2]

بقصيدة «واحر قلباه...» ، ولكنه لم يذهب مذهب أبي الطيب وأسامة بن منقذ في العتاب، فبدأ قصيدته بهجاء الكائدين، ثم انتقل إلى المدح، وفي هذا القسم أبرز صورة الممدوح في المعركة الذي ألزم نفسه هزم الأعداء وكسرهم وإخراجهم من البلاد، ولكنهم يحجمون عنه هيبة ورهبة مع أنه راغب بلقائهم، يقول :

ما أحجم القوم إبقاءً عليك وفي اقتناص ليث الشّرى لا تطمع الغنم

أقعوا هناك على الأذناب من جزعٍ لمّا «أتتهم يدٌ فراسة وفم»

ويقول :

ومعشر حلفوا لكنهم حنثوا «فكان عقبى اليمين الخوف والندم»

ويقول :

---

(١) النكت العصرية : ص٣٥٥.

(٢) ديوان فتيان الشاغوري : ص٤٣١-٤٣٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كم معشرٍ قلبوا ظهر المجنّ لـه حتّى إذا ما رأوا عزماته انهزمـوا

فكان حظّهم من حربه نقمـــاً وحظّه أبداً من ربـــه نعـــم

وقد استوحى هذه الأبيات من قول المتنبي :

فوت العدوّ الّذي يمّمته ظفـــرٌ في طيّه أسفٌ في طيّه نعـــم

قد ناب عنك شديد الخوف واصطنعت لك المهابة ما لا تصنع البهـم

ألزمت نفسك شيئاً ليس يلزمها ألاّ تواريهم أرضٌ ولا علـــم

أكلّما رمت جيشاً فانثنى هربـاً تصرفت بك في آثاره الهمـم

عليك هزمهم في كل معتـــرك وما عليك بهم عارٌ إذا انهزموا

وأخذ فتيان الشاغوري البيت الثالث من قول أبي الطيب :

عقبى اليمين على عقبى الوغى ندم ماذا يزيدك في أقدامك القسم[1]

وضمن قصيدته بعض عبارات قصيدة «واحر قلباه ...» وأشطرها، ومن ذلك قولـه :

* يا ابن المحسن إنّ القوم قد خسرت صفقاتهم «فاستوى الوجدان والعدم»

* لم تأل تدرأ عنهم كل معضلـــةٍ وليس ينكر ذا «عرب ولا عجـــم»

* أقعوا هناك على الأذناب من جـزع لما «أتتهم يدٌ فرّاســة وقـــم»

* حاشاك يا أيها الملك المعظم مـــن «أن تستوي عندك الأنوار والظّلم

وعاتب تاج الملوك الأيوبي الملك الناصر صلاح الدين بقصيدة مطلعها

في سقم جفنيك ما يشفى به السّقم وفي اللّمى منك ما ينفى به الألم[2]

والقارئ لهذه القصيدة يجد أن الشاعر تاج الملوك لم يكتف بأن يتأثر بالجو العام لقصيدة المتنبي ومعانيها وصورها، وإنما استنسخها استنساخاً، فضمن قصيدته كثيراً من عبارات قصيدة «واحر قلباه ...» وأشطرها، يقول :

* يا منية النفس لا بل يا منيّتها ومن غدوت «ووجداني بهـــا عـــدم»

* الجود والبأس أدنى ما يمت بـه «والسيف والرمح والقرطاس والقلم»

---

(١) ديوان أبي الطيب المتنبي : ٣ : ٥٤٣.

(٢) ديوان تاج الملوك الأيوبي : ص٢٢٧-٢٣١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

* طرفٌ من الخيل يعلو البدر صهوته والغيث والليث والإنعام والعـــــلم

* أمطر علي سحاباً غيثه نعـــمٌ «في طيّهن على أعدائنـــا نقـــــم»

* حاشاك حاشاك يا خير الورى نظراً «أن تستوي عندك الأنوار والظّلـــم»

* انظر إلي بعينٍ «منك صادقـــةٍ لا تحسب الشحم فيمن شحمـــه ورم»

وضمن قوله :

واسلم فإنك يا من عز مبسمـــه إذا سلمت فكلّ النّاس قد سلمـوا

من قول أبي الطيب مهنئاً سيف الدولة بالمعافاة من مرض :

وما أخصك في برئٍ بتهنئـــةٍ إذا سلمت فكلّ النّاس قد سلموا [1]

* الغـــزل

لم يكن أبو الطيب من الشعراء المحبين، ولم يردد في شعره اسم محبوب له، وليس النسيب من الفنون التي يحبها أو يحفل بها، وإنما هو يتكلفه على غير طبعه احتفاظاً بالسنة المألوفة عند الشعراء[2]. وعلى الرغم من أن المتنبي لم يكن في غزله قوي العاطفة، ولم يكن من شعراء الغزل المشهورين، فإن كثيراً من شعراء عصر الحروب الصليبية تأثروا في قصائدهم الغزلية ونسيبهم بشعر أبي الطيب، وجاء تأثرهم على وجهين، أما الوجه الأول : فتأثروا ببعض معاني المتنبي وصوره في الغزل، ومن ذلك قول عرقلة الكلبي :

بدت بدراً وماجت دعص رملٍ وماست بانةً وشدت هـــزارا[3]

وأصل هذا البيت قول المتنبي :

بدت قمراً ومالت خوط بـــانٍ وفاحت عنبراً ورنـــت غـــزالا[4]

وأخذ عرقلة الكلبي قوله :

---

(١) ديوان أبي الطيب المتنبي : ٣ : ٣٦٥.

(٢) د. طه حسين : مع المتنبي : ص٦٧.

(٣) ديوان عرقلة الكلبي : ص ٤٧.

(٤) ديوان أبي الطيب المتنبي : ٢ : ١٤٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إني لأعشق ما يحويه برقعهـــا ولست أبغض ما تحوي السّراويـل[١]

من قول أبي الطيب :

إني على شغفي بما في خمرها لأعفّ عمّـــا فـــي سراويلاتهـــا[٢]

ويلاحظ أن عرقلة الكلبي خالف أبا الطيب في الشطر الثاني، فالمتنبي على الرغم من شدة كلفه بما في خمر النساء إلا أنه يكف نفسه عن مواقعتهن، أما عرقلة فهو شديد الكلف بلقائهنّ النساء.

ويقول تاج الملوك الأيوبي متغزلاً :

واشقوتي : كم صباباتٍ وكم شغفٍ وكم غرامٍ وكم شوقٍ وكم ولـــــع

أشياء لو كلّفتها الشمس ما طلعت يوماً أو الصّخر كاد الصّخر ينصدع

ويقول :

قالوا: ألا ترهب الواشين؟ قلت لهم ما خيم الوجد حتّى قوص الجـزع

حشاشة نفسٍ ودّعت يوم ودّعـــوا فلم أدرِ أيّ الظاعنين أشيّـــع

تولّوا فولّت منهم كلّ لـــــذةٍ فلم يبقَ لي في لذّة العيش مطمع[٣]

وقد استنسح البيت الثاني من قول المتنبي :

ولو حمّلت صمّ الجبال الذي بنـا غداة افترقنا أو شكت تتصـــدّع[٤]

والبيت الرابع هو مطلع قصيدة أبي الطيب التي أخذ منها تاج الملوك البيت الثاني.

ونسخ الملك الأمجد قوله :

والحبّ مـا منـــع البليـ ـغ على بلاغتـه كلامـــــه[٥]

من قول المتنبي :

---

(١) ديوان عرقلة الكلبي : ص٧٧.

(٢) ديوان أبي الطيب المتنبي : ٢ : ٣٠٨.

(٣) ديوان تاج الملوك الأيوبي : ص١٨٣-١٨٤. انظر : حاشية الصفحات المشار إليها.

(٤) ديوان أبي الطيب المتنبي : ١ : ١١٠-١١٢.

(٥) ديوان الملك الأمجد : ص١٤٥. انظر : حاشية الصفحات المشار إليها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحب ما منع الكلام الألسنا وألذّ شكوى عاشقٍ ما أعلنا[١]

ويحاكي بهاء الدين زهير في قوله :

أمسي وأصبح والأشواق تلعب بي كأنّما أنا منها شارب ثمل[٢]

صورة أبي الطيب في قوله :

كأنّما قدّها إذا انفتلت سكران من خمر طرفها ثمل[٣]

ولكن صورة المتنبي أكثر جمالاً، فقد جعل المحبوبة حين تقوم تتمايل كتمايل النشوان، وكأن قوامها نظر إلى طرفها فسكر كما يُسكر طرفها محبيها، أما البهاء زهير فاكتفى بأن يشبه العاشق بالسكران.

وضمّن البهاء زهير بعض عبارات المتنبي في قوله :

وما بلغ العشّاق حالاً بلغتها هناك مقام «ما إليه سبيل»

وإنّي لأرعى سركم وأصونه عن الناس «والأفكار فيّ تجول»[٤]

أما الوجه الثاني، فقد نقل بعض شعراء هذا العصر معاني المتنبي وصوره وعباراته في غير الغزل، واستخدموها في غزلهم ونسيبهم، ومن ذلك قول أسامة ابن منقذ متغزلاً :

يا قلب دعهم فقد جرّبت غدرهم وفي التّجارب بعد الغيّ ما يزع[٥]

فضمن عجز البيت من قول أبي الطيب :

أهل الحفيظة إلا أن تجرّبهم وفي التّجارب بعد الغيّ ما يزع[٦]

وشتان ما بين البيتين، فأسامة يتحدث عن غدر العشاق أما المتنبي فيؤكد أن ساحة القتال تكشف حقيقة من يدعي الشجاعة وهو ليس من الشجعان.

وتأثر تاج الملوك الأيوبي في قوله :

---

(١) ديوان أبي الطيب المتنبي : ٢ : ١٨٢.
(٢) ديوان البهاء زهير : ص٢٨٠.
(٣) ديوان أبي الطيب المتنبي : ٢ : ١٢٥.
(٤) ديوان البهاء زهير : ص ٢١٤.
انظر : ديوان أبي الطيب المتنبي : ٣ : ٣٣٢، ٣٥٢.
(٥) ديوان أسامة بن منقذ : ص٨٢.
(٦) ديوان أبي الطيب المتنبي : ٣ :١٧٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يا بديع الجمال والحسن يا من　　كل مستحسنٍ لديه قبيـــح

حاش لله أن تعاب بفعـــلٍ　　(كل ما يفعل المليح مليـــح) (١)

يقول المتنبي في سيف الدولة :

ما لنا في النّدى عليك اختيـــار　　كل ما يمنح الشريف شريـف (٢)

ولم يكتف تاج الملوك بنقل معاني المديح إلى الغزل، فأخذ قوله :

يقولون لا تشقق ثيابك واصطبر　　فشقّ ثياب المرء غير صواب

وإنّي أحقّ النّاس من بعد بينهم　　(بشقّ فؤادي لا بشقّ ثيابـــي) (٣)

من قول أبي الطيب في تعزية سيف الدولة بوفاة عبده يماك التركي :

علينا لك الإسعاد إن كان نافعـــاً　　بشقّ قلوبٍ لا بشقّ جيـــوب(٤)

وتأثر بعض شعراء هذا العصر في شعرهم الغزلي بقصيدة «واحر قلباه ... » تأثراً واضحاً، فنقلوا معانيها وصورها من معاتبة الممدوح إلى معاتبة المحبوب، يقول ابن القيسراني :

من منصفي من حبّ ظالـــم　　والحبّ فيه الخصـم حاكـــم (٥)

ويقول الشاب الظريف مختتماً قصيدة غزلية :

يصرم حبل الودّ من منصفـــي　　من صارم في لحظه صـــارم

أشكو إليه منه ما التقـــي　　ويلاه من خصم هو الحاكـــم (٦)

ويقول أسامة بن منقذ :

قل للذين نأوا والقلب دارهـــم　　«وجداننا كل شيء بعدكم عـدم»

جهلت أنسي بكم والدار دانيـــةً　　حتّى إذا نزحت أدمى يدي الندم(٧)

ويقول ابن عنين :

---

(١) ديوان تاج الملوك الأيوبي : ص ١٣٤. انظر : حاشية الصفحات المشار إليها.
(٢) ديوان أبي الطيب المتنبي : ٣ : ٩٦.
(٣) ديوان تاج الملوك الأيوبي : ص ١١٠.
(٤) ديوان أبي الطيب المتنبي : ٣ :٢٢٢.
(٥) شعر ابن القيسراني : ص ٣٩١.
(٦) ديوان الشاب الظريف : ص٢٠٧.
(٧) ديوان أسامة بن منقذ : ص٩٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أشكو إليه سقاماً «قد برى جسدي» أعيا الأساة ولو واصلتم لبـــرا[١]

وعارض الملك الأمجد الأيوبي قصيدة المتنبي بقصيدة غزلية، أولها :

أهل الهوى بالّذي أهواه قد علمـوا إن كان حقّاً فتعذيبي بهم نعـم[٢]

وقد ضمنها كثيراً من عبارات قصيدة أبي الطيب.

وعلى الرغم من أن المتنبي لم يكن شاعر غزل إلا أنه أبدع في تصوير نحول العاشق، ومن ذلك قوله :

كفى بجسمي نحولاً أنّني رجـلٌ لولا مخاطبتي إيّاك لم ترنـــي[٣]

ويقول :

ولولا أنّني في غير نـــــومٍ لبتّ أظنّني منّـــي خيـــــالا[٤]

وقد حاكاه غير شاعر من شعراء هذا العصر، يقول عرقلة الكلبي :

لو أراد الرقيب ينظر جسمـــي ما رآه من النحـــول رقيـــب[٥]

ويقول العماد الأصفهاني :

أنا الخيال نحولاً فالخيـال إذا مازارني كيف يلقى من به التبسا[٦]

وبذلك فإنّ القارئ يلحظ أنّ تأثّر شعراء زمن الحروب الصليبية بشعر أبي الطيب الغزلي قد جاء محصوراً ببعض الأبيات، ويرجع ذلك إلى أنّ المتنبي لم يكن شاعر غزل، وإنما تميّز بشعره الحربي.

---

(١) ديوان ابن عنين : ص٥٦.
(٢) ديوان الملك الأمجد : ص٢٨٩.
(٣) ديوان أبو الطيب المتنبي : ١ : ١١.
(٤) المصدر نفسه : ٢ : ١٤٣.
(٥) ديوان عرقلة الكلبي : ص١٠.
(٦) ديوان العماد الأصفهاني : ص٢٢٨.

انظر: ديوان أسامة بن منقذ : ص٨٦.
ديوان ظافر الحداد : ص٢١٥.
ديوان الشاب الظريف : ص ١٨٠، ٢١٢.
ديوان فتيان الشاغوري : ص٤٨٨، ٥٢٥.

انظر أيضاً : ص٣٣٩.
ديوان تاج الملوك الأيوبي : ص٢١٦، ٢٩٠.
ديوان ابن الساعاتي : ١ : ٥١، ٢ : ١٧.
ديوان الملك الأمجد : ص٩٤، ١٩٦، ٢٢٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

* الرثـــــاء

جاء رثاء أبي الطيب المتنبي[١] على طريقتين، صور في الأولى ما أصابه هو وأهل المتوفى من حزن وأسى لفقد المرثي، وبيّن منزلة المرثي وأخلاقه وصفاته، وتمثل ذلك في رثائه لجدته ولخولة أخت سيف الدولة[٢]. وعمد في الطريقة الثانية إلى توضيح رؤيته للموت والحياة وإبراز المعاني الفلسفية والحكمية التي تتناسب والموقف، وهو في هذه الطريقة يرثي الإنسان بصفة عامة المجبر على مفارقة الحياة، وتمثل مرثيته في خادم سيف الدولة يماك التركي هذا الاتجاه[٣]، فهو لا يرثي في قصيدته يماك، وإنما يرثي الإنسان عامة الذي يقهره الموت.

وتأثر شعراء عصر الحروب الصليبية في رثائهم لقادتهم وأقاربهم وأصدقائهم بهذين الاتجاهين، ونهلوا من معاني أبي الطيب وصوره، وتأثر أكثر شعراء هذا العصر بقصائد المتنبي التي تمثل طريقته الأولى في الرثاء، يقول ابن الخياط معزياً الرئيس أبا الذوّاد الصوفي[٤] بولده أبي الغنائم :

وقلّ لقدره منّـــي وقلّـــــتْ له زهر الكواكب أن تفـــورا [٥]

ويقول عمارة اليمني راثياً الملك الصالح طلائع بن رزيك :

ترجف الأرض حين يذكر عنـــه وتكاد السّماء منه تمـــــور

طبّق الأرض من مصاب أبي الغا رات خطبٌ له النجوم تغـور [٦]

ويقول ابن الدهان راثياً الملك المعظم توران شاه بن أيوب :

ما كنت أحسب قبل دفنك في الثرى أن المكارم في التراب تغيب [٧]

---

(١) ضم ديوان أبي الطيب أربع عشرة قصيدة رثاء، واحدة في رثاء جدته، وست قصائد في رثاء أقارب سيف الدولة رثى فيها أمه وابنه وأختيه وابن عمه وخادمه، وقصيدتان في رثاء فاتك الأسدي، وأربع قصائد في رثاء محمد التنوخي، وقصيدة في رثاء عمة عضد الدولة.

(٢) ديوان أبي الطيب المتنبي : ٢ : ٢٥٦، ٣ : ٥٦٢.

(٣) المصدر نفسه : ٣ : ٢١٥.

(٤) هو وجيه الدولة أبو الذواد المفرج بن الحسن بن الحسين الصوفي، توفي سنة ٥٣٠هـ. ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق : ص٣٣٥، ٣٦١.

(٥) ديوان ابن الخياط : ص٢٥٠.

(٦) النكت العصرية : ص ٢٢٦.

(٧) ديوان ابن الدهان : ص٢٠٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويقول تاج الملوك الأيوبي :

وكذّبت أنّ البدر يغرق في الثرى فلمّا ثوى في قبره لم أكذّب

عفا الله عنه إنّه يوم بينه أجل فقيد في التّراب مغيّب[١]

ويقول :

وما كنت أدري قبل مهواه في الثّرى بأن الثّرى مهوى النجوم الزواهر[٢]

ويقول ابن سناء الملك :

يا ثالث القمرين حسناً قد بكى حزناً لأجل مصابك القمران

دينار وجهك حين أهبط في الثرى كادت تفرّ الشّمس للميزان [٣]

ويقول ابن عنين :

لهفي على بدر تغيّب في ثرى رمسٍ وبحرٍ في ضريح ألحدا [٤]

وقد حاكوا في هذه الأبيات قول أبي الطيب في رثاء محمد التنوخي :

أمجاور الدّيماس رهن قرارةٍ فيها الضّياء بوجهه والنّور

ما كنت أحسب قبل دفنك في الثرى أنّ الكواكب في التّراب تغور

ما كنت أمل قبل نعشك أن أرى رضوى على أيدي الرجال يسير

خرجوا به ولكلّ بـاكٍ خلفه صعقات موسى يوم دكّ الطّور

والشّمس في كبد السّماء مريضةٌ والأرض واجفةٌ تكاد تمور[٥]

ويؤكد ابن الدهان في رثائه توران شاه أن خير الدموع ما تجريه رعاية الحقوق، والدمع أعظم دليل على ما يكنه للمرثي من محبة واحترام :

ما عذر عينيّ لا تفيض فتسكب لليوم تدّخر الدموع وتطلب

وإذا أردت على الصبابة شاهداً فالدمع أعدل شاهد لا يكذب [٦]

وأخذ هذا المعنى من قول المتنبي في رثاء أخت سيف الدولة :

---

(١) ديوان تاج الملوك الأيوبي : ص١٢٢.

(٢) المصدر نفسه : ص١٥٦. انظر أيضاً : ص١٠٢، ١٥٧، ١٧٣، ١٧٦.

(٣) ديوان ابن سناء الملك : ص٥٣٠. انظر أيضاً : ص٥٠٨.

(٤) ديوان ابن عنين : ص٥٩.

(٥) ديوان أبي الطيب المتنبي : ١ : ٢٥٦-٢٥٧.

(٦) ديوان ابن الدهان : ص٢٠٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إنّ خير الدّموع عيناً لدمـــــع بعثته رعاية فاستهـــــلاّ [١]

ورثى تاج الملوك الملكَ المعظم بقصيدة، مطلعها :

ألم تر أنّ أحداث اللّيالـــــي أبحن بجورهنّ حمى المعالي [٢]

وعارض في قصيدته هذه، قصيدة أبي الطيب في رثاء والدة سيف الدولة، ومطلعها :

نعدّ المشرفيّة والعوالـــــي وتقتلنا المنون بلا قتـــال[٣]

وضمن تاج الملوك قصيدته كثيراً من عبارات قصيدة أبي الطيب وأشطرها، يقول :

* ألسنا القوم نقتل كلّ خصـــم «وتقتلنا المنون بلا قتـــال»

وليس بدافع للموت أنّـــــا «نعدّ المشرفيّة والعوالـي»

* سقاه من الغوادي كل غـــــادٍ يحاكي كفّه عند النـــــوال

ولكن أوجع النكبات عنـــــدي فقيد غير موجود المثـــال

ويجزم من يقرأ القصيدتين أن تاج الملوك نسخ قصيدة أبي الطيب، فأخذ كل معنى جميل أو صورة لافتة.

ومما يسترعي الانتباه في شعر الرثاء عند تاج الملوك أنه أخذ كثيراً من معاني المتنبي وعباراته في غير الرثاء وضمنها قصائده، ومن ذلك قوله راثياً :

وكان لي أملٌ فيكم يصيّرنـــــي فاليوم «وجدان صبري بعدكم عدم»[٤]

ويقول في نعي نفسه :

فيا ربّ إن لم تقضِ لي منه بالمنى فكن يا إلهي بالمنيّة قاضيـــــا

وإنّي لاستشفي من البين بالـردى «وحسبك داء أن يرى الموت شافيا»[٥]

فقد سلخ قول المتنبي في مدح كافور :

---

(١) ديوان أبي الطيب المتنبي : ٣ : ٤٩١.

(٢) ديوان تاج الملوك الأيوبي : ص٢٠٥. انظر أيضاً قصيدته في رثاء مملوكه : ص٢٠٩.

(٣) ديوان أبي الطيب المتنبي : ٣ : ٣٩.

(٤) ديوان تاج الملوك الأيوبي : ص٢٤٢.
انظر : ديوان أبي الطيب المتنبي : ٣ : ٢٥٧.

(٥) ديوان تاج الملوك الأيوبي : ص٢٥٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كفى بك داءً أن ترى الموت شافيا وحسب المنايا أن يكن أمانيـــا[١]

ويقول تاج الملوك يرثي قانيا :

أغرى الزمان بنا فراقاً قاطعـــاً ما بعده لدنو دارٍ موعـــــــد

ما بعد فرقتنا لقاء يرتجـــــى «هيهات ليس ليوم فرقتنا غـد»

«من خص بالذم الفراق فإننـــي من لا يرى في الدهر شيئاً يحمد»[٢]

وضمن تاج الملوك عجز البيت الثاني والبيت الثالث بشطريه من شعر المتنبي في المدح[٣].

وتأثر بعض شعراء هذا العصر بطريقة المتنبي الثانية في الرثاء، فهذا أسامة بن منقذ يرى أن حوادث الدهر إذا أصابت أحداً أهلكته، وهي متى شاءت قهرت القوي بالضعيف والعزيز بالذليل والأصيل بالدخيل، وهي إن أعانت عدواً على القوي والشريف قهره وأهلكه، ولو أرادت الليالي أن تصيد الصقر مع قوته بالخرب مع ضعفه لفعلت، وإن شاءت جعلت النعام يقتل الأسد، يقول أسامة :

قد كنت أسمع لكن خلته مثـــلاً أنّ اللّيالي يصدن الصّقر بالخرب

وأنّ أيديها شلّت ولا انبسطـــت إذا ضربن كسرن النّبع بالغـرب

حتّى رأيت النعام الرّبد قد قتلت أسد العرين فياللناس للعجـــب[٤]

وأخذ هذه الأبيات من قول أبي الطيب في رثاء أخت سيف الدولة :

فلا تنلك اللّيالي إنّ أيديهـــا إذا ضربن كسرن النّبع بالغـرب

ولا يعنّ عدواً أنت قاهـــــره فإنّهنّ يصدن الصّقر بالخـــرب

وإنّه سررن بمحبوبٍ فجعن بـه وقد أتينك في الحالين بالعجب[٥]

فالموت عندما يصيب الإنسان لا رادّ له، يقول أسامة بن منقذ :

---

(١) ديوان أبي الطيب المتنبي : ٤ : ١٧.

(٢) ديوان تاج الملوك الأيوبي : ص١٥٠.

(٣) انظر : ديوان أبي الطيب المتنبي : ١ : ١٧٤، ٢ : ٣٦٥.

(٤) ديوان أسامة بن منقذ : ص٢٩٤.

الخرب : ذكر الحبارى وجمعه خربان. لسان العرب : خرب.

النّبع : شجر صلب تتخذ منه القسي. لسان العرب : نبع.

الغرب : شجر ضعيف. لسان العرب : غرب.

(٥) ديوان أبي الطيب المتنبي : ٣ : ٥٧٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ما حيلة النّاس وهل من يـــدٍ لهم بدفع الموت أو صـــدّهِ
وروده لا بدّ منـــه فلـــم تنكر ما لا بـدّ مـــن ورده
سهامه لم يستطـــع ردّهـــا داود بالمحكم مـــن ســـرده[1]

ويقول ابن الساعاتي :

ولمّا رأيت الموت بالخلق واقفاً وفي كلّ يوم لي حبيب أفـارق
تبيّن لي أنّ الحياة مفـــازة وأيقنت أنّي لا محالة لاحـــق[2]

وحاكوا في هذه الأبيات قول أبي الطيب :

نعدّ المشرفيّة والعوالـــي وتقتلنا المنون بلا قتـــال
ونرتبط السّوابق مقربـــاتٍ وما ينجين من خبب اللّيالـي
ومن لم يعشق الدنيا قديمـــاً ولكن لا سبيل إلى وصـــال
نصيبك في حياتك من حبيـــب نصيبك في منامك من خيـــال[3]

ويصور ابن الساعاتي الموت إنساناً خفيف الحركة، يصل إلى غايته من غير أن يشعر به أحد، ولا يستطيع المرء اتّقاء شره :

وما الموت شخصٌ يتّقى بطليعة معوّدة الأبطال شعث السبائـب
ولكنّه يغتال ختلاً نفوسنـــا ويسري إلينا في خفيّ المذاهب[4]

وهذه الصورة مأخوذة من قول المتنبي :

وما الموت إلا سارقٌ دقّ شخصه يصول بلا كفٍّ ويسعى بلا رجل[5]

فالصورتان متشابهتان فناً ومعنى، ولكن صورة أبي الطيب أكثر جمالاً، فتشبيهه للموت بالسارق جعل الصورة أكثر دقّة.

وقد خلا ديوان أبي الطيب المتنبي من قصائد رثاء في أبطال عصره، بينما

---

(١) ديوان أسامة بن منقذ : ص٢٧٩.
(٢) ديوان ابن الساعاتي : ١ : ٢٧٦.
انظر : النكت العصرية : ص ٢٤٩.
ديوان ظافر الحداد : ص١٥٧.
(٣) ديوان أبي الطيب المتنبي : ٣ : ٣٩-٤٠.
(٤) ديوان ابن الساعاتي : ٢ : ١٩٩.
(٥) ديوان أبي الطيب المتنبي : ٣ : ٩٠.
ديوان تاج الملوك : ص ١٢٠، ١٧١، ١٨١.
ديوان شرف الدين الأنصاري : ص٨٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تعددت قصائد الرثاء في أبطال المسلمين زمن الحروب الصليبية، حيث رثى أبو الحكم الجلياني وابن القلانسي عماد الدين زنكي بعد مقتله سنة ٥٤١هـ[١]، ورثى العماد الأصفهاني نور الدين زنكي بقصيدة طويلة قاربت على مائة وعشرة أبيات، وصلنا منها ثمانية وثلاثون بيتاً [٢]، كما رثى العماد الأصفهاني صلاح الدين الأيوبي بقصيدة بلغت مائتين واثنين وثلاثين بيتاً [٣]. وأخذت هذه القصائد طابعاً خاصاً بها، فقد وصف الشعراء في قصائدهم أخلاق المرثي، وصوروا حزن المسلمين عليه، وأشادوا بالدور الخالد في مواجهة الصليبيين، وأظهروا قلقهم على الإسلام والمسلمين بعد وفاته. وخلوّ ديوان المتنبي من مثل هذه القصائد جعل شعراء زمن الحروب الصليبية يتأثرون بالجو العام لقصائد الرثاء عند المتنبي من غير أن يتأثروا بالتفصيلات الدقيقة.

---

(١) انظر : الروضتين : ١ : ١ : ١١٦-١١٨.

(٢) انظر : ديوان العماد الأصفهاني : ص٢١٢.

(٣) المصدر نفسه : ص٨٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثالث

أثر شعر المتنبي في السمات الفنية للشعر زمن الحروب الصليبية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

* بناء القصيدة

اهتم النقاد القدماء ببناء القصيدة العربية، وجعلوها في ثلاثة أجزاء : المطلع والتخلص والخاتمة، ورأوا أن الشاعر الحاذق يجتهد في تحسين هذه الأجزاء؛ فهي تستعطف أسماع الحضور، وتستميلهم إلى الإصغاء[١]. ويقرر ابن رشيق أن أبا الطيب المتنبي أربى على كل شاعر في جودة هذه الأجزاء، وما جاء من شعره على خلاف ذلك فإن مرده لثقة المتنبي بنفسه، ورغبته في الإغراب على الناس[٢].

أولاً - مطلع القصيدة ومقدمتها

لاقى مطلع القصيدة اهتماماً واسعاً من النقاد، فللاستهلال الجميل أثر عظيم في السامع، فهو «أول ما يقرع الأذن ويصافح الذهن»[٣]. ويؤكد ابن رشيق أن الشعر قفلٌ أوله مفتاحه، فعلى الشاعر «أن يجود ابتداء شعره، فإنه أول ما يقرع السمع منه، وبه يستدل على ما عنده في أول وهلة»[٤]. ويرى أن المطلع الحسن يكون حلواً سهلاً أو فخماً جزلاً، وبعيداً عن التعقيد، فهو أول العي[٥]. واستحسن النقاد القدماء كثيراً من مطالع المتنبي لوضوحها، وحسن صياغتها، وروعة جمالها، ودقة ألفاظها، واستقبحوا بعضها لغموضها، أو عدم مراعاتها لمقام المخاطب أو وجود أخطاء نحوية فيها[٦].

وخرج أبو الطيب المتنبي على الطريقة التقليدية للقصيدة العربية التي تحتّم على الشاعر أن يبدأ قصيدته بالنسيب وبكاء الأطلال ثم ينتقل إلى غرضه،

---

(١) القاضي علي عبد العزيز الجرجاني، الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق وشرح : محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي البجاوي، دار القلم – بيروت، د.ط، د.ت : ص٤٨.

(٢) العمدة : ١ : ١٤٥.

(٣) الثعالبي : يتيمة الدهر : ١ : ١٦١.

(٤) العمدة : ١ : ٣٨٩.

(٥) المصدر نفسه : ١ : ٣٨٩ – ٣٩١.

(٦) انظر : الوساطة : ص١٥٥–١٦٠ العمدة : ١ : ٣٩٤، ٤١١.
يتيمة الدهر : ١ : ١٨٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتخلص في معظم قصائده، ولا سيما الحربية منها، من المقدمة الغزلية، وتناول موضوعه مباشرة، وكان يهجم على ما يريده مكافحة، ويتناوله مصافحة[١].

ويرجع الدكتور نصرت عبد الرحمن زوال المقدمات من شعر الصراع مع الروم في القرن الرابع الهجري إلى ثلاثة عوامل، أولها : أن التطور الطبيعي يفرض أن تزول المقدمات فلم تعد هناك حاجة إليها. وثانيها : أن شعراء الصراع وهم في أوج انفعالهم يجدون أن المقدمات بما فيها من الجو الحزين لا تتلاءم مع فرحة النصر ونشوة الظفر. وثالثهما : أن قصائد الحرب في القرن الرابع كانت تنشد في احتفالات شعبية عامة، وفي هذه الأناشيد الحماسية، ووسط هتاف الجماهير تصبح المقدمات الغزلية والطللية من ضروب العبث، فالناس الذين تجمعوا جاؤوا ليسمعوا وصفاً للحرب لا ليشنفوا آذانهم بغناء حزين[٢].

ولم يعب أحد من النقاد على المتنبي ابتعاده عن الابتداءات الغزلية والطللية، وعدوا كثيراً من مطالع قصائده التي ابتعد فيها عن المقدمات التقليدية من أحسن ابتداءاته. ويعتبر ضياء الدين بن الأثير المتوفى سنة ٦٣٧هـ التزام شاعر الحرب بالمقدمة الغزلية في القصائد الحربية خللاً، ويقول : «على الشاعر إذا نظم قصيدة أن ينظر، فإذا كانت مديحاً صرفاً لا يختص بحادثة من الحوادث، كفتح أو هزيمة جيش، أو غير ذلك فإنه لا ينبغي الابتداء بالغزل، لأن هذا يدل على ضعف قريحة الشاعر وقصوره عن الغاية، أو على جهله بوضع الكلام في مواضعه، ولأن الأسماع تكون متطلعة إلى ما يقال في تلك الحوادث»[٣]، فالابتداء بالغزل في مثل هذه المواطن يضعف القصيدة، ويؤدي إلى وجود تباين بين المقدمة وباقي الأجزاء، فالمقدمة الغزلية تحتاج إلى ألفاظ رقيقة وصور فنية محببة إلى النفس، أما ألفاظ الشعر الجهادي فتمتاز بالجزالة، وتتسم بطابع القوة، وتكون صوره منفرة أحياناً للنفس البشرية كصور مشاهد القتل وانتشار جثث القتلى في ساحة المعركة.

---

(١) العمدة : ١ : ٤٠٦.

(٢) د. نصرت عبد الرحمن : شعر الصراع مع الروم : ص٣٠٤-٣٠٧.

(٣) المثل السائر : ٣ : ٩٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وسار شعراء عصر الحروب الصليبية على نهج المتنبي في بناء قصائدهم الجهادية، فابتعدوا عن المقدمات الغزلية، وولجوا إلى الموضوع مباشرة، وجاءت مقدماتهم تقليداً لابتداءات أبي الطيب، واستعاضوا عن المقدمات الغزلية والطللية باستهلالات تناسب موضوع قصائدهم.

ومجّد شعراء هذا العصر في مقدمات قصائدهم القوة، وأعلوا من شأنها، واعتبروها الوسيلة الوحيدة لاسترداد الديار المقدسة من الصليبيين، وبناء الممالك، وقصر الشعراء هذا النوع من المقدمات على القصائد التي قيلت في وصف المعارك التي انتصر فيها المسلمون واسترجعوا من خلالها بعض بلادهم، يقول ابن القيسراني مهنئاً عماد الدين زنكي، وقد فتح الرها سنة ٥٣٩هـ[١] :

هو السّيف لا يغنيك إلا جـــلاده وهل طوّق الأملاك إلاّ نجـــاده

وعن ثغر هذا النّصر فلتأخذ الظّبى سَناها وإن فات العيون اتّقـاده

سمت قبّة الإسلام فخراً بطولـــه ولم يك يسمو الدّين لولا عماده

وذاد قسيم الدّولة ابن قسيمهـــا عن الله ما لا يستطاع ذيـــاده[٢]

ولابن منير الطرابلسي قصيدة هنأ فيها نور الدين زنكي بانتصاره على الفرنج سنة ٥٤٤هـ واسترجاعه حصن «أفامية»[٣]، ومطلعها :

أسنى الممالك ما أطلت منارهـــا وجعلت مرهفة الشّفار دسارهـــا[٤]

ويقول ابن عنين :

صليل المواضي واهتزاز القنا السّمر بغيرهما لا يجتنى ثمر النّصـــر

وصبر الفتى في المأزق الضنك فادح ولكنّه أهدى طريق إلى الفخـــر

---

(١) انظر : الروضتين : ١ : ١: ٩٤.

(٢) شعر ابن القيسراني : ص : ١٤٨. انظر أيضاً : ص ١٣٣، ١٥٧، ١٩٤، ٢٠٧، ٢٢٨.

(٣) انظر : الروضتين : ١ : ١ : ١٦٠.

(٤) ديوان ابن منير الطرابلسي : ص٢١٥. انظر أيضاً : ص٢٢٠، ٢٢٥، ٢٣٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتحت ظلام النقع تشرق أوجـــه الـ ثناء وجمع المجد في فرقة الوفر[١]

فإن القيسراني وابن منير وابن عنين وغيرهم من شعراء زمن الحروب الصليبية يجمعون على أن القوة هي أفضل الوسائل للدفاع عن ديار الإسلام، واسترداد الحقوق. واستهلال القصائد الجهادية بمثل هذه المقدمات يميّز النص الشعري الحربي عن غيره من النصوص، فالحرب تعني القوة، وابتداء القصيدة بالحديث عن صليل السيوف، واهتزاز القنا، والصبر في الشدائد يجعل النص أكثر ملائمة للموضوع.

وقد حاكوا في هذه المقدمات والاستهلالات قول المتنبي في سيف الدولة، وقد هزم الخارجين عليه سنة ٣٣٧هـ، وأعاد الأمن إلى البادية[٢] :

أعلى الممالك ما يبنى على الأسل والطّعن عند محبّيهنّ كالقبـــل

وما تقرّ سيوف في ممالكهـــا حتى تقلقل دهراً قبل في القلـل

مثل الأمير بغى أمراً فقرّ بـــه طول الرماح وأيدي الخيل والإبل[٣]

ويلاحظ على مقدمات المتنبي وشعراء عصر الحروب الصليبية التي أعلت من شأن القوة والشجاعة أنّها تضمنت في طياتها حكماً كانت نتاج الواقع المعاش، فلا سبيل لبناء الدول وتحقيق الغايات غير القوة.

وابتدأ بعض شعراء هذا العصر قصائدهم الجهادية بالحديث عن نتيجة المعركة، وما ترتب عليها من آثار على المسلمين والفرنج، يقول ابن منير الطرابلسي مصوراً فرحة المسلمين وقد انتصر نور الدين على البرنس صاحب أنطاكية سنة ٥٤٤هـ :

أقوى الضّلال وأقفرت عرصاته وعلا الهدى وتبلّجت قسماته

وانتاش دين محمد محمـــوده من بعد ما عُلّتْ دماً عبراتـه

---

(١) ديوان ابن عنين : ص٢٦.
انظر : ديوان ابن الخياط : ص١٨٨. الخريد – قسم مصر : ١ : ٢٠٣، ٢ : ٨١، ١٦٧.
ديوان العماد الأصفهاني : ص٧٩، ١٦٩.
ديوان ابن سناء الملك : ص٨.
ديوان ابن الساعاتي : ٢ : ٤٠٦.

(٢) انظر : ابن ظافر الأزدي : أخبار الدولة الحمدانية : ص٣١.

(٣) ديوان أبي الطيب المتنبي : ٣ : ٧١. انظر أيضاً : ٢ : ٢١٩، ٣٢٠، ٣ : ١٤٢، ٥٠٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ردّت على الإسلام عصر شبابه وثباته من دونه وثباتـــه
أرسى قواعده ومدّ عمـــاده صعداً وشيّد سوره سوراتـه
وأعاد وجه الحقّ أبيض ناصعاً إصلاته وصِلاتُه وصَلاتُـــه[1]

إنّ انتصار نور الدين على الفرنج أعاد للإسلام عافيته، وردّ له شبابه من بعد ما علت كلمة الشرك، ولكن الله بدّل الأحوال على يد نور الدين زنكي، فتراجع الضلال وانهزم أهله، وارتفعت راية الإسلام عالية خفّاقة. وتنتاب الشاعر في هذه المقدمة فرحة غامرة، لا يستطيع أن يخفيها، وإنّما يظهرها على الملأ كأنه كان ينتظرها منذ زمن طويل.

ويقول ابن سناء الملك مهنئاً صلاح الدين بفتح قلعة حلب سنة ٥٧٩هـ، ومبرزاً دور الأيوبيين في الحفاظ على وحدة الديار الإسلامية وقتال الفرنج :

بدولة الترك عزّت ملّة العرب وبابن أيّوب ذلّت شيعة الصّلـــب
وفي زمان ابن أيّوب غدت حلبٌ من أرض مصر وعادت مصر من حلب
ولابن أيّوب دانت كل مملكـــةٍ بالصّفح والصّلح أو بالحرب والحرب[2]

وساروا في هذه الابتداءات على خطى أبي الطيب في قوله :

دروعٌ لملك الروم هذي الرسائل يردّ بها عن نفسه ويشاغـــل
هي الزّرد الضّافي عليه ولفظها عليك ثناء سابغٌ وفضائـــل
وأنّى اهتدى هذا الرّسول بأرضه وما سكنت مذ سِرت فيها القساطل[3]

وقوله معرضاً بقائد الروم الذي أقسم عند ملكه أن يجتهد في لقاء سيف الدولة، والقضاء عليه وتحرير ما بيد المسلمين من أسرى، ولكنه هُزِم أمام سيف الدولة سنة ٣٤٥هـ[4]، وأفسدتْ عليه أحلامه :

عقبى اليمين على عقبى الوغى ندم ماذا يزيدك في إقدامك القســـم ؟

---

(١) ديوان ابن منير الطرابلسي : ص٢٠٨. انظر أيضاً : ص١٩٢، ١٩٧، ١٩٩، ٢٠٦، ٢١٨.
(٢) ديوان ابن سناء الملك : ص١. انظر أيضاً : ص٣٤٠.
انظر : شعر ابن القيسراني : ص١٩٩، ٢٧٤. النكت العصرية : ص٣٣٨.
ديوان العماد الأصفهاني : ص١٠٧، ٤٣٥.
(٣) ديوان أبي الطيب المتنبي : ٣ : ٣٩٠.
(٤) انظر : ابن ظافر الأزدي : أخبار الدولة الحمدانية : ص٣٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي اليمين على ما أنت واعـــده ما دلّ أنّك في الميعاد متّهـــم

ألى الفتى ابن شمشقيق فأحنثـه فتًى من الضّرب ينسى عنده الكلم[١]

ولم تقتصر مثل هذه المقدمات على القصائد التي خلدت النصر، ومجدت الفاتح، فإلى جانب ذلك وجدت قصائد ابتدأت بوصف هزيمة المسلمين أمام الروم زمن سيف الدولة وزمن الحروب الصليبية، كقصيدة ابن الدهان «ظبى المواضي وأطراف القنا الذبل ...» التي عارض فيها قصيدة أبي الطيب «غيري بأكثر هذا الناس ينخدع...»[٢].

واستهل بعض شعراء هذا العصر قصائدهم بتمجيد أبطالهم وتخليدهم، وإبراز دورهم في طرد العدو وتحرير البلاد، والتغني بمآثرهم وأعمالهم وصفاتهم وأخلاقهم، يقول ابن منير مادحاً نور الدين زنكي :

ما فوق شأوك في العلا مـــزداد فعلام يقلق عزمك الإجهـــاد

هممٌ ضربن على السماء سرادقاً فالشّهب أطنابٌ لها وعمـــاد

أنت الّذي خطبت له حسّـــاده والفضل ما اعترفت به الحسّاد[٣]

ويقول ابن القيسراني :

لك اللّه إن حاربت فالنّصر والفتح وإن شئت صلحاً عد من حزمك الصلح

وهل أنت إلاّ السّيف في كلّ حالةٍ فطوراً له حدٌّ وطوراً لـــه صفـــح[٤]

ويقول عمارة اليمني :

لك الحسب الباقي على عقب الدهر بل الشرف الرّاقي على قمّة النسر[٥]

وسبقهم المتنبي إلى مثل هذه المقدمات، يقول في مدح سيف الدولة :

لكل امرئٍ من دهره ما تعـــوّدا وعادات سيف الدولة الطّعن في العدا

---

(١) ديوان أبي الطيب المتنبي : ٣ : ٥٤٣. انظر أيضاً : ٣ : ١٧٦، ١٩٣، ٣٨٧، ٤٠٥، ٤٦٤.

(٢) انظر : ص ٧٣ – ٧٨ من هذه الدراسة.

(٣) ديوان ابن منير الطرابلسي : ص٢٦٢. انظر أيضاً : ص١٨٧، ١٩١، ١٩٤، ٢١٨.

(٤) شعر ابن القيسراني : ص١٣٣. انظر أيضاً : ص١٧٨، ١٩٩، ٢٥٦.

(٥) النكت العصرية : ص٢٧٠. انظر أيضاً : ص٣٢٠.

انظر : الخريدة – قسم مصر : ١ : ٢٠٥، ٢١٣، ٢ : ١٢٥، ١٤٠.

الروضتين : ١ : ٢ : ٦٠٥. ديوان العماد الأصفهاني : ص٣٢٤.

ديوان ظافر الحداد : ص١٧٨. ديوان ابن سناء الملك : ص٩ ، ٢٧٠، ٢٩٠، ٣١٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأن يكذب الإرجاف عنه بضـــدّه ويمسي بما تنوي أعاديه أسعـــدا
ورب مريدٍ ضرّه ضرّ نفســـه وهادٍ إليه الجيش، أهدى وما هـدى
ومستكبرٍ لم يعرف اللّه ساعـــةً رأى سيفه في كفّـه فتشهّـــدا
هو البحر غص فيه إذا كان ساكناً على الدّرّ واحذره إذا كان مزبـــدا[1]

وهكذا فإن مقدمات القصائد الجهاديّة التي قيلت في عصر الحروب الصليبية سارت على خطى مقدمات قصائد المتنبي الحربية، فبدأت ببدايات حماسية موحية بموضوع القصيدة، باستثناء بعض القصائد التي استهلها قائلوها بمقدمات غزلية[2] والتزم شعراء هذا العصر في قصائد المدح العادية بالطريقة التقليدية، فابتدأ معظمهم قصائدهم بمقدمات غزلية[3]. وتأثر بعضهم في بداياتهم الغزلية بمقدمات أبي الطيب لقصائد المدح العادية عنده، فاستمدوا معانيهم وصورهم في بداياتهم من معاني المتنبي في مقدماته وصوره، يقول المهذب بن الزبير :

أقصر -فديتك- عن لومي وعن عذلي أو لا فخذ لي أماناً من يد المقـــل
من كلّ طرفٍ مريض الجفن تنشدنـا ألحاظه «ربّ رامٍ من بني ثعـــل»
إن كان فيه لنا وهو السقيم شفـــاً «فربما صحّت الأجسام بالعلـــل»
إن الّذي في جفون البيض إذ نظرت نظير ما في جفون البيض والخلل
كذاك لم يشتبه في القول لفظهمـــا إلاّ كما اشتبها في الفعل والعمـــل
وقد وقفت على الأطلال أحسبهـــا جسمي الّذي بَعْدَ بُعْدِ الظّاعنين بلي
أبكي على الرسم في رسم الدّيار فهل عجبت من طلل يبكي على طلـــل
وكلّ بيضاء لو مسّت أناملهـــا قميص يوسف يوماً قُدّ من قبـــل
يغني عن الدّرّ والياقوت مبسمهـــا لحسنها فلها حلي من العطـــل

---

(١) ديوان أبي الطيب المتنبي : ٣ : ٣٧٣.

(٢) انظر : ديوان العماد الأصفهاني : ص٢٣٠.

(٣) انظر : ديوان العماد الأصفهاني : ٢٤٩، ٢٦٢.
ديوان فتيان الشاغوري : ص٢٦، ٨١، ٢٥٥، ٣٦٨.
ديوان شرف الدين الأنصاري : ص٦٦، ١٥٤، ١٥٦.

انظر أيضاً : ٢ : ١٥٦، ٢٠٨، ٢١٤، ٢١٦، ٣ : ١٤٦، ٢٢٥، ٢٦٣، ٣٧٢، ٤٣٦، ٤ : ٣٥، ٥٨.

ديوان ابن الساعاتي : ١ : ٧١.

ديوان ابن سناء الملك : ص١٧٢، ٢٢١.

ديوان ابن الساعاتي: ١ : ١١٧، ١٢٩، ١٤٨، ١٩٥، ٢: ١٧، ٤٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بالخدّ منّي آثار الدموع كما لها على الخدّ آثارٌ من القبل[١]

وضمن المهذب البيت الثالث من قول أبي الطيب في المدح :

لعلّ عتبك محمود عواقبه فربّما صحّت الأجسام بالعلل[٢]

ولعله نظر في البيت الخامس إلى قول المتنبي :

انظر إذا اجتمع السّيفان في رهجٍ إلى اختلافهما في الخلق والعمل[٣]

فابن الزبير يرى أن ألحاظ المحبوبة تعمل في العاشق ما يعمل السيف في الجسد، فشابهت جفون النساء السيوف في اللفظ والعمل، أما المتنبي فهو يؤكد أن سيف الدولة علي الرغم من تشابهه لفظاً مع السيف الحقيقي إلا أنه أشد عزماً وأحد مضاءً .

وبكاء ابن الزبير على الطلل في البيتين السادس والسابع، والمزاوجة الجميلة في قوله «طلل يبكي على طلل» يعيدان إلى الأذهان قول أبي الطيب :

بليت بلى الأطلال إن لم أقف بها وقوف شحيح ضاع في الترب خاتمه[٤]

وقوله :

بنا منك فوق الرمل ما بك في الرمل وهذا الذي يضني كذاك الذي يبلي[٥]

واستفاد ابن الساعاتي في مقدماته الغزلية كثيراً [٦] من مقدمات أبي الطيب التقليدية، ومن ذلك قوله :

سقى دمع عيني لا دموع الغمائم مواقف نعمٍ بين تلك المعالم

منازل تمليناً أحاديث شجوها أسانيد أنفاس الصبا والنعائم

وقوله :

وعهدي بها والبين ملقٍ قناعه فمن بائحٍ منّا وآخر كاتم

تبدّت فما شمس الضحى بمنيرةٍ وما ست فما أغصانها بنواعم

---

(١) الخريدة – قسم مصر : ١ : ٢٠٦.

(٢) ديوان أبي الطيب المتنبي : ٣ : ٢٨٢.

(٣) المصدر نفسه : ٣ : ٢٧٦.

(٤) ديوان أبي الطيب المتنبي : ٣ : ١٦.

(٥) المصدر نفسه : ٣ : ٨٥.

(٦) ديوان ابن الساعاتي : ١ : ٥٠، ٢٠١. ٢ : ٢٧، ١٣٩، ٢٨٤، ٣١١، ٣٥٣، ٣٨٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقوله :

حمدت الليالي مذ سمحن بقربه وهاتيك أسنى منّة للمناسم[١]

فقد أخذ البيتين الأول والثالث من قول أبي الطيب :

أنا لائمي إن كنت وقت اللّوائم علمت بما بي بين تلك المعالم

ولكنّني مما ذهلت متيّمٌ كسالٍ وقلبي بانحٌ مثل كاتم[٢]

وأصل البيت الرابع قول المتنبي :

حسان التّثنّي ينقش الوشي مثله إذا مسن في أجسامهنّ النواعم[٣]

وحاكى في البيت الأخير قول أبي الطيب :

ودسنا بأخفاف المطيّ ترابها فلا زلت استشفي بلثم المناسم[٤]

ثانياً - التخلص (الخروج)

ويقصد به أن ينتقل الشاعر من غرض إلى آخر في قصيدته من غير أن يقطع كلامه، وإنّما يكون جميع كلامه قد أفرغ إفراغاً، وحسن التخلص يدل على حذق الشاعر وقوة تصرفه[٥]. ويرى ابن رشيق أن التخلص أو الخروج إنّما هو أن يخرج الشاعر من نسيب إلى مدح، أو غيره بلطف تحيلٍ، ثم يتمادى فيما خرج إليه[٦]. فلطافة الخروج إلى المديح سبب ارتياح الممدوح واستمالته إلى الإصغاء[٧]. واعتبر ابن رشيق أبا الطيب المتنبي من أحسن الشعراء تخلصاً، ويقول في حقه: «أكثر الناس استعمالاً لهذا الفن، فإنه ما يكاد يفلت منه، ولا يشذ عنه، حتى

---

(١) ديوان ابن الساعاتي : ٢ : ١٣٨.
النعائم : جمع نعامى وهي ريح الجنوب. لسان العرب : نعم.
المناسم : أخفاف النياق. لسان العرب : نسم.
(٢) ديوان أبي الطيب المتنبي : ٢ : ٣٩٤.
(٣) المصدر نفسه : ٢ : ٣٩٦.
(٤) المصدر نفسه : ٢ : ٣٩٥.
(٥) ابن الأثير : المثل السائر : ٣ : ١٢١.
(٦) العمدة : ١ : ٤٠٩.
(٧) القاضي الجرجاني : الوساطة : ص٤٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ربما قبح سقوطه فيه »[1].

وحاول معظم الشعراء زمن الحروب الصليبية أن يكون تخلصهم حسنا، وأن يكون خروجهم من الغزل إلى موضوع القصيدة خروجاً لبقاً، ومن التخلص الحسن ما ورد في قصيدة المهذب بن الزبير التي مدح بها الملك الصالح طلائع بن رزيك، ومطلعها :

أقصر -فديتك- عن لومي وعن عذلي أو لا فخذلي أماناً من يد المقل[2]

ويقول متخلصا إلى المدح :

بالخدّ منّي آثار الدموع كما لها على الخدّ آثار من القبل

كأنّ في سيف سيف الدين من خجل من عزمه ما به من حمرة الخجل

هو الحسام الذي يسمو بحامله زهواً فيفتك بالأسياف والدّول

وعارض ابن الزبير في هذه القصيدة قصيدة المتنبي التي أوّلها :

أجاب دمعي وما الدّاعي سوى طلل دعا فلبّاه قبل الرّكب والإبل[3]

وأخذ ابن الزبير كثيراً من معاني مقدمة قصيدة أبي الطيب وصورها، ويبدو أنه اطّلع على تخلص المتنبي من الغزل إلى مدح سيف الدولة، فهناك تشابه واضح بين تخلص ابن الزبير وتخلص المتنبي فكلاهما جعل السيف وسيلة للتخلص من النسيب، يقول أبو الطيب :

فبات بين تراقينا ندفّعه وليس يعلم بالشّكوى ولا القبل

ثم اغتدى وبه من ردعها أثرٌ على ذؤابته والجفن والخلل

لا أكسب الذّكر إلاّ من مضاربه أو من سنان أصمّ الكعب معتدل

جاد الأمير به لي في مواهبه فزانها وكساني الدّرع في الحلل

ومن التخلص ما ورد في قصيدة ابن سناء الملك في مدح القاضي الفاضل، ومطلعها :

---

(١) العمدة : ١ : ٤١٠.

(٢) الخريدة – قسم مصر : ١ : ٢٠٦.

(٣) ديوان أبي الطيب المتنبي : ٣ : ٢٦٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نحافة الغصن غيظ من تثنّيكا وجملة الهجر جزءٌ من تجنّيكا[1]

وعارض فيها قصيدة المتنبي :

بكيت يا ربع حتّى كدّت أبكيكا وجدت بي وبدمعي في مغانيكا[2]

ويقول ابن سناء متخلصاً إلى المدح :

ملكت قلبي فقل لي كيف أصرفه وحزت نفسي فقل لي كيف أفديكا

دع عنك ملكي وعتقي إنني رجلٌ للفاضل بن عليٍّ صرت مملوكا

ويقول أبو الطيب متخلصاً من المقدمة الطللية إلى مدح عبيد الله بن يحيى البحتري :

أيّام فيك شموسٌ ما انْبعثْنَ لنا إلاّ ابتعثن دماً باللّحظ مسفوكا

والعيش أخضر والأطلال مشرقةٌ كأنّ نور عبيد اللّه يعلوكا

ومن التخلص ما جاء في قصيدة ابن الساعاتي في مدح الملك الظافر مظفر الدين بن الملك الناصر، ومطلع قصيدته :

نعم هذه آثارهم والمنازل وإن لا مني فيها نصيحٌ وعاذل[3]

وتأثر ابن الساعاتي في هذه القصيدة بقصيدتين للمتنبي، مطلع الأولى، وقد ابتدأها بمقدمة غزلية :

لك يا منازل في القلوب منازل أقفرت أنت وهنّ منك أواهل[4]

ومطلع الثانية، وقد استهلها بما يلائم موضوع القصيدة :

دروعٌ لملك الرّوم هذي الرّسائل يردّ بها عن نفسه ويشاغل[5]

وتخلص ابن الساعاتي إلى المدح بقوله :

فلا خاب ظنّي في العقيق وأهله كما لم يخب في الظافر الملك سائل

وأصل هذا البيت قول أبي الطيب في القصيدة الثانية واصفاً رسول الروم :

---

(١) ديوان ابن سناء الملك : ص٢١٢.

(٢) ديوان أبي الطيب المتنبي : ١ : ٢٢١.

(٣) ديوان ابن الساعاتي : ٢ : ٣١٠.

(٤) ديوان أبي الطيب المتنبي : ٢ : ٢٧٠.

(٥) المصدر نفسه : ٣ : ٣٩٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فما بلّغته ما أراد كرامـــــــةً عليك ولكن لم يخب لك سائـل

ويمكن القول : إن شعراء هذا العصر أدركوا فضل التخلص وأهميته في بناء القصيدة فحاولوا أن يأتوا بأحسنه وأجمله، كما تأثروا في هذا الميدان بالمتنبي، فأخذوا بعض معانيه في التخلص وعباراته وصوره، ولا غرابة في ذلك فقد عده ابن رشيق -كما تقدم- من أفضل الشعراء خروجاً، وقد بدا التأثر بالمتنبي جلياً في القصائد التي عارض فيها قائلوها قصائد للمتنبي.

ثالثاً - الخاتمة أو الانتهاء

عني النقاد بنهايات القصائد، ويؤكد ابن رشيق أن خاتمة النص الشعري «قاعدة القصيدة، وآخر ما يبقى منها في الأسماع، وسبيله أن يكون محكما : لا تمكن الزيادة عليه، ولا يأتي بعده أحسن منه، وإذا كان أول الشعر مفتاحاً له، وجب أن يكون آخره قفلاً عليه»[١]. ويرى أن خاتمة الكلام أبقى في السمع، وألصق في النفس، فإن حسنت حسن الكلام كله، وإن قبحت قبح، فالأعمال بخواتيمها [٢].

وأشاد ابن رشيق بخواتم أبي الطيب، وفضله على كل الشعراء في جودتها[٣] والدارس لخواتم المتنبي يجدها على أربعة أنماط : الدعاء للممدوح، وتعظيم البطل، والحكمة والإشادة بالقصيدة.

وأحسن الشعراء زمن الحروب الصليبية في معظم خواتم قصائدهم[٤]، ولم يخرجوا في نهايات قصائدهم على صور الخاتمة عند أبي الطيب، فقد أكثروا -كما أكثر المتنبي- في نهايات قصائدهم من تعظيم البطل والإعلاء من شأنه والتغني بشجاعته، يقول ابن منير مختتماً قصيدة له في نور الدين :

لازال هذا الملك يشمخ شانـــه أبداً ويكفت في الحضيض شتاته

---

(١) العمدة : ١ : ٤١٥.

(٢) المرجع نفسه : ١ : ٣٨٨.

(٣) المرجع نفسه : ١ : ٤١٥.

(٤) انظر : د. عبد الجليل عبد المهدي : بيت المقدس في أدب الحروب الصليبية : ص٢٤٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ما أخطأتك يد الزمان فدونـــه من شاء فلتسرع إليه هناتـــه

أنت الذي تحلي الحياة حياتـــه وتهب أرواح القصيد هباتـــه[١]

ويختتم أسامة بن منقذ مختتماً قصيدة له في نور الدين، فيقول :

فقل لملوك الأرض ما الفخر في الذي تعدونه من فعلكم بل كذا الفخـر[٢]

ويقول الجلياني مختتماً قصيدة له في صلاح الدين :

فكلّ ابتداءٍ في معاليه منتهـــى وكلّ انتهاءٍ في معاليه مبتـــدا[٣]

ويقول ابن سناء الملك منهيا قصيدة له في مدح صلاح الدين :

لك الحكم في الدّنيا وما هو بالهوى مع الجود بالدّنيا وما هو بالهزل

فحبّك مفروض على كلّ مسلـــم ويعلم هذا فيك بالعقل والنّقـــل[٤]

وهم في هذه الخواتم يسيرون على خطى أبي الطيب في نهايات قصائده، الذي كثيراً ما جعل بطله في خواتم قصائده يفوق الجميع قوة وشجاعة، ويتحكم بمصائر الأمة، وتنتهي أمور الرعية إليه، يقول مختتماً قصيدة له في مدح سيف الدولة :

ولم نر ملكاً قطّ يدعى بدونـــه فيرضى ولكنْ يجهلون وتحلـــم

أخذت على الأرواح كلّ ثنيـّـــةٍ من العيش تعطي من تشاء وتحرم

فلا موت إلاّ من سنانك يتّقـــى ولا رزق إلاّ من يمينك يقســـم[٥]

ويقول مختتماً قصيدة أخرى :

جرى معك الجارون حتّى إذا انتهوا إلى الغاية القصوى جريت وقاموا

فليس لشمسٍ مذ أنرت إنـــارةٌ وليس لبدرٍ مذ تممـت تمـــام[٦]

---

(١) ديوان ابن منير الطرابلسي : ص٢١٤.

(٢) ديوان أسامة بن منقذ : ص٢٠٦.

(٣) ديوان المبشرات والقدسيات : ص١٤٤. انظر أيضاً : ص١٢٧، ١٦٣.

(٤) ديوان ابن سناء الملك : ص٢٢٦. انظر أيضاً : ص٨، ١٢٢، ٣٥٦.
انظر : ديوان ابن قسيم الحموي : ص ٧٩، ١٢١. ديوان فتيان الشاغوري : ص١٧، ١٣٧، ٣٠٤.
ديوان ابن عنين : ص ٨، ٣٨.

(٥) ديوان أبي الطيب المتنبي : ٣ : ١٦١.

(٦) المصدر نفسه : ٣ : ٤٤٤ . انظر أيضاً : ١ : ١٦١، ٢٠٠، ٢٠٢، ٢٣٣، ٣٦٤، ٣ : ٥٤، ١٧٠، ٣٢٢، ٥٤٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأنهى بعض شعراء هذا العصر[١] قصائدهم بالدعاء للبطل بأن ينصره الله على أعدائه، ويرفع رايته على ديار الإسلام، ويحقق آماله، ويعلي منزلته. يقول فتيان الشاغوري خاتماً قصيدته «تبنى الممالك بالوشيج الأسمر ... » التي تغنى فيها بانتصارات صلاح الدين وفتوحاته سنة ٥٨٣هـ :

فازت قداحكم وكل ملوكهـــا ... برمٌ فليس ميسّرا للميســـر

لا زال ظلكم الظليل ولا خلـــت ... من ذكركم في الدّهر ذروة منبر[٢]

ويقول أبو الطيب مختتماً قصيدته «أعلى الممالك ما يبنى على الأسل ..» :

أجر الجياد على ما كنت مجريها ... وخذ بنفسك في أخلاقك الأول

ينظرن من مقلٍ أدمى أحجّتـــها ... قرع الفوارس بالعسّالة الذّبل

فلا هجمت بها إلاّ على ظفـــرٍ ... ولا وصلت بها إلاّ إلى أمـــل[٣]

ويقول ابن قسيم الحموي مختتماً قصيدة له في نور الدين أولها : «بعزمك أيها الملك العظيم ... » وقد عارض فيها قصيدة المتنبي المشهورة «على قدر أهل العزم تأتي العزائم...» :

أقرّ الله عينك من مليـــكٍ ... تخامر غبّ همّته الهمـــوم

ولا برحت لك الدنيا فـــداءً ... وملكك من حوادثها سليـــم

وإن تك في سبيل اللّه تشقى ... فعند اللّه أجرك والنّعيـــم[٤]

ويقول أسامة بن منقذ منهياً قصيدته في طلائع بن رزيك «لك الفضل من دون الورى والمكارم ...»، وعارض فيها قصيدة المتنبي السابقة :

فدمت ودامت هالةٌ أنت بدرها ... وملكك، ما كرّ الجديدان، دائم[٥]

ويقول ابن الساعاتي خاتماً قصيدته "فؤاد أطاع الوجد بين المعالم...» وقد

---

(١) انظر : الروضتين : ٢ : ١٠٥.
ديوان ابن الدهان : ص٧٧.
ديوان فتيان الشاغوري : ص١٤٨، ١٥٢، ٣٢١، ٤٣٥.
ديوان العماد الأصفهاني : ص٤١٨.
ديوان ابن سناء الملك : ص ٣٢٤.

(٢) ديوان فتيان الشاغوري : ص١٤٨.

(٣) ديوان أبي الطيب المتنبي : ٣ : ٧٩.
انظر : ابن رشيق : العمدة : ١ : ٤١٧.

(٤) ديوان ابن قسيم الحموي : ص١٠٥.

(٥) ديوان أسامة بن منقذ : ص٢٢٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

استفاد فيها كثيراً من قصيدة أبي الطيب المذكورة آنفاً :

فلا زلت للأيام حسناً وبهجـــة　　فما أنت إلاّ موسمٌ للمواســـم

إذا ما خلت منك البلاد وأهلها　　فمن يرتجى فيها لدفع العظائم[1]

ويبدو جلياً تأثر ابن قسيم الحموي وأسامة بن منقذ وابن الساعاتي بخاتمة قصيدة المتنبي «على قدر أهل العزم ...» التي يقول فيها :

ألا أيّها السّيف الّذي لست مغمـداً　　ولا فيك مرتابٌ ولا منك عاصم

هنيئاً لضرب الهام والمجد والعلا　　وراجيك والإسلام أنّك سالـــم

ولم لا يقي الرحمن حدّيك ما وقـى　　وتفليقه هام العدا بك دائـــم ؟[2]

ويلحظ قارىء هذه الخواتم أنّ الحموي وابن منقذ وابن الساعاتي قد احتذوا حذو أبي الطيب بالدعاء للبطل بأن يقيه الرحمن من سهام الأعداء، ويزيده قوة وشجاعة حتى يدفع العظائم عن أمته، ويعيد لها المجد، ويقلق مضاجع العدو.

ويختتم أبو الطيب قصائده الحربية -عادة- بأبيات في الحكمة [3]، هي في الواقع أفكار القصيدة وفلسفتها، ويضحي أبو الطيب فيها حكيماً هادئاً بعد أن كان طوال القصيدة كالرياح العواصف[4]، يقول المتنبي مختتماً قصيدته «نزور ديارا ما نحب لها مغنى ...».

وما الخوف إلاّ ما تخوّفه الفتـــى　　ولا الأمن إلاّ ما رآه الفتى أمنـــا[5]

ويقول مختتماً قصيدته «عواذل ذات الخال فيّ حواسد ....» :

فإنّ قليل الحبّ بالعقل صالـــحٌ　　وإنّ كثير الحبّ بالجهل فاســد[6]

ويختتم لاميته المشهورة «ليالي بعد الظاعنين شكول ...» بقوله :

فأن تكن الدولات قسماً فإنّهـــا　　لمن ورد الموت الزؤام تـــدول

---

(١) ديوان ابن الساعاتي : ١ : ٢٠٣.

(٢) ديوان أبي الطيب المتنبي : ٣ : ٤٣٥.

(٣) انظر المصدر نفسه : ٣ : ١٩٢، ١٩٨، ٢١٥، ٣٠٨، ٣٥٤، ٤١٨، ٥١٣، ٥٧٩ ، ٤ : ٢٠٠، ٢١٩، ٢٧٢، ٤٠٩.

(٤) د. نصرت عبد الرحمن : شعر الصراع مع الروم : ص ٢٣٠.

(٥) ديوان أبي الطيب المتنبي : ٣ : ١٩٨.

(٦) المصدر نفسه : ٣ : ٢١٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لمن هوّن الدنيا على النّفس ساعةً وللبيض في هام الكماة صليـل[1]

ويفاجأ من يستقرئ شعر الحروب الصليبية بندرة أبيات الحكمة في خواتم قصائدهم فهي قليلة جداً، ومنها خاتمة قصيدة العماد الأصفهاني «بالجد أدركت ما أدركت لا اللعب...» التي هنأ فيها أسد الدين شيركوه وقد تقلد وزارة مصر سنة٥٦٤هـ:

ردّ الخلافة عباسيّـة، ودع الدّ عيّ فيها يصادف شرّ منقلـــب

لا تقطعن ذنب الأفعى وترسلها فالحزم عندي قطع الرأس كالذنب[2]

ويقول مختتماً قصيدة له عزّى فيها صلاح الدين بوفاة عمه شيركوه:

تديمون بالمعروف طيّب ذكركم وما الملك إلاّ أن تديموا لكم ذكرا

وإنّ الّذي أثرى من المال مقترٌ وإن يفنه في كسب محمدة أخرى[3]

وأصل البيت الثاني قول أبي الطيب:

ومن ينفق الساعات في جمع ماله مخافة فقرٍ فالّذي فعل الفقـــر[4]

وكثيراً ما عرّج شعراء هذا العصر في خواتيم قصائدهم على شعرهم، ينوهون به، ويعلون من شأنه، ويعظمون شاعريتهم، ويقللون من منزلة غيرهم من الشعراء، يقول ابن الخياط:

وقفت القوافي في ذراك فلم يكن سواك من الأملاك ملكٌ يروقهـــا

معطّلةً إلاّ لديك حياضهـــــا ومهجورةً إلاّ إليك طريقهـــــا

ومالي لا أهدي الثّناء لأهلـــه ولي منطقٌ حلو المعاني رشيقها

وإن تك أصناف القلائد جمّـــةً فما يتساوى درّها وعقيقهـــا[5]

ويقول ابن القيسراني خاتماً قصيدة له في مدح كمال الدين الشهرزوري:

أبا الفضل كم لي في مساعيك مدحةٌ ألذّ على الأفواه من ضرب النّحـل

ترى القوم فيها بين راوٍ وسامـــعٍ كلا عاشقيها الدّهر يكتب أو يملي

---

(١) ديوان أبي الطيب المتنبي: ٣: ٣٥٤.

(٢) ديوان العماد الأصفهاني: ص٨١.

(٣) المصدر نفسه: ص١٦١.

(٤) ديوان أبي الطيب المتنبي: ٢: ٣٢٣.

(٥) ديوان ابن الخياط: ص٤٨. انظر أيضاً: ص١٥١، ١٩٠، ٢٣٥، ٢٦٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فريدة لفظٍ في فريد محاســـــنٍ فتلك بلا مثل وأنت بلا مثـــــل[١]

ويقول العماد الأصفهاني مختتماً قصيدة له في مدح الخليفة المستضيء بالله :

تملّ مدح وليّ فخر ناظمـــــــه أنّ القريض إلى تقريظكم خلصـا

لا يصدق الشعر إلاّ حين أمدحكـم وكلّ مدحٍ سوى مدحيكم خرصـــا

وكيف أحصي بنطقي فضل منتسبٍ إلى الذي في يديه نطق كلّ حصى[٢]

وهم بذلك يقلدون أبا الطيب حيث اختتم مجموعة من قصائده[٣] بأبيات افتخر فيها بشعره، ومن ذلك قوله خاتماً قصيدته «واحر قلباه ...» :

بأي لفظٍ يقول الشعر زعنفةٌ تجوز عندك لا عربٌ ولا عجـــم

هذا عتابك إلاّ أنّه مقـــــةٌ قد ضمّن الدّرّ إلاّ أنّه كلـــــــم[٤]

ويقول مختتماً قصيدته «عقبى اليمين على عقبى الوغى ندم...» :

لا تطلبنّ كريماً بعد رؤيتـــه إنّ الكرام بأسخاهم يداً ختمـــوا

ولا تبال بشعرٍ بعد شاعـــره قد أفسد القول حتّى أحمد الصمم[٥]

وبذلك يمكن القول إن شعراء زمن الحروب الصليبية استفادوا كثيراً من خواتم أبي الطيب الذي عدّه ابن رشيق أفضل الشعراء اختتاماً للقصائد[٦]. وقد أدركوا كما أدرك المتنبي من قبلهم أهمية الخاتمة، فعمدوا إلى الخواتم الملائمة لموضوع القصيدة، فركزوا في القصائد الجهادية على الخواتم التي تعلي من شأن البطل وتعظمه وتمجده وتدعو له بالبقاء والانتصار على العدو. وفي قصائد

---

(١) شعر ابن القيسراني : ص٣٥٣.

(٢) ديوان العماد الأصفهاني : ص٢٥٦.
انظر : ديوان ابن منير الطرابلسي : ص٢٣٠، ٢٣٨.
ديوان ابن الدهان : ص٥٨.
ديوان فتيان الشاغوري : ص١١٣، ٣٢١
ديوان ابن الساعاتي : ١ : ١٣١، ٢٩٥ ٢ : ٢٢، ١٠٧، ٢١٤، ٣٠٠، ٣٩٥.
ديوان البهاء زهير : ص١١٧، ٣٣٤.

(٣) انظر : ديوان أبي الطيب المتنبي : ١ : ٨٢، ١٢١، ٢٥٠. ٢ : ٤٠، ٣٣٣، ٣٧٦، ٣٨٩، ٤٤٣، ٤٩٤، ٥٣٠. ٣: ٢٦٢، ٣٨٤، ٥٦٠. ٤ : ١١٥.

(٤) المصدر نفسه : ٣ : ٢٦١.

(٥) المصدر نفسه : ٣ : ٥٦٠.

(٦) انظر : العمدة : ١ : ٤١٥.

انظر أيضاً : ص١٤٦، ١٧٧، ٣٢٦، ٣٥٦.
انظر أيضاً : ص٢٠٧، ٢٢٦، ٢٦٩، ٤٠٢، ٤٣٠.
ديوان طلائع بن رزيل : ص٨٧، ١٠٩.
ديوان الملك الأمجد : ص١٠٠، ٢٩٢، ٣٩٥.
ديوان شرف الدين الأنصاري : ص١٥٨، ٢٧٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المدح العادية عمدوا إلى التنويه بشعرهم وشاعريتهم.

وحدة القصيدة

وهكذا فإن شعراء هذا العصر ساروا على نهج أبي الطيب في بناء قصائدهم، وتمثلوا بمقدمات قصائده واستهلالاتها وموضوعاتها وخواتيمها. وتكوّن القصيدة من هذه الأجزاء لا يعني استقلالية كل جزءٍ على حدة، وإنّما هي في مجموعها تشكل بناءً واحداً، وكل لبنة فيها تؤدي إلى الأخرى، وحديث النقاد عن الابتداءات الحسنة والتخلص اللبق إلى الموضوع، وملاءمة الخاتمة لموضوع القصيدة هو في حقيقة الأمر حديث عن وحدة القصيدة[١]، فالشاعر مطالب -كما يرى ابن الأثير- بأن يجعل كلامه «آخذاً برقاب بعض من غير أن يقطع كلامه ويستأنف كلاماً آخر، بل يكون جميع كلامه كأنما أفرغ إفراغاً، وذلك مما يدل على حذق الشاعر وقوة تصرفه»[٢]. وبهذا تكون لكل جزء في القصيدة مهمة خاصة به، فالمقدمة تهيء السامع وتحثه على الإصغاء، والخروج ينقل المتلقي نقلاً خفيفاً إلى الموضوع، والخاتمة ترسخ فكرة القصيدة. «فالوحدة التي تجمع بين أجزاء القصيدة هي وحدة بناء، وهي وحدة منطقية قائمة على حسن البداية وحسن التخلص وحسن الانتهاء في تسلسل مقنع مراعية الشروط والقواعد التي وضعها النقاد لهذا التسلسل، مقيدة بقوالب متفق عليها لا يجوز للشاعر أن يخرج عليها أو يخالفها»[٣].

وبذلك فإن القصيدة الجهاديّة في روميات المتنبي وفي شعر الجهاد في عصر الحروب الصليبية تشكل وحدة واحدة على الرغم من تعدد أجزائها وموضوعاتها، وهذه الموضوعات على الرغم من تعددها إلا أنها تكون موضوعاً واحداً هو موضوع الصراع مع الأعداء[٤].

---

(١) د. محمود السمرة : القاضي الجرجاني – الأديب الناقد، بيروت سنة ١٩٦٦م : ص١٧٢.

(٢) المثل السائر : ٣ : ١٢١.

(٣) د. عبد الفتاح نافع : لغة الحب في شعر المتنبي : ص٢٦٩.

(٤) د. عبد الجليل عبد المهدي : بيت المقدس في أدب الحروب الصليبية : ص٢٥٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولتوضيح معالم الوحدة في قصيدة عصر الحروب الصليبية وتبين أثر المتنبي في بناء القصيدة فسيعرض الدارس نموذجين من شعر هذا العصر، ويقرن كل نموذج بنص شعري يشبهه عند أبي الطيب.

ومن القصائد الجهادية في هذا العصر التي ابتعد قائلوها عن المقدمات التقليدية قصيدة فتيان الشاغوري «تبنى الممالك بالوشيج الأسمر ... »[١] التي مدح بها صلاح الدين بعد تحريره القدس سنة ٥٨٣هـ.

واستهلّ فتيان الشاغوري قصيدته بأبيات من الحكمة عظّم فيها القوة، وأعلى من شأنها، يقول في أولها :

تبنى الممالك بالوشيج الأسمر والبيض تلمع في العجاج الأكدر
وبكلّ أجرد شيظمٍ يعدو إلـــى الهيجا بمقتحم المهالك مسعـــر[٢]

وأكّد الشاغوري في مقدمته أن الدول تبنى بالقوة واقتحام المهالك، وتدوم بنشر العدل والإحسان والمعروف بين الرعية، وتمتع القائد بالحلم والعفو. ثم تخلص من المقدمة تخلصاً حسناً فقال :

كفعال مولانا صلاح الديـــن ذي الـ مجد الغُدامِس والعطاء الكوثـــر[٣]

وصور في هذا القسم كثيراً من صفات صلاح الدين التي أعجزت البليغ، وأعيت أهل المنطق والفلسفة، فهو أعاد للإسلام بهاءه، وأردى الكفر، وغزا بجيشه ملوك الشرك، وسما فوق الملوك كلهم وأذلهم. ثم خرج الشاغوري إلى موضوع القصيدة وهو التغني بفتح القدس خروجاً لبقاء، إذ يقول :

فليهنه الفتح الّذي سدّت بـــه عن ملكه أبواب غدر الأدهـــر
فتح تطأطأ كلّ فتح دونـــــه والشّمس تكسف كلّ جسم نيّر

واعتبر هذا الفتح ملحمة عظيمة خطت معالمها بدماء الأعداء، وكانت السهام نقطها، والسمهري خطها. وصور الشاعر شدة جيش صلاح الدين وقوته من خلال

---

(١) ديوان فتيان الشاغوري : ص ١٤٠-١٤٨.
(٢) الشيظم من الخيل : الطويل الظاهر العصب. لسان العرب : شظم.
مسعر : موقد نار الحرب، وهي من صفات الجياد. لسان العرب : سعر.
(٣) الغدامس : المشهور.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تصويره لخيل المسلمين في المعركة، ثم انتقل إلى وصف جيش الأعداء وأطال في وصفهم، وركز على رعبهم من جماعة المسلمين على الرغم من كثرتهم، ولجأ في تصويره لهم إلى أسلوب المقابلة، فقابل بين ما كانوا عليه قبل المعركة من شدة وبأس، وما آلوا إليه بعد لقاء صلاح الدين وجيشه حيث أصبحوا نهبا للسباع والنسور، وحصدهم المسلمون كما يحصد الزرع، والخيل لا تطأ إلا هاماتهم. ثم انتقل فتيان الشاغوري انتقالاً بارعاً إلى الإشادة بالفاتح مرة أخرى، يقول :

سقت المماليك الكرام ملوكهـــم كأساً به سقت اللئيم الهنفري[1]

مضت الملوك ولم تنل عشر الّذي أوتيته من منجحٍ ومفخـــــر

واختتم فتيان الشاغوري قصيدته بالدعاء للبطل، يقول :

لازال ظلكم الظليل ولا خلـــت من ذكركم في الدهر ذروة منبر

وهكذا فإن هذه القصيدة جاءت من حيث المحتوى في ثلاثة محاور رئيسة، وهي : أن البطل صلاح الدين خير ملوك المسلمين بطولة وذوداً عن الإسلام وديارة، وأن المسلمين لا يقهرون لأنهم يستمدون قوتهم من الله، وأن الأعداء على الرغم من كثرتهم وقوتهم منهزمون. أما من حيث بناء القصيدة، فقد راعى الشاعر فيها مقاييس عصره الأدبية فبدأ قصيدته بمقدمة تلائم الموضوع، وتخلص منها تخلصاً لا يخل بالقصيدة، ثم خرج إلى الموضوع وعرضه بشكل تفصيلي، وجعل كل معنى يؤدي إلى المعنى الذي يليه من غير أن يشعر المتلقي بالملل أو الرتابة، ثم ختم قصيدته بما يناسبها. ومن هنا يمكن القول إن هذه القصيدة امتازت بالوحدة الموضوعية على الرغم من تعدد محاورها.

ويلحظ القارئ لهذه القصيدة تأثر فتيان الشاغوري ببناء القصيدة الحربية عند أبي الطيب ولا سيما ميميته المشهورة «على قدر أهل العزم ..»[2] فقد ركز الشاغوري على المحاور نفسها التي تناولها المتنبي في ميميته، واعتمد أسلوبه في بنائها، حيث ابتدأ أبو الطيب قصيدته بأبيات في الحكمة، ثم انتقل

---

(١) الهنفري : اسم ملك الصليبيين.

(٢) ديوان أبي الطيب المتنبي : ٣ : ٤١٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إلى مدح سيف الدولة وتصوير بطولته في موقعة الحدث، وفي هذا القسم أكثر من الصور الشعرية المصورة للقلعة، ثم تخلص إلى وصف جيش الأعداء تخلصاً جميلاً، ثم عاد للإشادة ببطولات سيف الدولة في ساحة المعركة، وأنهى قصيدته بالدعاء لممدوحه.

ومن القصائد الجهادية في عصر الحروب الصليبية التي ابتدأت بمقدمة غزلية قصيدة ابن القيسراني التي أولها :

أما وخيال زار ممّن أحبُّـــــه لقد هاج من ذكراه مالا أغبُّـــه
إذا ما صبا قلب المحبّ إلى الصّبا ذكرت نسيماً بالثّغور مهبُّـــه
فيا نفحات الشّام رفقاً بمهـــجةٍ يحامي عليها مدنف القلب صبّه
فلا تسألنّ الصّبّ : أين فـــؤاده فإنّ فؤاد المرء مع من يحبّـــه[1]

وعالج ابن القيسراني في قصيدته مجموعة من وقائع الممدوح، بعد مرور فترة عليها، يقول متخلصاً من المقدمة التقليدية إلى مدح نور الدين زنكي :

وفي شعب الأكوار من هو عالـــمٌ غداة استطار البرق من طارلبّه
يشيم ثغور المزن تهمي كأنّهـــا سنابشر نور الدّين تنهلّ سحبه
إذا ما سما من مبهم الخطب وجهه تمزق عن بدر الدّجنّة حجبـــه
تولّد بين الغيث والليث والتقى منافسه أيّ الثلاثة تربـــــه[2]

وبعد عدة أبيات من المدح خلع فيها أجمل الصفات وأشجعها على نور الدين يشير ابن القيسراني إلى معركة الرها التي وقعت سنة ٥٤١هـ، ثم يشير إلى أحداث العريمة التي كانت سنة ٥٤٣هـ، يقول :

وعارم يوماً بالعريمة فاغتـــدت كوادي ثمودٍ إذ رغا فيه سقبـــه
وعاصى على العاصي بأرعن خاطبٍ دم الإفك حتّى أنكح النصل خطبه[3]

---

(١) شعر ابن القيسراني : ص٧٦.

(٢) الأكوار : جمع كور وهو جماعة الابل. لسان العرب : كور.
الدجنة : الظلمة . لسان العرب : دجن.

(٣) عارم : اشتد . لسان العرب : عرم.
عاصى : امتنع وضارب. لسان العرب : عصا.
العاصي : نهر حماة وحمص. معجم البلدان : ٤ : ٦٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثم انتقل للحديث عن موقعتي «إنب» و «عزاز»، وصور أسر نور الدين للأمير الصليبي «جوسلين» سنة ٥٤٥هـ. واستذكر في خاتمة القصيدة خروج ملك الروم سنة ٥٣٢هـ من القسطنطينية بجموع كثيرة من الفرنج قاصداً الشام حيث احتلّ مجموعة من المدن والقلاع، ولكن عماد الدين زنكي أوقع بهم، وظفر بطائفة منهم، ويقول مخاطباً ممدوحه :

أبوك استردّ الشّام بالسّيف عنوةً ... وللروم بأسٌ طالما غال خطبه

إذا ذبّ عن أضغاث دنياه مالكٌ ... فأنت الذي عن حوزة الدّين ذبّه

وسار ابن القيسراني في قصيدته على خطى قصيدة أبي الطيب المعروفة «ليالي بعد الظاعنين شكول ...»[1] التي صور فيها مجموعة من وقائع سيف الدولة مع الروم، واستهل قصيدته بمقدمة غزلية رقيقة، صور فيها ما أصابه من ألم وحزن بعد فراق الأحبة له، فهو عاشق مطعون في حبه، وتخلص من المقدمة إلى المدح بقوله :

لقيت بدرب القلّة الفجر لقيةً ... شفت كمدي والليل فيه قتيل

ويوماً كأنّ الحسن فيه علامةً ... بعثت بها والشّمس منك رسول

وما قبل سيف الدولة أثّار عاشقٌ ... ولا طلبت عند الظّلام ذحول[2]

ولم يقف أبو الطيب كثيراً عند المدح حيث انتقل بعد عدة أبيات إلى تتبع حركة الخيل التي تقل البطل وجنوده من مدينة إلى أخرى، وفي كل بلدة تكون له موقعة مع العدو يخرج منها منتصراً، وصور في قصيدته وقائع سيف الدولة مع الروم[3] في حران ودلوك، وعرقة، وملطية، وهنزيط، وحصن الران، وسميساط

---

(١) ديوان أبي الطيب المتنبي : ٣ : ٢٣٠.

(٢) درب القلة : موضوع في بلادالروم. معجم البلدان : ٢ : ٤٤٨.
أثار : أدرك ثأره. لسان العرب : ثأر.
ذحول : جمع ذحل وهو الحقد. لسان العرب : ذحل.

(٣) انظر : د. طه حسين : مع المتنبي : ص٢٣٧-٢٤٦.
د. نصرت عبد الرحمن : شعر الصراع مع الروم : ص٢١١-٢١٥.

- - - - - All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وغيرها من الدروب[١] ورسم في قصيدته لقائد الروم «قسطنطين» صورة توحي بالسخرية والتهكم والاستهزاء، واختتم هذا المحور بمدح سيف الدولة، فتغنى بشجاعته، وفضله على كافة ملوك عصره وأمرائه، يقول :

فدتك ملوكٌ لم تسمّ مواضيـــاً فإنّك ماضي الشّفرتين صقيل

إذا كان بعض الناس سيفاً لدولةٍ ففي الناس بوقاتٌ لها وطبول

وسرعان ما تنبه إلى نفسه، فأخذ يفتخر بذاته وشعره، ووضع نفسه نداً لسيف الدولة.

ويرى الدكتور محمود إبراهيم أن بين هاتين القصيدتين -قصيدة ابن القيسراني وقصيدة المتنبي- نوعاً من الارتباط والتواؤم ما بين الحالة النفسية لكل من الشاعرين[٢] فكلاهما بدأ قصيدته بمقدمة حزينة صور فيها حزنه وألمه لفراق الأحبة وهجرانهم له، وحاول كلٌ منهما أن يستذكر ما كان بينه وبين المعشوقة من حب ومودة «فالمقدمة في كل منهما تمثل خطّاً من ذكريات الشاعر المتتابعة، وصور حنين مسترجعة، الواحدة تلو الأخرى في حال من الاستذكار واستعادة الماضي»[٣] وبعد هذه المقدمة الحزينة صور كل منهما انتصارات بطله، والفرحة التي انتابت الشاعر وكافة المسلمين. وهنا يظهر شيء من التناقض، فكلاهما يسيطر عليه في المقدمة حزن دفين ويأس عظيم بسبب فشلهما في الحب، وعندما انتقلا إلى تصوير المعارك التي خاضها البطل تلألأ وجههما فرحاً بالانتصارات، ومع أن هذا التناقض الظاهري يوحي بعدم الانسجام بين مقدمة القصيدتين ومادتيهما فإنّه دليل على تحقيق الانسجام والتلاؤم، وكذلك تحقيق وحدة القصيدة، فكلا الشاعرين بنى قصيدته على التناقض «فالمعاني الشعرية

---

(١) حران : مدينة مشهورة من جزيرة أقور، وهي على طريق الموصل والشام والروم. معجم البلدان : ٢ : ٢٣٥.
عرقة : بلدة في نواحي الروم . معجم البلدان : ٤ : ١١٠.
ملطية : بلدة من بلاد الروم تتاخم الشام. معجم البلدان : ٥ : ١٩٢.
هنزيط : من الثغور الرومية . معجم البلدان : ٥ : ٤١٨.
سميساط : مدينة على شاطئ الفرات في طرف بلاد الروم على غربي الفرات. معجم البلدان : ٣ :٢٥٨.

(٢) صدى الغزو الصليبي في شعر ابن القيسراني : ص١٨٢.

(٣) المصدر نفسه : ص١٨٢.

- All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تنشأ من الصراع بين ما هو منطقي وما هو غير منطقي»[١]. وعلى الرغم من ذلك فإن ابن القيسراني لم يستطع أن يبني قصيدته ويوحد أجزاءها كما استطاع المتنبي، فالقارئ لقصيدة القيسراني يجده يتنقل من معركة إلى أخرى من غير رابط يوحد بين اللوحات الفنية التي رسمها لبطله، وهو بذلك يتعب ذهن المتلقي ويشق عليه في تتبع صوره ومادته، أما المتنبي فقد جعل قصيدته تتمتع بالوحدة العضوية لتركيزه على حركة الخيل، فالخيل نقلت الممدوح من موقعة إلى أخرى وفي الوقت نفسه كانت تنقل المتلقي من لوحة إلى أخرى، فتركيزه على الخيل أضفى على القصيدة نوعاً من الوحدة.

* الصورة الشعرية

يعبر الشاعر بالصورة الشعرية عن أفكاره وأحاسيسه وتجربته، وتعمل الصورة الفنية على تنظيم التجربة الإنسانية الشاملة للكشف عن المعنى الأعمق للحياة والوجود المتمثل في الخير والجمال من حيث المضمون والمبنى بطريقة إيحائية مخصبة من حيث الشكل[٢]، وتعتبر الصورة إعادة نتاج عقلية، وذكرى لتجربة عاطفية أو إدراكية غابرة[٣].

والقارئ لشعر أبي الطيب المتنبي بشيء من التمعن يجده يعتمد في تصويره وخاصة في شعره الحربي على حاسة البصر، فهو يشاهد أحداث المعركة ومجرياتها، ويصف ما تقع عينه عليه من أدوات الحرب ومشاهد القتل ... ومع هذا فإن خياله لم يكن أسير الحقيقة التي وقع في أسرها كثير من شعراء الحرب، فقد حقق في كثير من قصائده الحربية خاصية الشعر صورة وخيالاً، ولذلك نجد كثيراً من النقاد القدامى يعلون من قيمة صوره الشعرية[٤].

---

(١) د. إحسان عباس : فن الشعر : ص١٧٧.

(٢) د. عبد القادر الرباعي : الصورة الفنية في شعر أبي تمام، جامعة اليرموك – اربد، ط١ سنة ١٩٨٠م . ص١٤.

(٣) رينيه ويليك وأوستن وارن : نظرية الأدب، ترجمة محيي الدين صبحي – المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب – دمشق سنة ١٩٧٢. : ص٢٤٠.

(٤) انظر مثلاً : القاضي الجرجاني : الوساطة : ص٤٣١، ٤٧١.
الثعالبي : يتيمة الدهر : ١ : ١٩٧.
ابن الأثير : المثل السائر : ٣ : ٦٨، ١٦١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واهتم شعراء عصر الحروب الصليبية بالصورة الشعرية اهتماماً واسعاً، واعتمدوها وسيلة لتصوير واقع عصرهم، ولنقل أفكارهم وأحاسيسهم وتجاربهم، وركزوا في بناء صورهم على الأساليب البيانية المعروفة كالتشبيه والاستعارة والمجاز... وكان لشعر المتنبي أثر واضح في تشكيل صورهم، وجاء هذا الأثر على وجهين : فمنهم من حاكى صوراً بعينها للمتنبي فأخذوا كثيراً من تشبيهاته واستعاراته وكناياته، ومنهم من تأثر بأسلوب أبي الطيب.

ومن صور المتنبي التي حاكاها شعراء هذا العصر تصويره للجيش الإسلامي، وقد سار يخترق الآفاق وفوقه الطيور الجارحة تتبعه كظله أملاً في ألاّ يحوجها البطل إلى الصيد، فتقتات على قتلى الأعداء وأشلائهم يقول أبو الطيب:

يفدّي أتمّ الطّير عمراً سلاحه ... نسور الملا أحداثها والقشاعم[١]

ويقول :

له عسكرا خيل وطير إذا رمى ... بها عسكراً لم تبق إلاّ جماجمه

سحابٌ من العقبان يزحف تحتها ... سحابٌ إذا استسقت سقتها صوارمه[٢]

وتأثر بهذه الصورة غير شاعر من شعراء الحروب الصليبية، يقول أسامة بن منقذ :

تسير جيوش الطّير فوق جيوشها ... لها كل يوم من عداها ولائم

فإن خفض الفرسان للطّعن في الوغى ... رماحهم انقضّت عليها القشاعم

تعرّض منها فوق غزّة عارضٌ ... سحاب المنايا فوقه متراكم[٣]

ويقول ابن الدهان :

والطير من ثقةٍ بأكلٍ مشبعٍ ... تبعت جيوشك فوق غاب مسبع[٤]

ويقول العماد الأصفهاني :

كتيبة منتضًى مهنّدها ... إلى الردى مشرعٌ مثقّفها

---

(١) ديوان أبي الطيب المتنبي : ٣ : ٤٢١.

(٢) المصدر نفسه : ٣ : ٢٤-٢٥.

(٣) ديوان أسامة بن منقذ : ص٢٢٤.

(٤) ديوان ابن الدهان : ص٣٣. انظر أيضاً : ص١٨٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

غادرتها للنسور مأكلـــــة حيث بأشلائها تضيّفهـــا[1]

ويقول ابن الساعاتي :

وعجاجة مثل الدّجى وكأنّمـا ردّت بها الشّمس السّيوف كيوشع

حامت نسور الجو فوق كماتها حوم العطاش على لذيذ المكـرع[2]

ويقول :

إذا انبرى في مأزق وحلّقـت طيور جوّ للقرى تزدحـــم

شككت هل تلك الطيور خيله أم تلكم الخيل طيورٌ هـــوم[3]

ويقول فتيان الشاغوري :

تتأبى الطير منه غـــزوةً فتوافي الجيش من هنا وهنا[4]

ومن يحاول أن يقابل بين صورتي المتنبي وصور شعراء هذا العصر يجد أن الشعراء زمن الحروب الصليبية قد حاكوا بدقة صورة أبي الطيب الأولى «يفدي أتم ... »، وهي صورة تقليدية استمدها المتنبي من الموروث الشعري العربي من غير أن يغير فيها شيئاً[5]. وقصر معظم شعراء هذا العصر الذين قلدوا صورة المتنبي الثانية «سحابٌ العقبان ...» كل التقصير، فقد سلك فيها أبوالطيب الطريقة التي سلكها من تقدمه من الشعراء إلا أنه خرج فيها إلى غير القصد الذي قصدوه فأغرب وأبدع[6] حيث شبه الجيش والعقبان فوقه بسحاب تحت سحاب آخر (العقبان)، ثم جعل الأسفل يسقي الأعلى، فجعل الغمام مستسقيا مع أنه يكون ساقيا. ويقول الدكتور طه حسين في حق هذه الصورة : «لم يبتكر أصل المعنى، ولكنه ألمّ بالمعنى القديم اليسير فاستثمره أحسن استثمار، وارتفع به إلى

---

(١) ديوان العماد الأصفهاني : ص٣٠٩. انظر أيضاً : ص ١٩٢، ٤٢٨.

(٢) ديوان ابن الساعاتي : ٢ : ٩١.

(٣) المصدر نفسه : ٢ : ٣٢١.

(٤) ديوان فتيان الشاغوري : ص٥٩. انظر أيضاً : ص٢٢٤، ٣١٤، ٤٧٦.
انظر : ديوان ابن الخياط : ص١٧٤. ديوان ابن منير الطرابلسي : ص١٩٣
ديوان طلائع بن رزيك : ص١٣٦. ديوان ظافر الحداد : ص٢١٨.
ديوان البهاء زهير : ص١١٥.

(٥) انظر : ديوان النابغة الذبياني : ص٤٦. ديوان أبي نواس : ص٣١١.

(٦) البديعي : الصبح المنبي : ص٧٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جوهر الشعر، واستطاع أن يروع سامعيه وقارئيه بالتعبير والتصوير معا»[١].

ولعل صورة أسامة بن منقذ «تسير جيوش ...» أقرب صور شعراء هذا العصر إلى صورة المتنبي اللافتة، حيث رمز للجيش الإسلامي بالعارض، وجعل فوقه سحاب المنايا، ولكنها لم تبلغ ما بلغته صورة أبي الطيب من الروعة والجمال.

ويوحي أبو الطيب المتنبي بعظمة جيش ممدوحه وكثرة المحاربين فيه عن طريق تصويره لكثافة غبار المعركة المتصاعد والناتج عن حركة الجياد، حتى أن الغبار يكاد يحجب ضوء النهار، فلولا بريق الأسنة ولمعان السيوف لأصبحت الظهيرة ليلاً دامساً، يقول :

يزور الأعادي في سماء عجاجةٍ أسنته في جانبيها الكواكب[٢]

ويقول :

وعجاجة ترك الحديد سوادها زنجاً تبسّم أو قذالاً شائبا

فكأنّما كسي النهار بها دجى ليلٍ وأطلعت الرماح كواكبا[٣]

ويقول :

والباعث الجيش قد غالت عجاجته ضوء النّهار فصار الظّهر كالطّفل

الجوّ أضيق ما لاقاه ساطعها ومقلة الشّمس فيه أحير المقل[٤]

وقلّد هذه الصورة معظم شعراء الحرب في هذا العصر[٥]، يقول عرقلة الكلبي :

رجال إذا قام الصليب تصلبت رماحهم في كلّ ماشٍ وراكب

لها الليل نقعٌ والأسنّة أنجمٌ فما غير أبطالٍ وغير جنائب[٦]

ويقول ابن الساعاتي :

---

(١) مع المتنبي : ص١٩٨.

(٢) ديوان أبي الطيب المتنبي : ١ : ٢٦٦.

(٣) المصدر نفسه : ٢ : ٣٤.

(٤) المصدر نفسه : ٣ : ٧٤. انظر أيضاً : ٢ : ١٥٩.
الطفل : آخر النهار. لسان العرب : طفل.

(٥) انظر : شعر ابن القيسراني : ص٢٠٠. النكت العصرية : ص٢٢٣، ٣٣٥.
ديوان أسامة بن منقذ : ص٢٠٨، ٢١٠. ديوان طلائع بن رزيك : ص٥٣، ٨٧
ديوان العماد الأصفهاني : ص٢٣٨، ٤٢٨. ديوان ابن عنين : ص١٨، ٤٣.

(٦) ديوان عرقلة الكلبي : ص٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولم تطالعك عين الشّمس شاكيةً إلاّ غدا جفنها بالنّقع يكتحـــل[١]

ويقول فتيان الشاغوري :

ويزجي سحاباً من سنابك خيلـه بلمع الظبى والبيض تجلو الحناديسا[٢]

ويقول :

كم أطلعت ليلاً سنابك خيلـــه والبيض شمساً والأسنة كوكبـــا[٣]

ويستنسخ تاج الملوك الأيوبي صورة المتنبي «يزور الأعادي ...» فيقول :

وترى الأسنة في العجاج إذا عـــلا مثل الكواكب في السّحاب الجون[٤]

ويلحظ من يقرأ الأبيات السابقة أن قائليها لم يخرجوا عن صور المتنبي، حتى أن بعضهم كفتيان الشاغوري وتاج الملوك ... أخذوا بعض ألفاظ المتنبي التي استخدمها في بناء صورته. كما يلحظ أنهم اعتمدوا -كما اعتمد المتنبي من قبلهم- في رسم صورة الجيش على عنصر اللون، فمزجوا بين الظلام والبريق، وهذا ليس غريباً؛ فالأشياء المتناقضة والمتنافرة تشيع الانسجام، وجوهر الصورة الشعرية -كما يرى أرشيالد مسكليش- توازن الصفات المتنافرة لإشاعة الانسجام بينها، ففيها تنسيق فائق للعادة، وعمادها الترتيب اللفظي للكلمات حتى تذكي العواطف والمشاعر، وتدخل الحيوية على الجملة التقريرية السطحية [٥].

ويصور أبو الطيب الروم المنهزمين أمام سيف الدولة لا يفرقون بين حد السلاح الذي يحزّ أجسادهم وحبات المطر التي تضرب أجسامهم، يقول :

يغشاهم مطر السّحاب مفصـــلاً بمهندٍ ومثقفٍ وسنـــــان[٦]

ويقول :

سحائب يمطرن الحديد عليهـم فكل مكانٍ بالسّيوف غسيل[٧]

---

(١) ديوان ابن الساعاتي : ٢ : ٣٥٣. انظر أيضاً : ١ : ٩٣، ٢ : ١٤١.
(٢) ديوان فتيان الشاغوري : ص٢٢٤.
(٣) المصدر نفسه : ص٣٤. انظر أيضاً : ص١١٢.
(٤) ديوان تاج الملوك الأيوبي : ص٢٤٤.
(٥) الشعر والتجربة، ترجمة سلمى الجيوسي، دار اليقظة العربية – بيروت سنة ١٩٦٣م : ص٥٤.
(٦) ديوان أبي الطيب المتنبي : ٣ : ٥٣٩.
(٧) المصدر نفسه : ٣ : ٣٤١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأخذ شعراء الحروب الصليبية هذه الصورة وضمنوها شعرهم، يقول ابن القيسراني يصور هزيمة الفرنج أمام تاج الملوك بوري سنة ٥٢٣هـ.

صاب الغمام عليها والسّهام معاً فما دروا أيّما الهطّالة الديم[١]

ويقول ابن الدهان مادحاً طلائع بن رزيك :

والبيض تقطر فوق البيض لامعة كأنّها عارضٌ هامٍ على الهام[٢]

ويقول ابن الساعاتي مادحاً الملك الظافر مظفر الدين :

أخُاف العدى حتى لو أنّ سحابة أظلّت لخالوا قطرها أنه نبل[٣]

وهم في هذه الصور يركزون على تصوير نفسية الأعداء، فهم لشدة خوفهم وفزعهم يتخيلون حبات المطر وهي تتساقط على أبدانهم ضربات سيوف المسلمين وطعنات رماحهم.

ويستمد ابن الساعاتي صورته :

سيوف تطير الهام عن وكناتها بحيث جناح النقع وجف القوائم

فأقسم لو تعطو السّماء طباتها نثرن نجوم الليل نثر الدراهم[٤]

من تصوير أبي الطيب لتساقط جثث الأعداء على جبل الأحيدب قرب قلعة الحدث :

نثرتهم فوق الأحيدب نثرة كما نثرت فوق العروس الدّراهم[٥]

واستفاد شعراء هذا العصر كثيراً من استعارات المتنبي، فهذا ابن الساعاتي يشبه الأيام بالإنسان فيجعل لها وجنة، ويشبه المدينة المحررة بالخال، يقول مصوراً مدينة طبرية وقد حررها صلاح الدين سنة ٥٨٣هـ :

غدت في وجنة الأيام خالاً وفي جيد العلى عقداً ثمينا[٦]

---

(١) شعر ابن القيسراني : ص٣٧٥.

(٢) ديوان ابن الدهان : ص١١٥.

(٣) ديوان ابن الساعاتي : ٢ : ٣٠٧.
انظر : ديوان ابن الخياط : ص٢٠٢.
ديوان العماد الأصفهاني : ص ٣٢٥، ٣٦١.
انظر أيضاً : ٢ : ٢٠٩، ٢٥٧، ٣٤٠.
ديوان ابن منير الطرابلسي : ص٢٤٩.

(٤) ديوان ابن الساعاتي : ١ : ٢٠٣.

(٥) ديوان أبي الطيب المتنبي : ٣ : ٤٣١.

(٦) ديوان ابن الساعاتي : ٢ : ٤٠٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويقول :

بنعماه أضحت جلق لي جنّـــــة فلم تسمها بغداد لولا إمامهـــا
به أصبحت في وجنة الأرض شامةً وقصّر عنها مصرها وشآمهـا[1]

وأصل هذه الاستعارة قول أبي اطليب في وصف قلعة الحدث وقد حررها سيف الدولة من الروم سنة ٣٤٣هـ[2] وأعاد بناءها بعد أن هدمها الأعداء :

غصب الدّهر والملوك عليهـــا فبناها في وجنة الدّهر خـالا[3]

والمتمعن في صورة ابن الساعاتي يجدها قاصرة كل القصور عن صورة أبي الطيب، فابن الساعاتي لم يتعد تشبيه الدهر بالفتاة والمدينة بالخال وهو تشبيه تقليدي بسيط، أما المتنبي فلم يقصد هذا التشبيه، وإنما أراد أن يبين خضوع الإنسان للدهر وانقياده له، فجعل سيف الدولة يغتصب القلعة بالقوة من الدهر، ولكنه يعود ويبنيها ويزينها ويجعلها خالاً في وجنة الدهر، والخال يوحي بصفة جمالية أسرة، فالبطل يغتصب الدهر في لحظة ما، ولكنه لا يستطيع التمرد عليه ولا الفكاك عنه مهما بلغت قوته وعلت منزلته. ومما زاد صورة المتنبي جمالاً استخدامه لفظ «غصب» وهذا اللفظ مرتبط بالمرأة، واستعماله له جعل الصورة أكثر وضوحاً وجعل ألفاظها أكثر انسجاماً. فابن الساعاتي لم يتمكن من الارتقاء بصورته إلى صورة أبي الطيب، ويبدو أنه قصد تقليد صورة المتنبي ولم يقصد الاستفادة من جمالياتها، ومما يؤكد ذلك أنه نقل الصورة إلى موضوع الغزل في وصف يوم لقائه بالمحبوبة :

وكم يوم وصل كان أبيض ناصعاً ولكنّه خال على وجنة الدهـــر[4]

ويقول :

وربما ليلة كانت بقربهـــــم خالاً لهوْت بها في وجنة الزمن[5]

---

(١) ديوان ابن الساعاتي : ٢ : ٢٣١.
(٢) انظر : ابن العديم : ١ : ١٢٤.
(٣) ديوان أبي الطيب المتنبي : ٣ : ٥١٢.
(٤) ديوان ابن الساعاتي : ١ : ٢٩١.
(٥) المصدر نفسه : ٢ : ٩٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويصور العماد الأصفهاني فرحته بوصول خبر موت الخليفة العاضد الفاطمي الذي كان بمصر سنة ٥٦٧هـ بعد الخطبة بها للمستضيء بالله[١]، يقول :

وعاد بالمستضيء مجتهـــداً بناء حقٍّ قد كان منهدمـــا

واعتلت الدولة التي اضطهدت وانتصر الدين بعدما اهتضما[٢]

واستمد استعارته من قول المتنبي مهنئاً سيف الدولة بالمعافاة من مرض ألم به :

إذا اعتلّ سيف الدولة اعتلت الأرض ومن فوقها والبأس والكرم المحض[٣]

ويلاحظ أن المعنى قد اختلف، فالعماد الأصفهاني جعل دولة الباطل تعتل وتزول أمام دولة الحق، أما المتنبي فصور الأرض مريضة لمرض الممدوح، فلا قيمة للوجود من غيره ولا معنى للحياة من دونه.

ويقول ابن القيسراني مادحاً الوزير ضياء الدين بن بهرام[٤] ومهنئاً إياه بالبرء من مرض أصابه :

من إذا حمّ فقد حـمّ النـــــدى وإذا صحّ فقد صحّ الرّجـــاء[٥]

وأخذ هذه الاستعارة من قول أبي الطيب وقد أصيب بالحمى :

فإن أمرض فما مرض اصطباري وإن أحمم فما حم اعتزامـــي[٦]

وواضح ما بين البيتين من اختلاف في المعنى. وقول أسامة بن منقذ محاكياً الصورة نفسها :

خان اصطباري وغاض بعد نـوى الأحباب دمعي وكان من عددي[٧]

ومن استعارات أبي الطيب اللافتة تشبيهه تلاقي السيوف مع لمم الأعداء بالتصافح، وذلك في قوله :

---

(١) انظر : الروضتين : ٢ : ١ : ٤٩٦.
(٢) ديوان العماد الأصفهاني : ص٢٧٧.
(٣) ديوان أبي الطيب المتنبي : ٣ : ٢٦٢.
(٤) هو ضياء الدين أبو سعيد بن بهرام الكفروثي المتوفى سنة ٥٣٦هـ. وفيات الأعيان : ٥ : ١٤٣.
(٥) شعر ابن القيسراني : ص٥٣.
(٦) ديوان أبي الطيب المتنبي : ٤ : ١٤٥.
(٧) ديوان أسامة بن منقذ : ص٦٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما ترى ظفراً حلواً سوى ظفرٍ تصافحتْ فيه بيض الهند واللّمم[١]

وحاكى هذه الصورة نصر الهيتي الدمشقي في قوله :

إذا ملأ الصدر النجاد وصافحتْ متون القنا الخطار فيه الأشاجع

يقول ألا أين المجالد عصبه وذابلة العسّال أين المقارع[٢]

ونسخ ابن سناء الملك صورة المتنبي في قولة مادحاً القاضي الفاضل :

أيادٍ له بيض حسان سخت بها يدٌ لم يشنها في العطاء حساب

مواهبه عتق النفوس أقلّها إذا صافحت بيض الصّفاح رقاب[٣]

أما عمارة اليمني فإنه يجعل تلاقي السلاح بالسلاح في المبارزة نوعاً من المصافحة :

كثير التبسُّم في موقفٍ يصافح فيه الحديد الحديدا[٤]

وأخذوا عن المتنبي تشبيهه للخطوب بالإبل في قوله :

ولما قلت الإبل امتطينا إلى ابن أبي سليمان الخطوبا[٥]

ويقول فتيان الشاغوري محاكياً استعارة أبي الطيب :

الآن لان لي الزمان فأعتبا وانقاد من بعد الشّماس فأصحبا

ترك الحران فعاد عوداً طائعاً وأبى التحمط فامتطيت المصعبا[٦]

وحاكى شعراء هذا العصر بعض صور المتنبي في الرثاء وخاصة تشبيهه للوفاء بالماء فبعد وفاة المرثي قل الوفاء وكاد ينعدم من الوجود، وكأنه ارتبط بالممدوح دون غيره، يقول أبو الطيب يرثي فاتكاً :

غاض الوفاء فما تلقاه في عددٍ وأعوز الصّدق في الإخبار والقسم[٧]

ومن الشعراء الذين أخذوا عن المتنبي هذه الاستعارة، العماد الأصفهاني

---

(١) ديوان أبي الطيب المتنبي : ٣ : ٢٥١.
(٢) الخريدة – قسم الشام : ١ : ٢٣٨.
(٣) ديوان ابن سناء الملك : ص ٢١.
(٤) النكت العصرية : ص٢٠٨.
(٥) ديوان أبي الطيب المتنبي : ٢ : ٣٤١.
(٦) ديوان فتيان الشاغوري : ص٣٢. انظر: شعر ابن القيسراني : ص٢٥٦.
(٧) ديوان أبي الطيب المتنبي : ٤ : ٢٤٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الذي يقول في رثاء نور الدين زنكي :

لهفي على تلك الأنامل إنّهـــا مذ غيّبت غاض النّدى ببحـــوره[١]

وقد استبدل العماد الأصفهاني كلمة الندى بكلمة الوفاء.. ويقول ابن الساعاتي ناسخاً صورة أبي الطيب :

أعطى على عدمٍ وقد ضنّ الحيا ووفى على مضضٍ وقد غاض الوفا[٢]

واستنسخ ابن الخياط صورته :

وتعذلني القوافي فيك طـوراً وطوراً فيك لي منها غديـــر[٣]

من صورة المتنبي :

وتعذلني فيك القوافي وهمّتي كأنّي بمدحٍ قبل مدحك مذنـب[٤]

وأخذ بعضهم عن المتنبي تشبيهه الشيب بالضيف الثقيل الذي يفاجئ الإنسان بالزيارة، يقول أبو الطيب مستهلاً إحدى قصائده :

ضيفٌ ألم برأسي غير محتشم السّيف أحسن فعلاً منه باللّمم[٥]

ويقول شرف الدين الأنصاري محاكياً هذه الصورة :

مشيبٌ زار في شرخ الشبـاب حسبت به صباي من التّصابي[٦]

ويقول الملك الأمجد :

نأى الخليط ولولا البين لم يزر الـ ـمشيب رأسي ولولا الهجر ما وخطا[٧]

ومن الصور الشعرية الكلية التي حاكاها بعض شعراء هذا العصر تصوير المتنبي للحمى التي ألمت به في مصر، فيصور انتظاره لها بانتظار الإنسان العاشق لمحبوبته، ويصدق وعدها وفي صدقها شر له، فهي تأتي إليه محملة بالكروب والآلام، ومع ذلك فإنه يهيء لها المكان لتقيم معه، ولكنها لا تمده

---

(١) ديوان العماد الأصفهاني : ص٢١٤. انظر: ديوان ابن الخياط : ص٢١٦.
(٢) ديوان ابن الساعاتي : ٢ : ١٧٦.
(٣) ديوان ابن الخياط : ص ١١٣.
(٤) ديوان أبي الطيب المتنبي : ٤ : ١١٤.
(٥) المصدر نفسه : ١ : ١٢٦.
(٦) ديوان شرف الدين الأنصاري : ص٧٥. انظر أيضاً : ص٨٣.
(٧) ديوان الملك الأمجد : ص١٣٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بالعشق وإنما تمده بالأحزان والجراح، وتحزن لبزوغ فجر الصباح، وتدمع عينها جزعاً من ألم الفراق، ويبقى هو في حالة ترقب وانتظار لقدومها، يقول أبو الطيب :

وزائرتي كأنّ بها حيـــــاءً ... فليس تزور إلاّ في الظّلام
بذلت لها المطارف والحشايا ... فعافتها وباتت في عظامي
يضيق الجلد عن نفسي وعنها ... فتوسعه بأنواع السّقام
إذا ما فارقتني غسّلتني ... كأنّا عاكفان على حرام
كأنّ الصّبح يطردها فتجري ... مدامعها بأربعة سجام
أراقب وقتها من غير شوقٍ ... مراقبة المشوق المستهام
ويصدق وعدها والصّدق شرٌّ ... إذا ألقاك في الكرب العظام[1]

ويقول العماد الأصفهاني واصفاً الحمي ومتأثراً بصورة أبي الطيب :

وزائرة وليس بها حيـــــاءً ... وليس تزور إلاّ في النهار
ولو رهبت لدى الإقدام جوري ... لما رغبت جهاراً في جواري
أتت والقلب في وهج اشتياقٍ ... لتظهر ما أواري من أواري
ولو عرفت لظى سطوات عزمي ... لكانت من سطاي على حذار
تقيم فحين تبصر من أناتي ... ثبات الطّود تسرع في الفرار
تفارقني على غير اغتسالٍ ... فلم أحللْ لزورتها إزاري[2]

ويلحظ القارئ لقصيدتي المتنبي والعماد الأصفهاني اللتين ضمنتا وصف الحمى أن حديث أبي الطيب عن الحمى جاء منسجماً مع موضوع القصيدة، فهو يصور نفسيته وقد أصابه المرض، ويصور إذعانه للقضاء وصبره على المحن والشدائد وكيد الحساد، فموضوعات القصيدة ملائمة لبعضها، وهذا التلاؤم أوجد بين أجزائها وحدة في الموضوع، بل يمكن القول إن انسجام موضوعاتها وملاءمة

(١) ديوان أبي الطيب المتنبي : ٤ : ١٤٠.
(٢) ديوان العماد الأصفهاني : ص١٩٦. انظر: ديوان البهاء زهير : ص٤٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

صورها للموضوع جعلها تتمتع بقدر كبير من الوحدة العضوية، ومما يؤكد ذلك أن القارئ للقصيدة لا يجد تكلفاً أو جهداً في نظمها، فقد انطلق بها لسان المتنبي من غير تكلف ولا عناء. أما قصيدة العماد الأصفهاني فلا تتمتع بانسجام موضوعاتها ووحدتها، فقد قالها في مدح عز الدين فروخ شاه[1]، وابتدأها بقوله :

يمينك دأبها بذل اليســـار وكفّك صوبها بدر النضّـــار

وتغنى فيها بشجاعة ممدوحه وفروسيته وكرمه ونسبه وفجأة تجده ينتقل إلى وصف الحمى، ثم يعود إلى المدح، فالأبيات التي وصف فيها الحمى لا رابط بينها وبين ما سبقها من أبيات وما جاء بعدها، وهذا الأمر -من غير شك- أضعف وحدة القصيدة.

ولم يقتصر تأثر شعراء هذا العصر على محاكاة استعارات المتنبي وتشبيهاته وكناياته، ولكنهم تأثروا أيضاً بأسلوب أبي الطيب في بناء الصورة الشعرية، وفيما يلي دراسة لأهم جوانب هذا التأثر :

- التركيز على المكان

عني المتنبي بتصوير أماكن الصراع، فصورها قبل المعركة وبعدها، كما بين أثر الأحداث فيها، ولم يكن تصويره لها باعتبارها مجرد أمكنة أو مدن أو دروب يلتقي فيها بطله بأعدائه فيهزمهم، وإنما أشاع فيها الحياة، وجعلها كائناً حياً له أحاسيس ومشاعر، وتعرف أعداءها من محبيها، وهي كالعروس تختال في مشيتها عندما تصبح في مأمن من العدو، يقول في وصف قلعة الحدث وقد حررها سيف الدولة من الروم :

غصب الدّهر والملوك عليهـــا فبناها في وجنة الدّهر خـالا

وحماها بكلّ مطّـــــرَد الأكـ ـعب جور الزمان والأوجـالا

فهي تمشي مشي العروس اختيالا وتثنّى على الزّمـــان دلالا

---

(١) هو ابن أخي صلاح الدين الأيوبي تولى حكم دمشق سنة ٥٧٦هـ، وتوفى سنة ٥٧٩هـ. الروضتين : ٢ : ١ : ٧١٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في خميس من الأسود بئيـــسٍ يفترسن النفوس والأمـوالا[1]

ويصور في ميميته «على قدر أهل العزم ...» قلعة الحدث تصويراً بارعاً، فهي لم تعرف لونها لكثرة دماء الروم التي أسالها سيف الدولة فيها، وجعلها المتنبي وهي تحت سيطرة العدو كالمجنون، فلما هزم البطل الأعداء وطردهم منها سكنت كالمجنون إذا علقت عليه التمائم، فسيلان دماء الروم يهدئ من روعها، ويسكنها، يقول :

هل الحدث الحمراء تعرف لونها وتعلم أي السّاقيين الغمائـم
سقتها الغمام الغرّ قبل نزولـه فلمّا دنا منها سقتها الجماجم
بناها فأعلى والقنا يقرع القنـا وموج المنايا حولها متلاطـم
وكان بها مثل الجنون فأصبحت ومن جثث القتلى عليها تمائم[2]

ويصور أبو الطيب في قصيدته «ليالي بعد الظاعنين شكول ...» «ملطية»[3] وقد كرت عليها خيل البطل وخاضت في دماء سكانها أمًا ثكلت أبناءها، كما يصور الحصون الشم قد ملّت منازلة المسلمين فألقت إليهم أهلها [4].

والتقط بعض شعراء عصر الحروب الصليبية تشبيه المتنبي لقلعة الحدث بالعروس، وتوسعوا في هذه الصورة توسعاً ملحوظاً، فصوروا المدن والقلاع التي احتلها الصليبيون بعروس تنتظر بعلها، لعله يخلصها من الأسر، ويعيدها إلى كنفه، يقول الملك المظفر تقي الدين مخاطباً صلاح الدين :

جاءتك أرض القدس تخطب ناكحاً ياكُفْأَها ما العذر عن عذرائـها
زفّت إليك عروس خدرٍ تجتلـى ما بين أعبدها وبين إمائـها
إيهٍ صلاح الدّين خذها غـادةً بكراً ملوك الأرض من رقبائـها

---

(١) ديوان أبي الطيب المتنبي : ٣ : ٥١٢.
مطرد : المتصل الذي لا عوج فيه. لسان العرب : طرد.
الأكعب : جمع كعب، وهو العقدة التي تكون بين الأنبوبتين من الرمح. لسان العرب : كعب.
(٢) ديوان أبي الطيب المتنبي : ٣ : ٤٢٢.
(٣) ملطية : مدينة من بلاد الروم تتاخم الشام. معجم البلدان : ٥ : ١٩٢.
(٤) ديوان أبي الطيب المتنبي : ٣٤٣-٣٤٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كم خاطبٍ لجمالها قـــــد ردّه عن نيلها أن ليس من أكفائـــها[1]

وشبهوا بلاد الروم التي غزاها البطل لأول مرة بالفتاة البكر، والمدن التي غزاها غير مرة بالمرأة العوان، يقول ابن القيسراني مادحاً نور الدين زنكي :

في كلّ يومٍ ينثني سيفـــــه ببلدة بكرٍ وأخرى عـــــوان[2]

وصور شعراء هذا العصر صعوبة فتح المدن والقلاع المحتلة بتمنع الفتاة البكر، ولكنها سرعان ما تلين أمام سيوف المسلمين وصبرهم، يقول ابن الساعاتي واصفاً فتح صلاح الدين لمدينة طبرية سنة ٥٨٣هـ :

وما طبريّة إلا هـــــــديٌّ ترفّع عن أكفّ اللامسيـــــنا

حصان الذّيل لم تقذف بسـوءٍ وسل عنها الليالي والسنيـنا

فضضت ختامها قسراً ومن ذا يصد الليث أن يلج العريـــنا

لقد أنكحتها صمّ العوالـــي فكان نتاجها الحرب الزبـونا

هناك نديّ أهل الأرض طـــرّاً سواك ومعقل أعيا القـرونا

قست حتّى رأت كفؤاً فلانـت وغاية كلّ قـــاسٍ أن يليـنا [3]

ويقول فتيان الشاغوري مادحاً صلاح الدين :

وكم قلعةٍ أنكحتها السّلم عاصماً وطلّقت منها بعد عصمتها الكفرا

وما أنكحونا طائعين فتاتهـم ولكن نكحناها بأسيافنا قسـرا[4]

وصور ابن سناء الملك مدينة الكرك وقد فتحها صلاح الدين سنة ٥٨٣هـ ثكلى، لم تعد قادرة على الإنجاب، يقول :

هل الكرك الثكلى بأولادها انتهت عن النّسل مما جُرّعته من الثكـل

---

(١) الخريدة – بداية قسم الشام : ص٨٦.
ديوان ابن الساعاتي : ١ : ١٧٩.
انظر : ديوان عرقلة الكلبي : ص٣٢.
ديوان القاضي الفاضل : ١ : ١٥١.

(٢) شعر ابن القيسراني : ص٤٢١.
العوان : المرأة الثيب. لسان العرب : عون.
انظر أيضاً : ص٢٢٨.

(٣) ديوان ابن الساعاتي : ٢ : ٤٠٦.
انظر أيضاً : ٢ : ٣٨٦.

(٤) ديوان فتيان الشاغوري : ص١٥١.
ديوان العماد الأصفهاني : ص١٨٣، ٢٠٠.
ديوان شرف الدين الأنصاري : ص١٦٣.
انظر : شعر ابن القيسراني : ص١٤٩، ٢٠١.
ديوان ابن سناء الملك : ص٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكانوا لها كالعقد إلاّ أنّه وهـــى وأضحى لها جيش ابن أيوب كالغل[1]

وابن سناء في هذه الصورة مقلد ومبدع، حيث قلد المتنبي في تصويره للمدينة المحررة بالأم الثكلى، وزاد على أبي الطيب بأن جعل الكرك امرأة عاقراً، فكأن هول الأحداث أصابها بالعقم.

ويصور ابن الساعاتي مدينة حلب فتاة جميلة، رشيقة القد، وأسيلة الخد، ولكنها شديدة الحزن لأن البطل لم ينتبه إليها، ولم يتوجه بجيشه لفض بكارتها كما فض بكارات جاراتها من المدن اللواتي لا يدانينها في الجمال والحسن[2].

وصور شعراء هذا العصر واقع المدن العربية في ظل احتلال الصليبيين لها، وركزوا في صورهم على الخراب الذي لحق بها جرّاء الحروب المستمرة والمدمرة، يقول ابن القيسراني واصفاً مدينة الرها وقد وقعت تحت سيطرة الفرنج، فهب عماد الدين زنكي سنة ٥٣٩هـ لانقاذها منهم :

مدينة إفكٍ منذ خمسين حجّـــةً يفلُّ حديد الهند عنها حـــداده
تفوت مدى الأبصار حتّى لو إنّها ترقّت إليه خان طرفاً ســواده
وجامحة عزّ الملوك قيادهـــا إلى أن ثناها مَنْ يعزّ قيـــاده
فأوسعها حرّ القـــراع مؤيّـــدٌ بصيرٌ بتمرين الأكدّ لـــداده
كأنّ سنا لمع الأسنّة حولـــه شرارٌ ولكن في يديه زنـــاده
فأضرمها نارين : حرباً وخدعـــةً فما راع إلاّ سورها وانهـــداده
فصدّت صدود البكر عند افتضاضها وهيهات كان السّيف حتماً سفاده[3]

ويغدو حصن المرقب في شعر شهاب الدين محمود إنساناً يشكو ما أصابه من دمار على أيدي الفرنج، ويشكو شدة أسلحتهم :

كأنّها ومجانيق الفرنج لهـــا فرائس الأسد في أظفارها الظفـر
وكم شكا الحصن ما يلقى فما اكترثت يا قلبها أحديدٌ أنت أم حجـــر

---

(١) ديوان ابن سناء الملك : ص٢٢٣.

(٢) ديوان ابن الساعاتي : ٢ :٣٨٣.

(٣) شعر ابن القيسراني : ص ١٤٨.
الألد : الخصم الجدل الذي لا يزيغ إلى الحق. لسان العرب : لدد.
السفاد : نزو الذكر على الأنثى وأكثر ما يكون للسبع. لسان العرب : سفد. واستعاره السيف.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وللنقوب دبيبٌ في مفاصلـــه تثير سقماً ولا يبدو له أثـــــر

أضحى به مثل صبٍّ لا تبين بـه نار الهوى وهي في الأحشاء تستعر[١]

وصوروا فرحة المدن المحررة بالقائد والفتوح والخلاص من ضنك الصليبيين واحتلالهم، يقول ابن الساعاتي مصوراً فرحة القدس بالتحرير :

* تهز معاطف القدس ابتهاجاً وترضي عنك مكة والحجونا

* فقلب القدس مسرور ولـولا سطاك لكان مكتئباً حزينـــا[٢]

ويقول مصوراً أثر الفتح :

* حبا مكّة الحسنى وثنّى بيثرب وأطرب ذيّاك الضريح وما ضمّا

* وأصبح ذاك الثغر جذلان باسماً وألسنة الأغماد توسعه لثمـــا[٣]

وهكذا لم يعد المكان في شعرهم مجرد موقع جغرافي، وإنما شكلوه تشكيلاً فنياً يوافق موضوع القصيدة، فتارة تجده حزيناً على ما أصابه من تدمير، وتارة تلقاه ملطخاً بدماء الأعداء وممتلئاً بجثثهم، وتارة أخرى تجده فرحاً لتحريره من أيدي الغزاة، فهو كالكائن الحي يتألم ويشكو ويفرح. وتأثروا في تشكيل صورهم المكانية بمعالم الصورة المكانية عند أبي الطيب كما تقدم.

- الاهتمام بعنصر الحركة

يعتبر عنصر الحركة أصعب ما في التصوير، لأن الحركة تتوقف على ملكة الشاعر لا على ما يرصده بعينه، ويدركه بظاهر حسه[٤]. ويقرر الناقد «لسنج» أن الشاعر أقدر أهل الفن في تصوير الحركة، لأن مادته تعينه على ذلك، فمادته كلام يظهر ليختفي، يسمع أو يقرأ ليأتي غيره ثم غيره، وهكذا، فالحركة في تتابع أجزائها واختفاء كل جزء بظهور ما يليه، والشعر باعتباره فناً صوتياً أليق

---

(١) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة : ٧ : ٢٧٠.

انظر : ديوان ابن سناء الملك : ص٢٢٤. النويري : نهاية الأرب : ٣١ : ٢٠٢، ٢٠٥.

(٢) ديوان ابن الساعاتي : ٢ : ٤٠٨.

(٣) المصدر نفسه : ٢ : ٣٨٦.

(٤) عباس محمود العقاد : ابن الرومي – حياته من شعره، دار الكتاب العربي – بيروت، ط٧ سنة ١٩٦٨م : ص٣٠٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفنون للتعبير عن الحركة المادية[١].

وبرع أبو الطيب في رسم الصورة المتحركة، حركة الجيش الكثيف المحمل بالعتاد الثقيل وانتقاله من مدينة إلى أخرى، وحركة الجياد التي ينتقل عليها الفرسان، ففي قصيدته «على قدر أهل العزم ...» تجده يرسم صورة واضحة لحركة جيش الروم، يقول :

أتوك يجرّون الحديد كأنّهم ... سروا بجياد مالهنّ قوائم

إذا برقوا لم تعرف البيض منهم ... ثيابهم من مثلها والعمائم

خميس بشرق الأرض والغرب زحفه ... وفي أذن الجوزاء منه زمازم[٢]

ويقول في قصيدته «الرأي قبل شجاعة الشجعان ...» مصوراً هزيمة الروم :

نظروا إلى زبر الحديد كأنّما ... يصعدن بين مناكب العقبان

وفوارسٍ يحمي الحمام نفوسها ... فكأنّها ليست من الحيوان

مازلت تضربهم دراكاً في الذرى ... ضرباً كأنّ السّيف فيه اثنان

خصّ الجماجم والوجوه كأنّما ... جاءت إليك جسومهم بأمان

فرموا بما يرمون عنه وأدبروا ... يطئون كلّ حنيّةٍ مرنان

يغشاهم مطر السّحاب مفصّلاً ... بمهنّدٍ ومثقّف وسنان[٣]

ويلحظ القارئ لشعر المتنبي الذي يصور فيه حركة الجيوش وأحداث المعركة أنه يلائم بين اللفظ والمعنى، ويتخير الألفاظ ذات الجرس الموسيقي الصاخب، فتسمع من خلال الوصف صليل السيوف وصرخات الأبطال، وكثيراً ما جعل الخيل تنتقل بالمتلقي من معركة إلى أخرى كما فعل في قصيدته «ليالي بعد الظاعنين شكول ...» فالجياد فيها تنقلنا من مدينة إلى درب ... والخيل عنده دائمة الانطلاق، لا تستقر في مكان، يقول في وصفها :

وجرداً مددنا بين آذانها القنا ... فبتْن خفافاً يتّبعن العواليا

تماشى بأيد كلّما وافت الصّفا ... نقشن به صدر البزاة حوافيا

---

(١) سهير القلماوي : وقفة خالدة، مجلة الكاتب المصري عدد ١٩ : ص٤٧٠.

(٢) ديوان أبي الطيب المتنبي : ٣ : ٤٢٦.

(٣) المصدر نفسه : ٣ : ٥٣٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتنظر من سودٍ صوادق في الدّجى يرين بعيدات الشّخوص كما هيا
وتنصب للجرس الخفيّ سوامعاً يخلن مناجاة الضّمير تناديا
تجاذب فرسان الصّباح أعنّة كأنّ على الأعناق منها أفاعيا
بعزم يسير الجسم في السّرج راكباً به ويسير القلب في الجسم ماشيا[1]

واهتم شعراء الجهاد في زمن الحروب الصليبية بعنصر الحركة في بناء صورهم الشعرية اهتماماً بالغاً، وجاءت صورهم نابضة بالحركة، فصوروا اندفاع الجيوش الإسلامية في التنقل والهجوم، كما صوروا فلول الصليبيين من أمام المد الإسلامي واضطرابهم، ومزجوا في صورهم بين عنصري الحركة والصوت، فهم يسمعون المتلقي جرجرة الحديد وقعقعة السيوف، يقول ابن القيسراني مصوراً إقبال الجيش الإسلامي على القتال وفرار الصليبيين من أرض المعركة، وقد أثخنتهم سهام المسلمين بالجراح، وأفزعتهم الأمطار، فصاروا غير قادرين على التفريق بين السهام والأمطار :

أتبعت جنّ سراياهم مضمّرةً فيها نجومٌ إذا جدّ الوغى رجموا
والنّصر دانٍ وخيل الله مقبلةٌ ترجو الشهادة في الهيجا وتغتنم
صاب الغمام عليهم والسّهام معاً فما دروا أيّما الهطّالة الدّيم
سروا لينتهبوا الأعمار فانتهبوا قتلاً، ويغتنموا الأموال فاغتنموا
وأقبلت خيلنا تردى بخيلهم مجنوبةً وعلى أرماحنا القمم
وأدبر الملك الطاغي يزعزعه حرّ الأسنّة وهو البارد الشّبم
وأفوا دمشق فظنوا أنها جدةٌ ففارقوها وفي أيديهم العدم
وأيقنوا مع ضياء الصبح أنهم إن لم يزولوا سراعاً زالت الخيم
فغادروا أكثر القربان وانجفلوا وخلفوا أكبر الصّلبان وانهزموا[2]

---

(١) ديوان أبي الطيب المتنبي : ٤ : ٢٢.
(٢) شعر ابن القيسراني : ص ٣٧٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واستخدام ابن القيسراني في هذه اللوحة للمطابقة بشكل واضح: «لينتهبوا، انتهبوا» و «يغتنموا، اغتنموا» و «أقبلت، أدبر» و «وافوا، فارقوا» زاد الصورة الكلية جمالاً وروعة، وكان لهذه المقابلة أثر في الايقاع الموسيقي، وتكراره لحروف «الغين، والخاء، والجيم» منح النص إيقاعاً داخلياً ملائماً لموضوع القصيدة.

وقد عارض ابن القيسراني بقصيدته التي أخذت منها الأبيات السابقة قصيدة المتنبي التي مطلعها :

عقبى اليمين على عقبى الوغى ندم ماذا يزيدك في إقدامك القسم

ويقول ابن سناء الملك في قصيدة هنأ فيها صلاح الدين بانتصاره على الفرنج سنة ٥٧٥هـ، وأسره كثيراً من فرسان الداوية والاسبتارية :

ولمّا رأوه أدبروا حين عاينوا أعنّة خيلٍ لا تعود ولا تثنى
وقد وقفوا لكن لأسر رقابهم وقطف رؤوس منهم أن أن تجنى
ثبتّ لهم والسّيف قد كره الطّلى وجالدتهم والقرن قد سئم القرنا
بضرب يذيب الشّمس في الأفق حرّه ويحرق ما بين القلوب من الشّحنا
مضى ملكهم في أوّل الأمر هارباً يحسّ قفاه الطعن فيه ولا طعنا
عتيق عتاقٍ ما نجا من نجابها ولا فاز من كان الفرار له حصنا
ومازال أعمى العين والقلب فانثنى وقرع العوالي قد أصمّ له الأذنا
وقد أنفتْ منه المواضي لجبنه فلمّا نجت حوباؤه شكر الجبنا
ولم يقرع الناقوس بعد انهزامه ولكنّه من بعده قرع السّننّا[1].

ووظف ابن سناء الملك في تصوير هذا المشهد : الحركة والصوت واللون، فعنصر الحركة موجود في معظم هذه الأبيات «أدبروا، عاينوا، قطف رؤوس، مضى هاربا، الفرار»، ويظهر عنصر الصوت في قوله : «ضرب يذيب الشمس، قرع العوالي، يقرع الناقوس ...»، وبرز عنصر اللون في قوله : «السيف قد كره الطلى». واستخدم ابن سناء في هذه الأبيات ألفاظاً توحي بالتناقض، مثل

(١) ديوان ابن سناء الملك : ص٣٢٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

«أدبروا، وقفوا» و «الفرار، حصن» و «لم يقرع، قرع» ويبدو أنه أراد أن يبني صورته عل ظاهرة التناقض، فكثيراً ما كان التناقض مظهراً من مظاهر الانسجام والتآلف. وكان نتيجة استخدام ابن سناء للعبارات الموحية بشدة المعركة وضراوتها أن تميزت القصيدة بايقاع موسيقي صاخب.

ويمكن القول : إن معظم شعراء الجهاد في هذا العصر قد استفادوا من تركيز أبي الطيب على عنصر الحركة في بناء صوره، فأخذوا عنه ذلك، وجاءت معظم لوحاتهم التي تصور المعركة متميزة بحركة سريعة، وتميزت صورهم الحركية عن صور المتنبي بأنهم أكثروا من استخدام عنصر المقابلة الموحي بالتناقض الظاهري. ومما يسترعي الانتباه أن العماد الأصفهاني[١] أكثر من استخدام فنون البديع في تصويره للقاء الجيشين مما أضعف صوره الحركية وجعلها ثقيلة على المتلقي.

- التركيز على الصور المفزعة

لا شكّ أن الحروب تخلف الدمار، وتسيل دماء المتصارعين، وتقطع أطرافهم، وتحصد أرواحهم، ويجد شاعر الحرب نفسه أمام صور منفّرة للنفس البشرية، فقلما نجد من يستمتع بمثل هذه الصور، ولكن أبا الطيب الذي وصف أهوال الحرب وويلاتها شغف بالصور المفزعة، إذ كان ينتقي المنظر الرهيب فيصفه[٢]. وكثرت في شعره الصور التي ركز فيها على تساقط رؤوس القتلى، وتعثر الخيل بجثثهم وأطرافهم، وصور الخيل وقد تخضّبت بدماء الأعداء[٣]. ومن الصور المفزعة في شعره، تصويره لشَعْر الروم وقد تعلق على أشجار الجبال فسودتها، وأصبح الشّعر كأنه غربانٌ واقفة على الأشجار، كما صور دماءهم وقد تطايرت فخضبت ورق الأغصان، فصار الدم كالنارنج على الأغصان، يقول :

قد سوّدتْ شجر الجبال شعورهم فكأنّ فيه مسفّة الغربـــان

---

(١) انظر : ديوان العماد الأصفهاني : ص١٠٩، ٢٢٩، ٢٣٤، ٣٤٨.

(٢) د. نصرت عبد الرحمن : شعر الصراع مع الروم : ص٣٣٨.

(٣) انظر : ديوان أبي الطيب المتنبي : ٣ : ٦١، ٦٨، ٧٨، ١٢١، ١٥٢، ١٥٩، ١٨٧، ٢٠٦....

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وجرى على الورق النجيع القاني فكأنّه النارنج في الأغصان[١]

واستفاد شعراء عصر الحروب الصليبية من صور المتنبي المفزعة، وأكثروا من استخدامها في شعرهم[٢]. واستوحى العماد الأصفهاني بعض صوره المنفّرة من صورة أبي الطيب السابقة، يقول مشبها أجساد الفرنج بالأشجار ورؤوسهم بالثمار الناضجة التي يقطفها المسلمون :

لقد بغت فئة الفرنج فانتصفت منها بإقدامك الهنديّة البتر

غرست في أرض مصر من جسومهم أشجار خطّ لها من هامهم ثمر

وسال بحر نجيع في مقام وغى به الحديد غمامٌ والدّم المطر[٣]

ولم يقفوا عند حد التقليد والمحاكاة، وإنما طوروا صورهم المفزعة، وتغنوا في تصوير مقتل قادة الفرنج وقطع رؤوسهم، يقول ابن القيسراني مصوراً مقتل البرنس سنة ٥٤٤هـ :

عجبت للصعدة السّمراء مثمرةً برأسه إنّ إثمار القنا عجب

سما عليها سموٌّ الماء أرهقه أنبوبه في صعودٍ أصلها صبب

ما فارقت عذبات التاج مفرقه إلاّ وهامته تاجٌ ولا عذب

إذا القناة ابتغت في رأسه نفقاً بدا لثعلبها من نحره سرب[٤]

فقد جعل رأس البرنس ثمرة ناضجة آن أوان قطفها، فتناولها رمح نور الدين، وهي تتصبب دماً.

وكان العماد الأصفهاني أكثر شعراء هذا العصر ولعاً بالصور المفزعة، ومن

---

(١) ديوان أبي الطيب المتنبي : ٣ : ٥٤٠.
مسفة : الدانية من الأرض. لسان العرب : سفف.

(٢) انظر : ديوان ابن منير الطرابلسي : ص٢١٠، ٢٤١. شعر ابن القيسراني : ص٧٢، ٣٧٥.
ديوان العماد الأصفهاني : ص١١٠، ٢٣٤. ديوان ابن سناء الملك : ص٢٢٤، ٣٤٢.

(٣) ديوان العماد الأصفهاني : ص١٧١. انظر أيضاً : ص١٥٣.

(٤) شعر ابن القيسراني : ص٧٣. انظر أيضاً : ص١٥٨.
الصعدة السمراء : القنا المستوية. لسان العرب : صعد.
صبب : المصبوب. لسان العرب : صبب.
عذبات : طرف كل شيء . لسان العرب : عذب.
سرب : المسلك في خفية. لسان العرب : سرب.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

صوره المنفرة تشبيهه رأس أرناط صاحب الكرك وقد قطعه صلاح الدين سنة ٥٨٣هـ بالضفدع الذي أصيب بالزكام بسبب كثرة غطسه بالماء[١]، وتصويره خفة رأسه عند بتره بخفة القطن، يقول :

شكا يبساً رأس البرنس الذي به ... تندّى حسامٌ حاسمٌ ذلك اليبسا

حسا دمه ماضي الغرار لقدره ... وما كان لولا غدره دمه يحسى

فللّه ما أهدى يداً فتكت به[٢] ... وأطهر سيفاً معدماً رجسه النجسا

نسفت به رأس البرنس بضربةٍ ... فاشبه رأسي رأسه العهن والبرسا

تبوغ في أوداجه دم بغيه ... فصال عليه السّيف يلحسه لحسا[٣]

- الاعتماد على البرهان العقلي

والصورة التي تعتمد على البرهان العقلي تصدر عن الفكر، وتخضع لمنطق العقل، دون أن تفقد عنصر الخيال[٤]، ويقول عبد القاهر الجرجاني موضحاً حدّ الصورة الشعرية التي تتخذ من البرهان العقلي وسيلة لبنائها «تمزجها من خفي إلى جلي، وتأتيها بصريح بعد مكنى، وأن تردها في الشيء تعلمها إياه إلى شيء آخر هي بشأنه أعلم، وثقتها به في المعرفة أحكم»[٥]. ويقرر الدكتور إحسان عباس شيوع هذه الصورة في شعر أبي تمام فيقول : «وإلى جانب الشعراء الذين يغرمون بالصورة لذاتها بين الأقدمين نجد الصورة تستخدم للإقناع بطريقة غير حاسمة، إذ ليس فيها قوة المنطق الذهني، ولكن لها بعض القدرة على التأثير المقنع، وقد بلغ أبو تمام بالصورة في هذا المنحنى حد البرهان»[٦].

---

(١) ديوان العماد الأصفهاني : ص٢٢٩.

(٢) سقطت كلمة «يد» من الديوان، انظر : الروضتين : ٢ : ٨٣.

(٣) ديوان العماد الأصفهاني : ص٢٣٥.
البرس : القطن. لسان العرب : برس.
تبوغ : هاج، وتبوغ الدم بصاحبه : قتله. لسان العرب : بوغ.

(٤) ساسين عساف : الصورة الشعرية ونماذجها في إبداع أبي نواس، المؤسسة الجامعية – بيروت، سنة ١٩٨٢م : ص١٨٩.

(٥) أسرار البلاغة، تحقيق أحمد المراغي، مطبعة الاستقامة – القاهرة، د.ت : ص١٣٧.

(٦) فن الشعر : ص١٩٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويؤمن أبو الطيب بالعقل، ويقدم الرأي الصائب على الشجاعة المتهورة، ولذلك نجده يكثر من استخدام الصور الشعرية التي تعتمد على البرهان العقلي[١]. وقد أخذ شعراء الحروب الصليبية عنه اهتمامه بالصورة العقلية، وحاكى بعض شعراء هذا العصر بعض صور المتنبي العقلية، ومن ذلك قول العماد الأصفهاني :

ومن فارق الأحباب مستبدلاً بهم سواهم فقد باع المرابح بالخسر

فقلت : ملاذي النّاصر الملك الذي حصلت بجدواه على الملك والنصر

فقالت : أقم لا تعدم الخير عندنا فقلت : وهل تغني السّواقي عن البحر[٢]

واستفاد في هذه الصورة من قول أبي الطيب :

قواصد كافورٍ توارك غيره ومن قصد البحر استقلّ السّواقيا[٣]

ويأخذ ابن الساعاتي صورته :

طول المقام لأهل الفضل منقصة والمسك لولا النوى ما أدرك الشرفا

لو لم تجرّد سيوف الهند ما رهبت والدّرّ ما جلّ حتّى فارق الصدفا[٤]

من صورة أبي الطيب :

كن أيّها السّجن كيف شئت فقد وطّنت للموت نفس معترف

لو كان سكناي فيك منقصةً لم تكن الدّرّ ساكن الصدف[٥]

ولكن ابن الساعاتي لم يكتف بأن يأتي بدليل واحد كما فعل المتنبي، وإنما جاء في بيته بأربعة براهين، ليعلي من شأنه، فلعله يجد منزلة تليق به في مصر بعد مغادرته حلب.

ومن الصور العقلية البديعة قول شرف الدين الأنصاري مادحاً الملك الأمجد بهرام شاه :

---

(١) انظر ديوان أبي الطيب المتنبي : ٣ : ٣٨، ٥٤، ٧١، ٩٨، ١٧٧، ٢٦٠، ٤١٩، ٥٢٧ .... .

(٢) ديوان العماد الأصفهاني : ص٢٠٧. انظر أيضاً : ص١٢٥، ١٦٥، ٢٦٨، ٢٧٥.

(٣) ديوان أبي الطيب المتنبي : ٤ : ٢٤.
نصب «قواصد» على الحال، ويجوز الرفع.

(٤) ديوان ابن الساعاتي : ٢ : ١٧٤.

(٥) ديوان أبي الطيب المتنبي : ١ : ١٨٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكم أغنيت بالنعماء كفّـــاً وكم أوريت للعلياء زنـــــداً

مكارمك الزواهر ليس تحصى ومن يحصي النجوم الزّهر عدّا [١]

وهذه صور ذهنية عقلانية تهدف إلى الإقناع لا إلى التأثير.

وإلى جانب تركيزهم على المكان والصور المفزعة، واهتمامهم بعنصر الحركة، واعتمادهم البرهان العقلي في بناء صورهم الشعرية، فإنهم أكثروا من استخدام عنصر المقابلة في تشكيل صورهم وظهر هذا العنصر بكل جلاء في موازناتهم بين الجيش الإسلامي وجيش العدو، كما يتضح هذا العنصر في تصويرهم للعدو قبل الهزيمة التي مني بها وبعدها .

* اللغة والأسلوب

- ملاءمة الألفاظ للموضوع

تنبه النقاد القدماء إلى أهمية الملاءمة بين المفردات اللغوية والموضوع الذي يعالجه الشاعر، وأكدوا ضرورة توفر الانسجام بين اللغة الشعرية وموضوع القصيدة وصورها، فتناولُ المبدع لقضية ذاتية يختلف كل الاختلاف من حيث الألفاظ والصور عن تناوله لوصف معركة أو غير ذلك، فوصف الحرب والسلاح ليس كالغزل، فلكل واحد منهما نهج خاص به[٢]، فكما تتباين أساليب الفنون الشعرية تتباين لغتها[٣]. ويقول ابن الأثير موضحاً أهمية ملاءمة الألفاظ للموضوع : «تنقسم (الألفاظ) في الاستعمال إلى جزلة ورقيقة، ولكل منها موضع يحسن استعماله فيه، فالجزل منها يستعمل في وصف مواقع الحروب، وفي مواقع التهديد والتخويف، وأشباه ذلك، وأما الرقيق منها، فإنه يستعمل في وصف الأشواق، وذكر أيام الصبا، واستجلاب المودات، وملاينات الاستعطاف،

---

(١) ديوان شرف الدين الأنصاري : ص١٥٤.

(٢) القاضي الجرجاني : الوساطة : ص٢٤.

(٣) د. عبد الجليل عبد المهدي : بيت المقدس في أدب الحروب الصليبية : ص٢٥٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأشباه ذلك[١]. فلغة المدح ووصف المعارك غير لغة الغزل ووصف مجالس اللهو.

ويقرر الدكتور نصرت عبد الرحمن أن شعر الحرب يجب ألا يكون ناعم الملمس، تدميه اللمسة الحانية والنسمة العانية، فشاعر الحرب مطالب بأن يتخير الألفاظ الجزلة القوية، وصعوبة بعضها ليس دليل ضعف، وإنما تدل على القدم، والقدم يعطي للبطولة معنى الأزلية التي تضفي كثيراً من الجلال والرصانة[٢].

ويرى ابن رشيق أن أبا الطيب في تخيره لألفاظه كالملك الجبار، يأخذ ما حوله قهراً وعنوة، أو كالشجاع الجريء، يهجم على ما يريده لا يبالي مالقي، ولا حيث وقع[٣]، وكأن ابن رشيق أراد من ذلك أن يؤكد أن المتنبي مطبوع في اختيار ألفاظه، فهو لا يتصنعها ولا ترهقه. والقارئ لشعره الحربي يجده يتوخى الألفاظ ذات الضجيج ويلائم في الصياغة بينها، وهي في قوتها وجزالتها تلائم موضوع القصيدة.

وتبع الشعراء زمن الحروب الصليبية أبا الطيب المتنبي وغيره من شعراء الحرب في القرن الرابع الهجري في الملاءمة بين اللفظ والمعنى، فتخيروا المفردات اللغوية ووضعوها في بيئاتها المناسبة لها، لكي تعبر عن الواقع الحربي، وجاءت ألفاظهم مستوحاة من جو المعارك، وامتازت بالجزالة وقوة الجرس لتلائم أجواء الحروب بما فيها من ضوضاء وعنف، وتبدو هذه القوة والجزالة في لغة قصائد الجهاد في هذا العصر، حيث تخير الشعراء المفردات الجزلة والتعبيرات الرصينة الدالة على الحرب، ومن أمثلة ذلك بائية ابن القيسراني المشهورة «هذي العزائم لا ما تدعي القضب ....»[٤]، فقد انتشرت الألفاظ والتعبيرات القوية في معظم أبيات القصيدة، ومنها «غضبت للدين»، «ضربت كبشهم»، «الحرب تضطرم»، «الآجال تحتطب»، «السيف هام على هام»،

---

(١) المثل السائر : ١ : ٢٤٠.
(٢) شعر الصراع مع الروم : ص١٨٠.
(٣) العمدة : ١ : ٢٦٦.
(٤) شعر ابن القيسراني : ص٦٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

«النبل كالوبل»، «للظبى طفر»، «أنباء ملحمة» ... ويقول ابن سناء الملك مادحاً صلاح الدين وقد كسر الصليبيين سنة ٥٧٥هـ :

له النّصل يجلى والقناة بكفّه ... تقوّم والقوس الشديد له يجنى

أقام بدار الكفر تجبى لها الجزا ... وتُودى له القتلى وتسبى له الحسنى

يشنّ عليها غارةً بعد غارةٍ ... فقد أصبحت من شنّ غاراته شنّا

عفت وخلت من ساكنيها ديارهم ... فلا معقل ينشى ولا منزل يغنى

زمان على تلك المعاهد قد مشى ... ودهرٌ على تلك المعاقل قد أخنى[1]

فقد اختار ابن سناء ألفاظاً دالة على الواقع الحربي الذي يصوره، وجاءت ألفاظه معبرة أحسن تعبير عن المعنى الذي أراده، وتجده قد أكثر من المفردات القوية، وتخير حروفاً شديدة الوقع كالشين والغين والنون وكررها في غير كلمة «الشديد، يشن، غارة، شن، مشى»، ومنحت مفرداته النص إيقاعاً موسيقياً صاخباً ملائماً لأجواء الحرب، ويلحظ القارئ لهذه الأبيات أن الشاعر أكثر من استخدام الأفعال المبنية للمجهول «يجلى، تقوم، يجنى، تجبى، تودى، تسبى، ينشى» ومعظم هذه الأفعال جاءت على نمط واحد مما ساهم في المحافظة على الإيقاع الموسيقي للنص.

وواءم عبد المنعم الجلياني في قصيدته «الفتحية الناصرية» التي أولها :

في باطن الغيب مالا تدرك الفكر ... فذو البصيرة في الأحداث يعتبر[2]

بين الألفاظ والمعاني، فقد تخيّر ألفاظاً مناسبة لموضوع القصيدة، ومنها : القواضب، والعسّالة، والسّمر، والجحافل، وكأس الطعن، وجثموا، وحطوا، والغضنفر، وفتوح القادسية، والحق يعرس، وملاحم ذي القرنين ... .

وذكر شعراء هذا العصر في قصائدهم أنواع الأسلحة المستخدمة في قتال الصليبيين، ومنها : السيف والأسماء الدالة عليه كالحسام والصارم والمهنّد،

---

(١) ديوان ابن سناء الملك : ص٣٢٢.

(٢) ديوان المبشرات والقدسيات : ص١٣٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والرمح والأسنة، والقنا، والقسي، والنبل، والبيض[١]، والكبش[٢]، والطوارق[٣]، والمنجنيق ... وبدهي أن معظم هذه الألفاظ قد ذكرها المتنبي في شعره بكثرة.

وأخذ شعراء هذا العصر الكثير من مفردات معجم المتنبي اللغوي، ومن هذه المفردات كلمة «الفتى» وقد استخدمها أبو الطيب كثيراً في شعره للدلالة على فتوة البطل وقوته، يقول في مدح سيف الدولة :

فتى الخيل قد بلّ النجيع نحورها ... يطاعن في ضنك المقام عصيب

يعاف خيام الرّيط في غزواته ... فما خيمه إلا غبار حروب[٤]

ويقول ابن الخياط مادحاً عضب الدولة :

فتى لم يبت والمجد من غير همه ... ولم يحترف والحمد من غير كسبه

ولم يرَ يوماً راجياً غير سيفه ... ولم ير يوماً خائفاً غير ربّه[٥]

ويقول سعادة الأعملى مادحاً صلاح الدين :

فتى مذ غزا بالخيل والرجل غزّة ... نأى عن نواحيها الرضا ودنا السّخط

رماها بأسد ما لهن مرابضٌ ... ولا أجمٌ إلاّ الّذي تنبت الخط

وعاث ضواحيها ضحى بكتائب ... من الترك لا ثوب طغام ولا قبط[٦]

وأخذوا عن المتنبي وغيره من شعراء الحرب عبارة «الفتكة البكر»[٧] التي استخدمها أبو الطيب في وصف المعارك، يقول فتيان الشاغوري :

وضمّ الحصان البكر ركضك في الوغى ... حصاناً عليه نفتك الفتكة البكرا[٨]

---

(١) جمع بيضة وهي الخوذة. لسان العرب : بيض.

(٢) آلة حربية تستخدم في هدم الأسوار. لسان العرب : كبش.

(٣) جمع طارقة وتدل على الترس أو المتراس. ابن شداد : النوادر السلطانية : ص١٢٨.

(٤) ديوان أبي الطيب المتنبي : ٣ : ٢٢١. انظر أيضاً : ٣ : ٦٤، ١٢٤، ٤٠١، ٤٣٧، ٤٨٠، ٤٨٧، ٥٤٤ .... .

(٥) ديوان ابن الخياط : ص١٧٣. انظر أيضاً : ص١٤٧، ٢٤٣.
انظر : شعر ابن القيسراني : ص٣١٤. النكت العصرية : ١٦٩.
ديوان أسامة بن منقذ : ص١٩١. ديوان العماد الأصفهاني : ص١٩٦.
ديوان المبشرات والقدسيات : ص١٤٤. ديوان ابن سناء الملك : ص٨٧، ١١٠.

(٦) الروضتين : ١ : ٢ : ٦٤٦.

(٧) ديوان أبي الطيب المتنبي : ٢ : ٣٢٢.

(٨) ديوان فتيان الشاغوري : ص١٥١. انظر : الروضتين : ٢ : ١٢.
ديوان ابن عنين : ص٢٧. ديوان شرف الدين الأنصاري : ص٢١٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأخذوا عنه أيضاً «العسالة الذبل»[١]، يقول ابن الساعاتي :

وقام دوني ممّا كنت أحـــذره وقع الصّوارم والعسّالة الذّبـل[٢]

وأكثروا من استعمال كلمة «الأيادي» التي أكثر المتنبي من استعمالها للدلالة على فضائل الممدوح[٣]، يقول ابن منير مادحاً نور الدين زنكي :

وفرّوا إلى مولاكم والذي لـــه عليكم أيادٍ وسْمها ليس يجحد[٤]

ويقول العماد الأصفهاني مادحاً صلاح الدين :

يا مخجل البحر بالأيـــادي قد آن أنْ تفتح السواحـــل[٥]

ومن السمات الأسلوبية لشعر الحروب الصليبية استخدام الشعراء لمفردات غير عربية في قصائدهم الجهادية، ومن هذه المفردات : البرنس، والقمص، والاسبتار، والداوي ... وقد استمدوا هذه المفردات من واقع عصرهم الحربي، فالاستبتار والداوية من أشهر فرق الفرنج وأشجعها. يقول ابن القيسراني :

وأرى صياح القمص كان خديعة فطغى وجار، وليس ثمّ وجـار[٦]

ويقول عبد المنعم الجلياني :

مالي أرى ملك الإفرنج في قفصٍ أين القواضب والعسّالة السُّمر

والاسبتار إلى الدّاويّة التأمـوا كأنّهم سدّ يأجوجٍ إذا استجـروا[٧]

كما ذكروا أسماء قادة الفرنج وملوكهم في شعرهم، مثل : جوسلين، وابن الفتش، وبغدوين، وبادويل، والكند، واليسكند ... يقول أسامة بن منقذ :

---

(١) ديوان أبي الطيب المتنبي : ٣ : ٧٩.

(٢) ديوان ابن الساعاتي : ٢ : ٣٨٣. انظر : الروضتين : ٢ : ١١٦، الخريدة - قسم الشام : ٢ : ٢٢٦، ٢٣٠. الخريدة : قسم مصر : ١ : ٢٠٣.

(٣) ديوان أبي الطيب المتنبي : انظر مثلاً :١ : ٢٠١، ٣٦٦. ٣ : ٤١٣.

(٤) ديوان ابن منير الطرابلسي : ص٢٣٢.

(٥) ديوان العماد الأصفهاني : ص٣٢٦ انظر أيضاً : ص١٢٨، ٢٧٢.
انظر : ديوان ابن الخياط : ص٣٠٨، ٣١٥. النكت العصرية : ص١٠٦.
ديوان تاج الملوك الأيوبي : ص٢٣٣. ديوان فتيان الشاغوري : ص١١٣، ٣٧١.
ديوان ابن الساعاتي : ٢ : ٢٩٠. ديوان البهاء زهير : ص١٢٨، ١٧٠.

(٦) شعر ابن القيسراني : ص٢٠٢. الوجار : جُحْر الضبع. لسان العرب : وجر.

(٧) ديوان المبشرات والقدسيات : ص١٣٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي سجننا (ابن الفُنْش) خير ملوكهم وإن لم يكن خير لديهم ولا بـــرُّ

ونحن كسرنا (البَغْدَوين) وما لمـــــن كسرناه إبلالٌ يرجّى ولا حبـــــر[١]

ويقول ابن سناء الملك :

بكى (الكند) و(اليسكند) لا وحشة لهم ولكن على نفسيهما أسبلا الجفنا

غدا (بادويل) وهو يلعن نفســـــه وحُقّ لتلك النفس أن تربح اللعنا[٢]

ويقول العماد الأصفهاني :

بعثت إمام أمّة النّار نحوهـــــا فزار إمام أرناطها ذلك الحبسا[٣]

وهم في هذه السمة يقلدون أبا الطيب المتنبي الذي ذكر في رومياته أسماء قادة جيش الروم وكثيراً من المفردات المستمدة من الديانة النصرانية، يقول في قصيدته المشهورة «ليالي بعد الظاعنين شكول ...».

على قلب قسطنطين منه تعجب وإن كان في الساقين منه كبول

لعلك يوماً يا دمستق عائـــــدٌ فكم هاربٍ مما إليه يـــــؤول[٤]

- استخدام ألفاظ الغزل في الحرب

عشق أبو الطيب المتنبي الحرب، فأبدع في تصوير الفروسية والشجاعة، ووفّق في وصف مشاهد القتل كل التوفيق، وعشقه للحرب واعتباره الفروسية الهدف الأسمى للإنسان جعله يستخدم ألفاظ الغزل والنسيب في وصف الحرب، ويقرر الثعالبي تفرد المتنبي بهذه الظاهر، ويقول إن هذا الأمر «مما لم يسبق إليه، وتفرد به، وأظهر فيه الحذق بحسن النقل، وأعرب عن جودة التصرف والتلعب بالكلام»[٥].

والقارئ لشعر المتنبي بشيء من التمعن يجد أن هذه الظاهرة لم تقتصر

---

(١) ديوان أسامة بن منقذ : ص٢٢٢.

(٢) ديوان ابن سناء الملك : ص٣٢٤.

(٣) ديوان العماد الأصفهاني : ص٢٣٦.

(٤) ديوان أبي الطيب المتنبي : ٣ : ٣٤٩.

(٥) اليتيمة : ١ : ١٩٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

على مرحلة دون غيرها في شعره، فهي منتشرة في معظم قصائده الحربية، ولكنها «بلغت عنفوانها عندما شارك سيف الدولة في مواقعة الروم، فأخذ يتغنى بالحرب والرماح، والسيوف والخيول، ويصور الدم والدمار والجثث والأشلاء تصويراً يدل على عشق هذا الشاعر لهذه المناظر وارتباطه بها»[١].

وتأثر شعراء عصر الحروب الصليبية بهذه الظاهرة تأثراً ملحوظاً، وجاء تأثرهم على اتجاهين : أما الاتجاه الأول فقد أكثروا من توظيف مفردات الغزل وصوره في تصوير مواقف العنف، يقول ابن القيسراني مصوراً دمشق، وقد ملكها نور الدين سنة ٥٤٩هـ فتاة حسناء هجرت محبوبها، وتمنعت عليه فترة :

فإن صافحت يمناك من بعد هجرها ... فأحلى التّلاقي ما تقدّمه هجر

وهل هي إلا كالحصان تمنّعت ... دلالاً، وإن عزّ الحيا وغلا المهر ؟![٢]

ويقول القاضي الفاضل مشبها خدّ الأرض ملطخاً بالدماء بخدّ العروس إذا خجلت واحمر وجهها :

تلقى عروس المنايا وهي حاسرةً ... وخدّها فيه من فيض الدّما خفر[٣]

ويشبه فتيان الشاغوري لقاء العدو في معترك الوغى بمعانقة الأحبة، يقول مادحاً :

يعتنق الأعداء مثل اعتـ ... ـناق العاشق المعشوق مستهترا

ذاك عناق يفرش القرن في ... صدر الحسام العضب ظهر البرى[٤]

ويقول الشاب الظريف مادحاً :

ومعشر لم تزل في الحرب بيضهم ... حمر الخدود وما من شأنها الخجل

إذا انتضوها بروقاً ردّها سحباً ... بها دم سال مثل عارض هطل

يثني حديث الوغى أعطافهم طرباً ... كأن ذكر المنايا بينهم غزل[٥]

---

(١) د. عبد الفتاح نافع : لغة الحب في شعر المتنبي : ص٢١٤.

(٢) شعر ابن القيسراني : ص١٩٥.

(٣) ديوان القاضي الفاضل : ١ : ٢٢٢.

(٤) ديوان فتيان الشاغوري : ص١٧٥. انظر : الخريدة – قسم الشام : ١ : ٢٥١.
ديوان ابن منير الطرابلسي : ص٢٤٧.

(٥) ديوان الشاب الظريف : ص١٧٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فألفاظ مثل : المصافحة والعناق والضم والتقبيل، والعروس والحسناء وغلاء المهر، والدلال والرقص، والطرب والتصفيق، والاختيال والتثني، والخال والحمرة، والهجر واللقاء، من مستلزمات شعر الغزل والنسيب، ولكن شعراء هذا العصر[١] وظفوها في تصوير لقاء العدو، وفتح المدن والقلاع، وهم بذلك يحاكون أسلوب أبي الطيب الذي كان رائد هذا الاتجاه -كما تقدم-، يقول أبو الطيب مادحاً بدر بن عمار :

والطعن شزرٌ والأرض واجفـــةٌ كأنّما في فؤادها وهـــــل

قد صبغت خدّها الدماء كمـــــا يصبغ خد الخريدة الخجـــل[٢]

فالأرض اكتست ثوباً أحمر من دم الأعداء حتى غدت تشبه خد الجارية إذا تملكها الحياء، ويقول مستهلاً قصيدة له في مدح سيف الدولة :

أعلى الممالك ما يبنى على الأسل والطعن عند محبيهن كالقبل[٣]

ويقول واصفاً قلعة الحدث، وقد ملكها سيف الدولة :

فهي تمشي مشي العروس اختيالا وتثنّى على الزمـــــان دلالا[٤]

ويقول :

يا أخت معتنق الفوارس في الوغى لأخوك ثمّ أرقّ منك وأرحـم[٥]

ويرى الدكتور محمد شعيب أن استخدام أبي الطيب ألفاظ الغزل في مواقف الحرب أمر طبيعي «كان يستسهل خوض المعارك، كما كان يستطيبها ويلتذ بها، فتغنيه بها وخلعه عليها ألفاظ الغزل والهيام بالنسبة لذلك أمر طبيعي إلى حد كبير»، [٦]وإذا كانت هذه الظاهرة قد وجدت في شعر المتنبي بسبب حبه للحرب

---

(١) انظر: شعر ابن القيسراني : ص١٣٢، ٢٧٤.
ديوان طلائع بن رزيك : ص٥٧.
ديوان العماد الأصفهاني : ص١١١، ٢٢٣.
ديوان البهاء زهير : ص٢٢٦.
ديوان ابن الدهان : ص٦٥.
الخريدة - قسم مصر : ٢ : ١٩٠، ٢٠٥.
ديوان فتيان الشاغوري : ص٣١٤.

(٢) ديوان أبي الطيب المتنبي : ٢ : ١٣٣.

(٣) المصدر نفسه : ٣ : ٧٠.

(٤) المصدر نفسه : ٣ : ٥١٣.

(٥) المصدر نفسه : ٢ : ٤٥٩.

(٦) المتنبي بين ناقديه في القديم والحديث، دار المعارف، مصر، د.ط، سنة ١٩٦٤م : ص١٠١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعشقه للشجاعة فإنها وجدت في شعر شعراء الحروب الصليبية كتقليد لأبي الطيب ولم تكن نابعة من ذاتهم.

أما الإتجاه الثاني من هذه الظاهرة فهو استخدام المفردات اللغوية الخاصة بالحرب في الغزل والمقدمات التقليدية، فألفاظ القتل والفتك، وشق القلوب والجوارح والدماء، والسمهري والرماح والسهام والأسنة ... تستخدم في وصف المعارك، ولكن شعراء هذا العصر[١] وظفوها في تصوير المواقف الغرامية، يقول ابن القيسراني واصفاً عيون فتيات الفرنج وقدودهن :

بعيونٍ كالمرهفات المواضـــي وقدودٍ مثل القنا الهـــــزّاز[٢]

ويقول العماد الأصفهاني في مقدمة قصيدة له :

أصحُّ عيون الغانيات مريضـــها وأفتك ألحاظ الحسان غضيضـها

تهزّ قدود السّمر للفتك سحرها وتشهر من أجفانها البيض بيضها[٣]

ويقول ابن الساعاتي مختتماً قصيدة غزلٍ له :

فعلت بنا وهي الصّديق لحاظها كظبى صلاح الدّين في أعدائـــه[٤]

ويقول فتيان الشاغوري في مقدمة قصيدة له :

قد أشبهت لحاظه سيف صـــلا ح الدّين في الفتك بابرنس الكرك[٥]

ويقول متغزلاً :

سيف اللحاظ ورمح القدّ قد فتكا فينا ولم يخشيا بأساً ولا دركـــا[٦]

ويقول الشاب الظريف متغزلاً :

لحاظ الظبا تحكي الظبى في المضارب على أنّها أمضى بقطع الضرائـب

---

(١) انظر : شعر ابن القيسراني : ص٢٨٩، ٣٢٣، ٤١٨. ديوان العماد الأصفهاني : ص٦١، ٣٦٤.
الخريدة، بداية قسم الشام : ص٩٣، ١٠٧. قسم الشام : ١ : ٩٩، ١١٥، ١٤٣، ١٥٠، ٤٨٨.
الخريدة – قسم مصر : ١ : ١٦، ٢٥، ٢١٥، ٢١٩. ديوان البهاء زهير : ص٢٢٦.
ديوان القاضي الفاضل : ١ : ١٨٥، ٢٦٤.

(٢) شعر ابن القيسراني : ص٢٤٩.

(٣) ديوان العماد الأصفهاني : ص٢٦٩.

(٤) ديوان ابن الساعاتي : ١ : ٧٧. انظر أيضاً : ١ : ٦٠، ٦٣، ٩٠، ٩٤، ٢٢٧، ٢٥٥ ، ٢ : ٤٥، ٥٠.

(٥) ديوان فتيان الشاغوري : ص٢٩٧.

(٦) المصدر نفسه : ص ٣١٠. انظر أيضاً : ص٤٧، ٩٣، ٣٦٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ظبي مقلٍ سالمتهنّ لدى الهـــوى وأفعالها في القلب فعل المحارب

وقد جرّدت للفتك فينا فلا تـــرى سوى دم مضروب على خدّ ضارب

فلا تحذروا بيض القواضب واحذروا قواضب سود في جفون الكواعب[١]

وهم في هذه الظاهرة يسيرون على خطى أبي الطيب، فمن يقرأ مواقفه الغرامية يسمع صليل السيوف، ويشاهد هز الرماح والدمار واندفاع الخيول، ويرى السهام تنطلق فتشق القلوب، ويشاهد صرعى الحب الذين يتساقطون كما تتساقط جثث الأعداء في ساحة الوغى، يقول :

ولم أر كالألحاظ يوم رحيلهم بعثن بكل القتل من كلّ مشفـــق

نودعهم والبين فينا كأنّـــه قنا ابن أبي الهيجاء في قلب فيلق[٢]

ويقول مفتتحاً قصيدة مدحٍ له :

كم قتيلٍ -كما قتلت- شهيـــدٍ ببياض الطّلى وورد الخـــدود

وعيون المها ولا كعيـــــونٍ فتكت بالمتيّم المعمـــــــود

راميات بأسهم ريشها الهـــد ب تشقّ القلوب قبل الجلـــود[٣]

فنظرات المحبوبة تشق القلوب قبل الجلود، بخلاف سائر السهام التي تصيب الجلود قبل القلوب، ويقول مادحاً :

أيام فيك شموسٌ ما انبعثن لنا إلا ابتعثن دماً باللحظ مسفوكا[٤]

- الإشارات النحوية

ومن السمات الأسلوبية لشعر الحروب الصليبية الإكثار من استخدام مصطلحات النحويين، ولم تكن هذه السمة من السمات الخاصة بالمتنبي دون غيره من الشعراء، ولكنه استخدم في شعره الحربي مصطلحات اللغويين غير مرة، وسيقتصر الباحث في الاستشهاد على شيوع هذه الظاهرة في شعر هذا

---

(١) ديوان الشاب الظريف : ص٥١. انظر أيضاً : ص١٧٨.

(٢) ديوان أبي الطيب المتنبي : ٣ : ٢٩٨.

(٣) المصدر نفسه : ١ : ٦٩.

(٤) المصدر نفسه : ١ : ٢٢٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العصر على النماذج التي تأثر فيها قائلوها بأبيات محددة لأبي الطيب، يقول أسامة بن منقذ في قصيدة له عارض فيها قصيدة المتنبي «على قدر أهل العزم ...» :

كأن بديعي شعره وبيانه حروف اعتلال والهموم جوازم[١]

ويقول ابن الساعاتي في قصيدة له عارض فيها ميمية المتنبي الآنفة الذكر :

فيا رب مقصور عليك ثناؤه وممدود كفٍّ ما أبيحت لحازم

ومنتصب يوليك رفع دعائه يبيت بخفضٍ لا يراع بجازم[٢]

ويقول :

له الاسم في الآفاق ليس بمضمرٍ إلى الفعل لا يخشى حروف الجوازم[٣]

وتأثروا في هذه الأبيات بقول أبي الطيب في ميميته :

إذا كان ما تنويه فعلاً مضارعاً مضى قبل أن تلقى عليه الجوازم[٤]

ولم يقف شعراء هذا العصر عند حد التأثير وإنما توسعوا فيها توسعاً ملحوظاً، فكثرت الإشارات النحوية في شعرهم الحربي وغير الحربي[٥].

- ظاهرة التكرار

تنبه النقاد القدماء إلى شيوع ظاهرة التكرار في الشعر العربي، يقول ابن رشيق مبيناً أنماط التكرار «وللتكرار مواضع يحسن فيها، ومواضع يقبح فيها. فأكثر ما يقع التكرار في الألفاظ دون المعاني، وهو في المعاني دون الألفاظ أقل، فإذا تكرر اللفظ والمعنى جميعاً فذلك الخذلان بعينه»[٦]. وترى نازك

---

(١) ديوان أسامة بن منقذ : ص ٢٢٧.

(٢) ديوان ابن الساعاتي : ١ : ٢٠٣.

(٣) المصدر نفسه : ٢ : ١٤٠.

(٤) ديوان أبي الطيب المتنبي : ٣ : ٤٢٤.

(٥) انظر: شعر ابن القيسراني : ص٧٨.
الخريدة – قسم الشام : ١ : ٢٣٨.
ديوان ابن سناء الملك : ص٩٥.
ديوان ابن عنين : ص١٧، ١٢٤.
ديوان شرف الدين الأنصاري : ص١٩٩، ٢٢٨.
النكت العصرية : ص ١٤٣.
ديوان ابن الساعاتي : ٢ : ٣١٣، ٣٨٧.
ديوان فتيان الشاغوري : ص١٤٢.
ديوان ظافر الحداد : ص١٨٠.

(٦) العمدة : ٢ : ٦٨٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الملائكة أن التكرار إلحاح على جهة مهمة في العبارة يعنى بها الشاعر أكثر من عنايته بسواها، والهدف من التكرار أن يسلط المبدع الضوء على نقطة حساسة في العبارة ويظهر اهتمامه بها، وهو بهذا المعنى ذو دلالة نفسية قيمة تفيد الناقد الأدبي الذي يدرس النص، ويحلل نفسية صاحبه[١]. ويساعد التكرار على إشاعة لون موسيقي خاص في القصيدة.

وتناول النقاد ظاهرة التكرار في شعر أبي الطيب، وعدها النقاد القدماء من المآخذ على شعره[٢]. أما النقاد المحدثون فمنهم من عدها متعة يستمتع بها المتلقي، ومنهم من عدها استجابة لنزعة الشاعر الفنية للتفوق على منافسيه، ومنهم من اعتبرها جزءاً لا يتجزأ من موسيقى قصائده[٣]. ومن المواطن التي حسن فيها التكرار عند المتنبي، قوله :

جيش كأنّك في أرضٍ تطاولـه ... فالأرض لا أممٌ والجيش لا أمم

إذا مضى علمٌ منها بدا علـمٌ ... وإن مضى علمٌ منه بدا علـم[٤]

وهو في هذين البيتين قد وظف التكرار توظيفاً فنياً، حيث كرر مفردات «الأرض، والأمم، والعلم» وهذه المفردات أوحت بعظمة جيش الممدوح وقوته .

ومن مواطن تكراره الحسنة أيضاً، قوله :

مالي أكتّم حبّاً قد برى جسدي ... وتدعي حبّ سيف الدولة الأمم

إن كان يجمعنا حبّ لغرتـه ... فليت أنا بقدر الحبّ نقتسم[٥]

فقد كرر كلمة (الحب) أربع مرات، مرة في كل شطر، وهو بتكراره هذا يظهر صدق حبه لممدوحه وعظمته .

والقارئ لشعر أبي الطيب بشيء من التمعن يجده يكرر ألفاظاً معينة في

---

(١) قضايا الشعر المعاصر، مكتبة النهضة – بغداد، ط٢ سنة ١٩٦٥م : ص٢٧٦.

(٢) انظر : الثعالبي : يتيمة الدهر : ١ : ١٧١. البديعي : الصبح المنبي : ص٣٧٧.
ابن رشيق : العمدة : ١ : ٥٧١.

(٣) ابراهيم عوض : لغة المتنبي – دراسة تحليلية، مطبعة الشباب – القاهرة، د.ط، سنة ١٩٨٧م : ص٢٥٦.
عبد الفتاح نافع : لغة الحب في شعر المتنبي : ص٣١٥.

(٤) ديوان أبي الطيب المتنبي : ٣ : ٥٤٩.

(٥) المصدر نفسه : ٣ : ٢٤٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كثير من قصائده، ومن تلك الألفاظ : «الفتى، والأيادي، والعسالة الذبل، والعارض الهطل، والعرمرم والنجيع ...» كما أنه لجأ إلى تكرار المعاني والصور ومن ذلك اعتباره ممدوحه أوحد زمانه وتفرده على غير من الملوك، ومن الصور التي شغف بها المتنبي وكررها في شعره تصويره للخيل وهي مخضبة بدماء الأعداء وتتعثر بأشلاء القتلى.

وتعتبر ظاهرة التكرار من السمات الأسلوبية البارزة في شعر الحروب الصليبية التي ظهر فيها أثر المتنبي، حيث كرر شعراء هذا العصر الألفاظ والمعاني والصور، ومن الأمثلة الدالة على تكرار الألفاظ قول ابن القيسراني متغزلاً :

وأراك يغشاني خيالك في الكرى ... أترى خيالي في الكرى يغشاك

حجبوك أم حجبوا الحياة فإنّني ... لأرى الحياة غداة يـــوم أراك

ولقد رميت فما أصابت أسهمي ... ورميتني فأصابني سهمـــاك

وعلقت في أشراككم فاصطدتني ... وتعطلت عن صيدكم أشراكي[1]

فتكراره لـ «يغشاني، والخيال، والكرى» في البيت الأول، ولـ «حجبوا، والحياة» في البيت الثاني، ولـ «رمى، وأصاب، والسهم» في البيت الثالث، ولـ «أشراك، واصطاد» في البيت الرابع أسهم في توضيح المعاناة التي يعانيها الشاعر من المحبوبة.

ويقول العماد الأصفهاني مخلداً معركة حطين :

بواقعة رجّت بها الأرض جيشهـــم ... دماراً كما بسّت جبالهم بسّـــا

بطون ذئاب الأرض صارت قبورهم ... ولم ترض أرضٌ أن تكون لهم رمسا[2]

وتكراره للفظ الأرض «ثلاث مرات يوحي باهتمامه بعنصر المكان في تصويره للصراع مع الصليبيين، كما يوحي بقوة العلاقة بين الأرض وأهلها، فالأرض هي التي رجت جيش الأعداء، وهو في هذه الصورة جعل الأرض كائناً

---

(١) شعر ابن القيسراني : ص٣٢٣.

(٢) ديوان العماد الأصفهاني : ص٢٣٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حياً، فهي تناضل مع أهلها الأصليين، وترفض أن تكون قبراً لمن يقتل من الأعداء، ومن هنا يمكن القول إن تكرار كلمة الأرض هنا قد خدم الصورة الشعرية، ووظف توظيفاً فنياً.

ونجد العماد الأصفهاني يكرر في القصيدة نفسها التي أُخِذ منها البيتان السابقان كلمة (حطين)، يقول :

حططت على حطّين قدر ملوكهم ... ولم تبق من أجناس كفرهم جنسا

ونعم مجال الخيل حطّين لم تكن ... معاركها للجرد ضرساً ولا دهسا[١]

فتكراره لفظ (حطين) هنا شبيه بتكراره لفظ (الأرض) في البيتين الآنفين، فهو يكرر اسم المكان ويشخصه ليؤكد أحقية الإنسان المسلم به.

ومن أمثلة التكرار اللفظي عند القاضي الفاضل قوله :

ستعجل عن فهمٍ إذا صرّح الأسى ... فدونك ما دام الزمان يعرّض

أيقطع حدّ السّيف والسّيف مغمدٌ ... ويفرس ناب اللّيث واللّيث يربض[٢]

فهو يقرر عن طريق تكراره للفظي السيف والليث إيمانه بالقوة. كوسيلة لأخذ الحقوق.

وعمد شعراء هذا العصر إلى تكرار ألفاظ معينة، فابن القيسراني أكثر من ترديد عبارة (العارض الحالي)[٣]، وكرر أسامة بن منقذ كلمة (مستهتر) بمعنى فتن بالشيء ولزمه[٤]، كما كرر تشبيهه نفسه بـ «أم البو»[٥]، وكرر ابن سناء الملك كلمة (أوليت) أربع عشرة مرة في قصيدة واحدة[٦]. وأكثر شعراء هذا العصر من تكرار ألفاظ : الفتح، والهدى، والكفر، والقدس.

ولم يقتصر شعراء هذا العصر على تكرار الألفاظ، وإنما تعدوا ذلك إلى تكرار المعاني، فمعنى ابن القيسراني في قوله :

---

(١) ديوان العماد الأصفهاني : ص٢٣٤.

(٢) ديوان القاضي الفاضل : ١ : ٣٦٦.

(٣) شعر ابن القيسراني : ص١٨٠، ١٩٤، ٢١٣، ٢٢٩، ٢٣١، ٣١٣، ٣٣٧، ٣٤٢.

(٤) ديوان أسامة بن منقذ : ص ٣٠، ٣٥، ٣٨.

(٥) المصدر نفسه : ص٤٣، ٤٨، ٥٣. والبو : الحوار. لسان العرب : بوو.

(٦) ديوان ابن سناء الملك : ص١٥٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لا تخدعنّ فما الحسام المرهـــف إلاّ الّذي يحويه جفنٌ أوطـــــف

وإذا رأيت اللحظ يعمل في الحشا عمل الأسنّة فالقوام مثقّـــــف[1]

يشبه المعنى في قوله :

إذا ما تأمّلت القوام المهفهفـــا تأمّلت سيفاً بين جفنيه مرهفـــا[2]

ويقول فتيان الشاغوري :

تقبل أفواه السّلاطين بساطـــة فتفنى من التقبيل لا غيره البسط[3]

ويكرر هذا المعنى في قوله :

فكل الملوك عبيدٌ لديـــــك وأنت فسيّدها عن رضاهـــــا

تقبل بسطـــك أفواههـــــا معفرةً في التّراب الجباهـــــا[4]

ولعلهم أرادوا من تكرارهم لمعانيهم تأكيد الفكرة لدى المتلقي، فالتكرار يرسخ الفكرة عند المستمع، ويعمق فهمه لها. ولعله للسبب ذاته تجدهم يكررون صورهم الشعرية الخاصة بالبطل والجيش الإسلامي وصورهم للعدو والمعركة.

وقد أفسد المتنبي بعض أشعاره بسبب تكراره لألفاظ معينة، ومن ذلك قوله :

ولا الضعف حتّى يتبع الضعف ضعفه ولا ضعف ضعف الضعف بل مثله ألف[5]

وقوله :

فقلقلت بالهمّ الّذي قلقل الحشا قلاقل عيسٍ كلُّهنّ قلاقـــــل[6]

وعد أبو الهلال العسكري هذين البيتين مِنْ أقبح الأبيات في التكرار[7].

والقارئ لشعر الحروب الصليبية يجد مثل ذلك التكرار الممل الذي يكون على حساب المعنى والصورة الشعرية، ومن ذلك قول ابن سناء الملك :

---

(١) شعر ابن القيسراني : ص ٢٨٩.
الأوطف : الغزير الأهداب مع طول واسترخاء. لسان العرب : وطف.

(٢) شعر ابن القيسراني : ص٢٩١.

(٣) ديوان فتيان الشاغوري : ص٢٥٦.

(٤) المصدر نفسه : ص٥٦٩. انظر أيضاً : ص٣١٧، ٣١٩، ٤٢٣.

(٥) ديوان أبي الطيب المتنبي : ٢ : ٢٥.

(٦) المصدر نفسه : ٣ : ٢٩٣ انظر أيضاً : ٣ : ٢٩٥، ٤ : ٣٢٨.

(٧) كتاب الصناعتين : الكتابة والشعر، تحقيق : علي البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية- مصر، ط١ سنة ١٩٥٢م : ص٣٣٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويشغلهم سبي الأسود عن المـــها ويليهيهم نهب النفوس عن النهب

لهم معجز في الطّعن والضرب باهر فلا طعن في طعن ولا ضرب في ضرب[١]

فتكراره للفظي الطعن والضرب أفقد البيت معناه وجماله.

- ظاهرة التقسيم

عرف الشعر العربي التقسيم في العصرين الجاهلي والإسلامي[٢]، ولكنه كما يرى الدكتور نصرت عبد الرحمن- أضحى النهج الأثير في شعر الصراع في القرن الرابع الهجري، فقد كلف به الشعراء وراق الممدوحين[٣]. وشغف أبو الطيب المتنبي بالتقسيم شغفاً كبيراً، ومن أمثلته في شعره قوله :

*للسبي ما نكحوا، والقتل ما ولدوا والنهب ما جمعوا والنار ما زرعوا

*الدّهر معتذرٌ، والسّيف منتظـــرٌ وأرضهم لك مصطاف ومرتبـــع[٤]

وقسم المتنبي البيت الأول إلى أربعة أقسام، وهو في هذه الأقسام الأربعة لخص قصة الصراع الدائر بين المسلمين والروم، فالغلبة للمسلمين أما الروم فقد ضرب عليهم السبي والقتل والنهب والدمار. ويقول :

قليل عائدي، سقم فـــؤادي كثيرٌ حاسدي، صعبٌ مرامي

عليل الجسم ممتنع القيـــام شديد السّكر من غير المدام[٥]

ويلحظ القارئ أن المتنبي قسم البيت الأول إلى أربعة أقسام متساوية وجعل البيت الثاني في ثلاثة أقسام، وقد مكنه التقسيم من تصوير حالته وما آل إليه بعد رحيله عن سيف الدولة وإصابته بالحمى في مصر، ومما زاد الصورة جمالاً استخدامه لعنصر الطباق بين «قليل وكثير».

وشاع استخدام التقسيم في شعر الحروب الصليبية شيوعاً بالغاً، فمعظم

---

(١) ديوان ابن سناء الملك : ص١٠.

(٢) انظر : ابن رشيق : العمدة : ١ : ٥٩٩-٦٠٦.

(٣) شعر الصراع مع الروم : ص٣١٣.

(٤) ديوان أبي الطيب المتنبي : ٣ : ١٨٠، ١٩١.

(٥) المصدر نفسه : ٤ : ١٤٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شعراء هذا العصر[١] عمدوا إلى استخدامه، لأثره الإيجابي في الإيقاع الموسيقي الداخلي للنص الشعري، «فالأصوات التي تتكرر في حشو البيت مضافة إلى ما يتكرر في القافية، تجعل البيت أشبه بوصلة موسيقية متعددة النغم، مختلفة الألوان، يستمتع فيها من له دراية بهذا الفن ويرى فيها المهارة والمقدرة»[٢]. وعن طريق التقسيم يستطيع يمكن للشاعر أن يوجز الحديث ويكثفه ويلخصه، يقول ابن القيسراني :

محيّاه والبشرى، ويمناه والنّـدى ونجواه والدّنيا، وتقواه والزُّهـد

ففي قربه الزلفى، وفي وعده الغنى وفي نيله الحسنى، وفي رأيه الرشد[٣]

فقد نظم صفات ممدوحه بأقل ألفاظ ممكنة، ويقول محاكيا تقسيم أبي الطيب «للسبي مانكحوا ...» :

فلا تخف بعدها الإفرنج قاطبـةً فالقوم إن نفروا ألوى بهم نفـر

إن قاتلوا قتلوا، أو حاربوا حربوا أو طاردوا طردوا، أو حاصروا حصروا[٤]

واستخدام ابن القيسراني في البيت الثاني للتقسيم وتكراره للألفاظ منح النص إيقاعاً موسيقياً ملائماً للموضوع الذي يتناوله.

ومن أمثلة التقسيم عند ابن عنين قوله :

قومٌ ترى المجد في أبياتهم زمـراً فالمجد يحزن والأموال تنتهب

صيدٌ إذا انتسبوا سحب إذا وهبوا أسدٌ إذا وثبوا حتفٌ إذا غضبـوا[٥]

ومن التقسيم الجيد عند المتنبي استخدامه لحروف العطف في التقسيم ومن ذلك قوله :

الخيل والليل والبيداء تعرفني والسّيف والرمح والقرطاس والقلم[٦]

---

(١) انظر : ديوان ابن الدهان : ص ٣٩، ٥٥. ديوان العماد الأصفهاني : ص٧٥، ١٤٥، ١٨٩، ٢١٣.
ديوان ابن سناء الملك : ص٢٧١، ٢٩٦. ديوان القاضي الفاضل : ١ : ١٥٠، ١٦٥، ٢٠٠، ٢٠٧، ٣٦٥.

(٢) د. إبراهيم أنيس : موسيقى الشعر، د.م نشر، ط٥ سنة ١٩٨١م : ص٤٥.

(٣) شعر ابن القيسراني : ص١٦٣. انظر أيضاً : ص٥٦، ٦٠، ٨٣، ٩٦، ٩٩، ١٣٤، ١٥٢، ٢٠٣.

(٤) المصدر نفسه : ص٢٠٨.

(٥) ديوان ابن عنين : ص٤٧.

(٦) ديوان أبي الطيب المتنبي : ٣ : ٢٥٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد تنبه الثعالبي إلى هذا التقسيم وسماه بـ «حسن سياقة الأعداد» وعده من محاسن أبي الطيب ومن الظواهر التي تفرد بها[١]. واستفاد من هذا التقسيم تاج الملوك الأيوبي في قوله :

طرفٌ من الخيل يعلو البدر صهوته والغيث والليث والأنعام والعلم[٢]

وأخذ ابن رشيق على أبي الطيب مبالغته في التقسيم، ومن مبالغاته قوله مخاطباً سيف الدولة :

أقل ، أنل ، اقطع ، أحمل ، غلّ ، سلّ ، أعد

زد ، هشّ ، بشّ ، تفضّل ، أدن ، سرّ، صل[٣]

وقوله :

عش ، ابق ، اسم ، سد ، قد ، جد ، مر ، انه ، ره ، فه ، اسر، نل

غظ ، ارم ، صب ، احم ، اغز ، اسب ، رع ، زع ، ده ، له ، اثن ، بل[٤]

وعد ابن رشيق هذا التقسيم في غاية المقت والبغاضة[٥]. وقلد ابن سناء الملك تقسيم أبي الطيب في قوله :

عش ، دم ، تعاظم ، جد ، ترفّع ، سد أوسع ، تفضّل ، أول ، أنعم ، زد [٦]

- الغلو والمبالغة

والمبالغة أن تبلغ بالمعنى أقصى غاياته وأبعد نهاياته، ولا تقتصر في العبارة عنه على أدنى منزلة وأقرب مراتبه[٧] وقد اختلف النقاد القدماء في المبالغة فمنهم من استحسنها وعدها ضرورية للشاعر[٨]، ومنهم من استهجنها،

---

(١) يتيمة الدهر : ١ : ٢١٢

(٢) ديوان تاج الملوك الأيوبي : ص٢٢٩.

(٣) ديوان أبي الطيب المتنبي : ٣ : ٢٨٠.

(٤) المصدر نفسه : ٣ : ٢٨٦.

(٥) العمدة : ١ : ٦١٥.

(٦) ديوان ابن سناء الملك : ص٧١.

(٧) أبو هلال العسكري : كتاب الصناعتين : ص٣٦٥.
انظر : ابن رشيق : العمدة : ١ : ٦٤٩.

(٨) قدامة بن جعفر : نقد الشعر، تحقيق: محمد خفاجي، دار الكتب – بيروت، د.ت : ص٢٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأدخلها في حيز الكذب، واعتبر من يلجأ إليها ليس متمكناً من محاسن الكلام[١]، ويرى ابن رشيق أنّ خير الكلام الحقائق، وإن لم يكن فما قاربها وناسبها[٢]. ويقرر الدكتور طه حسين «أن المبالغة حسنة في الشعر بشرط أن تكون معقولة، يسيغها الذوق، فإذا تجاوزت هذا الحد كانت سخفاً أو هجاءً، وكان من حق الممدوح أن يظن أن مادحه يسخر منه ويستهزئ به»[٣].

ويؤكد ابن رشيق أن المتنبي أكثر الناس غلواً، وأبصرهم فيه همة، حتى لو قدر ما أخلى منه بيتاً واحداً[٤]. وهذا ليس غريباً، فما على شعراء الصراع -كما يرى الدكتور نصرت عبد الرحمن- تثريب إن هولوا، فالناس مذكانوا يهولون في قوتهم خلال الحروب تقوية للروح المعنوية، أو يهولون في خسائر العدو إظهاراً للبطولة وإثباتها[٥].

ومن المؤكد أن المبالغة وجدت عند معظم شعراء العربية الذين سبقوا المتنبي والذين لحقوه، فلا يمكن رد وجود هذه الظاهرة في شعر الحروب الصليبية إلى وجودها في شعر أبي الطيب، ولكن الدارس سيقتصر في الاستدلال على هذه السمة الأسلوبية على أبيات معينة تأثر قائلوها بأبيات محددة للمتنبي، ومن ذلك تصويرهم للممدوح بأنه عالم بأسرار الزمان، وتجاوز علمه حد البشر حتى صار عالماً بالغيب، يقول العماد الأصفهاني مادحاً نور الدين :

مازلت ذا فطنة مؤيّـــدة ... على غيوب الأسرار مطّلعـــا[٦]

ويقول ابن الساعاتي :

عليمٌ بأسرار الزمان محـدث ... بما جلّ في العلياء عن ذمة الفهم

تفلّ شباة الغيب حدّة فهمـه ... وتفهم نعماه مخاطبة الوهـم[٧]

---

(١) أبو هلال العسكري : كتاب الصناعتين : ص٢٨٦. ابن رشيق : العمدة : ١ : ٦٥١.

(٢) ابن رشيق : العمدة : ١ : ٦٦١.

(٣) مع المتنبي : ص٧٧.

(٤) العمدة : ١ : ٦٦٥.

(٥) شعر الصراع مع الروم : ص٣١٠.

(٦) ديوان العماد الأصفهاني : ص٢٨٦.

(٧) ديوان ابن الساعاتي : ٢ : ٢٨٦.

- All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأخذوا هذا المعنى المبالغ فيه من قول أبي الطيب :

تجاوزت مقدار الشجاعة والنّهى إلى قول قوم : أنت بالغيب عالم[١]

ومن مبالغات شعراء هذا العصر غير المقبولة أنهم جعلوا الدهر رهن إشارة أبطال المسلمين، فالأقدار طوع يدي الممدوح تأتمر بأمره، وتنفذ أوامره، وتطيعه في الأعداء، يقول ابن القيسراني مادحاً نور الدين وقد كسر الفرنج سنة ٥٤٥هـ :

ومن ثنت الدنيا إليه عنانهـــا تصرّف فيها شاء عن إذنه الدهـر[٢]

ويقول ابن منير مادحاً نور الدين :

الدّهر أنت ودارك الدّنيا ومـــن في العدّ بعد مؤمّل وحســود

وأزمّة الأقدار طوع يديـــك والـ ـأيّام جندك والأنام عبيـــد [٣]

ويقول عمارة اليمني :

وما الدهر شيء غير ما أنت فاعل وإلاّ فما الليل البهيم وفجـره

فأوصِ بنا صرفيه خيراً فإنّـــه إليك انتهى نهى الزمان وأمره

فإن يفعل الحسنى فأنت دللتـــه عليها وإن يذنب فإنّك عـــذره[٤]

ويقول العماد الأصفهاني مادحاً صلاح وقد فتح القدس سنة ٥٨٣هـ :

جرى بالذي تهوى القضاء وظافرت ملائكة الرحمن أجنادك الحمسا[٥]

ويجعل ابن سناء الملك المقادير خادمة للملك الناصر صلاح الدين، فلا تستطيع أن تغيّر ما يبرمه، ولا أن تبرم ما ينقضه، يقول :

فما يبرم المقدار ما كنت ناقضاً وما ينقض المقدار ما كنت مبرما[٦]

وهم في هذه المبالغات يحاكون قول أبي الطيب مادحاً سيف الدولة :

ويستكبرون الدّهر والدّهر دونه ويستعظمون الموت والموت خادمه[٧]

---

(١) ديوان أبي الطيب المتنبي : ٣ : ٤٢٩.
(٢) شعر ابن القيسراني : ص١٩٤.
(٣) ديوان ابن منير الطرابلسي : ص٢٤١.
(٤) النكت العصرية : ص١١٩.
(٥) ديوان العماد الأصفهاني : ص٢٣٢.
(٦) ديوان ابن سناء الملك : ص٢٧١.
(٧) ديوان أبي الطيب المتنبي : ٣ : ٢٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويقول وقد حرر قلعة الحدث من الروم :

طريدة دهر ساقها فرددتهـــا على الدّين بالخطيّ والدّهر راغم[1]

ومن مبالغاتهم تصويرهم أبطالهم متفردين على غيرهم، ولا مثيل لهم في الشجاعة والأخلاق يقول ابن القيسراني مادحاً نور الدين :

أنت إلا تكن نبياً فما فـــا تك إلا خلائـق الأنبيـــاء

رأفة في شهامـة وعفـــاف في اقتدار وسطوة في حيـــاء[2]

ويقول ابن قسيم الحموي :

هذا الذي بخل الزّمان بمثلـه والمشمخرّ إلى العلا عرنينـه[3]

ويقول عمارة اليميني مادحاً شاور :

ضجر الحديد من الحديد وشاور في نصر آل محمد لم يضجـر

حلف الزمان ليأتينّ بمثلـه حنثت يمينك يا زمان فكفّـر[4]

وأخذوا هذه المبالغات من قول المتنبي في مدح عبيد الله البحتري :

فكن كما أنت يا من لا شبيه لـه أو كيف شئت فما خلق يدانيكا[5]

ومن قوله في مدح بدر بن عمار الأسدي :

فأنـت وحيـد بنـي آدمٍ ولست لفقد نظيرٍ وحيـدا[6]

ولعل قبول المتلقي للمبالغة في المعاني يتوقف على إيمانه باستحقاق الممدوح أو المرثي أو ما عداهما مما يقال فيه.

وهكذا فإن شيوع بعض ألوان البديع كالتقسيم والتكرار والمبالغة والغلو والمقابلة في شعر أبي الطيب المتنبي وشعر غيره من شعراء الحرب في العصر العباسي أدى إلى أن يهتم شعراء عصر الحروب الصليبية بهذه الفنون اقتداءً

---

(١) ديوان أبي الطيب المتنبي : ٣ : ٤٢٤.
(٢) شعر ابن القيسراني : ص٦٠.
(٣) ديوان ابن قسم الحموي : ص١٢١.
(٤) النكت العصرية : ص٧٢.
(٥) ديوان أبي الطيب المتنبي : ١ : ٢٢٤.
(٦) المصدر نفسه : ٢ : ١٢٣.

-All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بشاعر الحرب المثال، ولكنهم توسعوا في استخدامها توسعاً كبيراً مما جعلها سمة شعر العصر.

* تقويم

اتخذت محاكاة شعراء الحروب الصليبية لشعر أبي الطيب المتنبي وصوره وأخيلته وتراكيبه وأسلوبه أوجها عدة، وهي :

١- تضمين شعراء هذا العصر قصائدهم ومقطوعاتهم الشعرية الكثير من عبارات المتنبي وأشطر أبياته، كما ضمّن بعضهم أبياتاً كاملة من أبيات أبي الطيب. وأكثر الشعراء زمن الحروب الصليبية تضميناً لشعر المتنبي، تاج الملوك الأيوبي وأسامة بن منقذ، ويمكن القول إنّ تاج الملوك الأيوبي لم يكتف بالتضمين وإنما كان يغير على أبيات أبي الطيب ويستنسخها استنساخاً، فالقارئ لشعره يجده لا يعبر عن نفسية صاحبه بالقدر الذي يعبر عن شخصيتة صاحب النموذج المتبع.

٢- نقل المعنى من موضوع إلى آخر، وقد اعتبر النقاد مثل هذه الظاهرة نوعاً من السرقة، يقول القاضي الجرجاني «لا يغرك من البيتين المتشابهين أن يكون أحدهما نسيبا، والآخر مديحاً وأن يكون هذا هجاءً، وذاك افتخاراً، فإن الشاعر الحاذق إذا علق المعنى المختلس عدل به عن نوعه وصنفه وعن وزنه ونظمه، وعن رويه وقافيته، فإذا مر بالغبي الغُفْل وجدهما أجنبيين متباعدين، وإذا تأملهما الفطن الذكي عرف قرابة ما بينهما والوصلة التي تجمعهما»[1]. ويقول أبو هلال العسكري : «أو ينقل المعنى المستعمل في صفة خمر فيجعله في مديح، أو في مديح فينقله إلى وصف، إلا أنه لا يكمل لهذا إلا المبرز، والكامل المقدم»[2]. وقد أخذ بعض شعراء الحروب الصليبية بهذه الطريقة فنقلوا بعض معاني المتنبي من الموضوع الذي قيلت فيه إلى

---

(١) الوساطة : ص٢٠٤.

(٢) كتاب الصناعتين : ص١٩٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

موضوع آخر[١].

٣- المعارضات : عارض كثير من شعراء هذا العصر بعض قصائد المتنبي[٢]. ويتضح التقليد المباشر في معارضاتهم لأبي الطيب بشكل واضح، ولا عجب في ذلك فقد كان الشاعر في هذا العصر يهدف إلى معارضة معاني الشاعر المثال مثلما يهدف إلى معارضة الغرض والصور والموسيقى والتراكيب، وكثيراً ما أدت معارضاتهم إلى أخذ معاني المتنبي وتضمين قصائدهم عبارات وأشطر من القصيدة المعارضة. ومما يسترعي الانتباه أن ابن الساعاتي والمهذب ابن الزبير كانا يستفيدان في معارضاتهما من قصيدتين للمتنبي في آن واحد، فقد عارض المهذب ابن الزبير في قصيدته «أقصر - فديتك - عن لومي وعن عذلي ...»[٣] قصيدتي المتنبي :

*أجاب دمعي وما الداعي سوى طلل دعا فلباه قبل الركب والإبل[٤]

*أعلى الممالك ما يبنى على الأسل والطّعن عند محبيهنّ كالقبل[٥]

فأخذ من الأولى المقدمة الغزلية، ومن الثانية موضوع القصيدة. ومما يجدر ذكره أن الباحث لم يعثر لابن الزبير إلا على النموذج السابق الذي أفاد فيه الشاعر من قصيدتين للمتنبي، أما ابن الساعاتي فله غير قصيدة تأثر فيها بقصيدتين لأبي الطيب[٦].

ومن المؤكد أن الشاعر عندما يقلد شاعراً آخر فإنه يقر بتفوق الشاعر المتأثر به، ويعترف بتقدمه عليه، وهو في تقليده يحاول أن يستفيد من أسلوب الشاعر المتبع ونهجه وتراكيبه وصوره، ولكنه قد يحسن الاستفادة وقد يخفق. والدارس لشعر الشعراء المتأثرين بشعر أبي الطيب المتنبي بشيء من التمعن يجد أنه يمكن تقسيم الشعراء المتأثرين إلى قسمين :

---

(١) انظر : ص ٨٠، ٩٧ - ١٠٠، ١٠٣ من هذه الدراسة.
(٢) انظر ملحق (١).
(٣) الخريدة - قسم مصر : ١ : ٢٠٦.
(٤) ديوان أبي الطيب المتنبي : ٣ : ٢٦٧.
(٥) المصدر نفسه : ٣ : ٧٠.
(٦) انظر ملحق (٢).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أولاً - شعراء أخفقوا في الاستفادة بشكل ايجابي من قصائد المتنبي، فجاء شعرهم تشويهاً للنموذج المحتذى، ومن هذه الفئة : تاج الملوك الأيوبي، والملك الأمجد الأيوبي، وعرقلة الكلبي.

ثانياً- شعراء أحسنوا في كثير من قصائدهم في الاستفادة من شعر أبي الطيب، وحاولوا أن يقلدوا أسلوبه ونهجه، وأن يرتقوا بشعرهم نحو الأفضل، فنجحوا في قصائد، وفشلوا في أخرى، ومن الشعراء الذين يمكن تصنيفهم في هذه المرتبة : ابن منير الطرابلسي، وابن القيسراني، والعماد الأصفهاني، وابن سناء الملك، وعبد المنعم الجلياني، وفتيان الشاغوري.

وقد نظم بعضهم قصائد كادت توازي قصائد المتنبي، ومن هذه القصائد، قصيدة ابن القيسراني، ومطلعها :

أبدى السُّلوّ خديعةً للآثـــــم وحنى الضلوع على فؤادٍ هائـم[١]

وقصيدة ابن منير، ومطلعها :

أقوى الضلال وأقفرت عرصاتـه وعلا الهدى وتبلّجت قسماتـــه[٢]

وقصيدة العماد الأصفهاني التي أولها :

أطيب بأنفاسٍ تطيب لكم نفسا وتعتاض من ذكراكم وحشتي أنسا[٣]

وقصيدة ابن سناء الملك ومطلعها :

بدولة الترك عزت ملّة العـرب وبابن أيّوب ذلّت شيعة الصلـب[٤]

وقصيدة فتيان الشاغوري وأولها :

تبنى الممالك بالوشيج الأسمر والبيض تلمع في العجاج الأكدر[٥]

ويجب ألا يغيب عن ذهننا أن استقراء الشاعر لما أنتجه الآخرون بدلاً من أن يستبطن ذاته ويستمد من تجاربه، ثم يعبر تعبيراً مستقلاً صادقاً عن موقفه وعن

---

(١) شعر ابن القيسراني : ص٣٧٧.
(٢) ديوان ابن منير الطرابلسي : ص٢٠٨.
(٣) ديوان العماد الأصفهاني : ص٢٣٠.
(٤) ديوان ابن سناء الملك : ص١.
(٥) ديوان فتيان الشاغوري : ص١٤٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأحداث أو الموضوعات التي يود النظم فيها أدى إلى وجود ازدواجية في التعبير، فالتماس الأداة التعبير من الخارج يجر إلى استعارة الألفاظ والصور التي تتسق مع الحدث من ألفاظ الآخرين وصورهم، وبذلك ينفقد عنصر الصدق الفني في العمل الأدبي لأن التطابق التام في المشاعر والتصورات عند الناس أمر مستحيل[١]. وهذا لا يعني أن ننفي صفة الإبداع في التصوير أو اختراع المعاني وتوليدها عن معظم شعراء هذا العصر، فقد ابتدعوا كثيراً من الصور البديعة[٢] كما أنهم التمسوا اختراع المعاني عن طريق انقداحها لهم من خلال معان سبقوا إليها [٣].

---

(١) د. محمود إبراهيم : صدى الغزو الصليبي في شعر ابن القيسراني : ص١٩٦.

(٢) انظر : د. عبد الجليل عبد المهدي : بيت المقدس في أدب الحروب الصليبية : ص٣٢٤.
د. عادل محمد : شعر ابن القيسراني : ص٥٠٦.

(٣) انظر : د. محمود إبراهيم : صدى الغزو الصليبي في شعر ابن القيسراني : ص٢١١.
د. عبد الجليل عبد المهدي : بيت المقدس في أدب الحروب الصليبية : ص٢٩٢.
د. عادل محمد : شعر ابن القيسراني : ص٥١٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

خاتمة

وهكذا فإن الدارس للشعر زمن الحروب الصليبية يلحظ بكل جلاء غلبة ارتباط شعراء هذا العصر بالموروث الأدبي ارتباطاً وثيقاً، حيث نظروا إليه نظرة إكبار وتقديس حتى غدا التراث الشعري وخاصة الحربي منه النموذج الأفضل، فاتبعوا أقطابه في العصر العباسي، ولم يستطيعوا الفكاك من شعرهم ولا الخروج عليه، وكان أبو الطيب المتنبي من أبرز شعراء الحرب الذين اتبعهم شعراء عصر الحروب الصليبية، فأخذوا عنه طريقته في توضيح معالم شخصية البطل، وتغنوا بمقومات البطولة التي تغنى بها المتنبي من قبلهم كالعزيمة وحصافة التفكير والشجاعة. وتأثروا بتصويره لسيف الدولة وهو يقاتل الأعداء، فرسموا صورة بديعة لأبطالهم : عماد الدين زنكي ونور الدين زنكي وصلاح الدين الأيوبي وهم يقارعون العدو، ولكن الشعر في هذا العصر على الرغم من مواكبته لأحداث العصر ووقائعه إلا أنه لم يجد شعراء موهوبين يستطيعون أن يخلدوا أبطال المسلمين كما خلد المتنبي بطله، فجاءت معظم معاني البطولة وصورها منتزعة من معاني أبي الطيب وصوره، فغدا شعرهم في هذا الميدان صورة عن شعر أبي الطيب، كما جعلوا أبطالهم يعيشون في ظلال صورة سيف الدولة، فمن يقرأ شعر البطولة في هذا العصر وقصائد المتنبي التي يصور فيها بطولة سيف الدولة فإنه لا يلمس فرقاً بين بطل المتنبي وبطل ابن منير وابن القيسراني والعماد الأصفهاني وابن سناء الملك ... فشعراء عصر الحروب الصليبية لم يميزوا أبطالهم عن غيرهم من أبطال المسلمين على الرغم من أن صلاح الدين الأيوبي كان أعظم ممن سبقه بطولة وشجاعة، ففي عهده توحد المسلمون واستعادوا القدس من الصليبيين فكان من الأجدر بشعرائه أن يميزوه عن سيف الدولة وغيره، ويمنحوه المنزلة التي يستحقها، ولكنهم في تمجيدهم له وتخليدهم لانتصاراته لم يستطيعوا أن يستبطنوا ذاتهم، وأن يعبروا تعبيراً نابعاً عن أحاسيسهم تجاه الأحداث التي عاشوها، فالتمسوا التعبير من عند

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المتنبي، وأخذوا معانيه وصوره، فجاءت صورة صلاح الدين انعكاساً لصورة سيف الدولة.

واتبع شعراء هذا العصر نهج أبي الطيب في تصوير المعارك والجيوش، فكانوا يبدؤون وصف المعركة بوصف الجيش الإسلامي، وصوروه جيشاً عظيماً تضيق الأرض به، ويقبل فرسانه على الموت إقبالهم على الحياة، وقلدوا أبا الطيب في تركيزه على الخيل في وصف المعارك، فكانت الخيل عندهم -كما هي عند المتنبي- عنصراً رئيسياً في الحرب وفي بناء القصيدة، فهي التي تنقل المقاتل من موقعة إلى أخرى وفي الوقت نفسه تنقل المتلقي من صورة إلى صورة، ولكن أبا الطيب كان أكثر دقة في توظيف حركة الخيل فنياً، فهي عنده دائمة الحركة، وبحركتها تتطور القصيدة وتنمو، أما شعراء عصر الحروب الصليبية فلم يستطيعوا بلوغ ما بلغه المتنبي من توظيف حركة الخيل في بناء القصيدة، وأخذ شعراء هذا العصر عن المتنبي طريقته في تصوير جيش الأعداء، فعمدوا إلى أسلوب المقابلة الذي عرف به أبو الطيب فوصفوا جيش الصليبيين قبل المعركة ثم صوروه وقد أثخن بالجراح ومني بالهزيمة.

ولم يقتصر تأثر شعراء هذا العصر على شعر المتنبي الحربي، وإنما أخذوا كثيراً من معانيه في الفخر، فافتخروا ببعض الصفات التي تغنى بها أبو الطيب في شعره كإباء الضيم وطلب المجد والفروسية والتعصب للعروبة، كما استفادوا من طريقته في التعامل مع الممدوح، فحاولوا أن يتوحدوا مع ممدوحيهم، وأن يعاملوهم معاملة الند والصديق كما فعل المتنبي من قبلهم، ولعل افتخارهم بشعرهم من أبرز معاني الفخر التي أخذوها عن أبي الطيب، فقد احتذوا حذوه في افتخاره بشعره، فأعلوا من قيمة شعرهم معنى وفناً. وأخذ بعضهم عن المتنبي أسلوبه في العتاب حيث تجاوزوا الحد في العتاب حتى كادوا يبلغون الهجاء والتحدي. كما أخذوا عنه بعض معانيه في الغزل، ونقلوا بعض عباراته في غير الغزل واستخدموها في نسيبهم وغزلهم. وساروا على نهج أبي الطيب في

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

موضوع الرثاء، فجاء رثاؤهم على طريقتين. صوروا في الأولى ما أصابهم من أسى وألم لفقد المتوفى وبينوا منزلة الميت وأخلاقه، وعمدوا في الطريقة الثانية إلى توضيح رؤيتهم للموت والحياة.

وارتد شعراء عصر الحروب الصليبية بأبصارهم إلى أسلوب أبي الطيب في بناء قصائده الحربية، فساروا على نهجه في بناء قصائدهم، فتخلوا عن المقدمات الغزلية، وولجوا إلى مقدمات ملائمة للموضوع، وأخذوا عن المتنبي إعلاءه من شأن القوة، والحديث عن نتيجة المعركة وتعظيم القائد في مستهل قصائده. كما قلدوا أسلوبه في التخلص إلى المدح أو موضوع القصيدة، كما تأثروا بخواتيمه، فاختتموا قصائدهم بأبيات من الحكمة، وتعظيم البطل والإعلاء من منزلته والدعاء له بأن يمده الله بالقوة.

واستفاد شعراء هذا العصر من طريقة المتنبي في بناء صوره الشعرية، فأخذوا عنه كثيراً من تشبيهاته واستعاراته وكناياته، كما تأثروا بأسلوبه في تشكيل الصورة الشعرية، فركزوا على تصوير أماكن الصراع، ووظف بعضهم المكان في صورهم توظيفاً فنياً، واهتموا بعنصر الحركة في صورهم اهتماماً بالغاً، فجاءت صورهم -كصور المتنبي- نابضة بالحياة ومليئة بالحركة، كما ركزوا في صورهم على الصور المفزعة التي ولع بها أبو الطيب، كما أخذوا عن المتنبي اعتماده على البرهان العقلي في كثير من صوره، وجاءت صورهم الذهنية التجريدية خالية من عنصر الخيال، ولا غرابة في ذلك فمثل هذه الصور عقلانية تهدف إلى الإقناع لا التأثير.

وتأثر شعراء عصر الحروب الصليبية بلغة أبي الطيب وأسلوبه، فلاءموا بين مفرداتهم اللغوية وموضوع القصيدة، وتأثروا بمعجم المتنبي اللغوي، فاستعملوا ألفاظاً أكثر أبو الطيب من استعمالها في شعره، وأخذوا عنه استخدامه ألفاظ الغزل في الحرب، وظهرت هذه الظاهرة بكل جلاء في شعرهم، كما تأثروا ببعض الظواهر الأسلوبية التي عرف بها المتنبي كظاهرة تكرار الألفاظ والمعاني والصور، وظاهرة التقسيم وظاهرة المبالغة وظاهرة المقابلة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن المؤكد أن تأثر شعراء عصر الحروب الصليبية عامة وشعراء الجهاد خاصة بأبي الطيب المتنبي لم يأت بشكل عفوي، وإنما جاء عن وعي وقصد، ويبدو أنهم شعروا أن أمتهم تواجه حملات صليبية حاقدة شرسة تهدف إلى اقتلاعهم من جذورهم، والقضاء على دينهم وتراثهم الأدبي واللغوي فرأوا ضرورة المحافظة على دينهم فأكثروا من الاستشهاد بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية في شعرهم، ورأوا أن يحتفظوا للأدب العربي بشخصيته العربية ومقوماته الأصلية فعمدوا إلى تقليد أبي الطيب -الذي كان أكثر شعراء عصره تعصباً للعروبة- ومحاكاته ومعارضة قصائده إيماناً منهم بأن هذا النهج سيحافظ على الموروث الأدبي العربي الإسلامي.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ملحق (١)

فيما يلي مطالع القصائد التي عارض فيها قائلوها قصائد للمتنبي، وأفادوا من قصائد النموذج المثال إفادة كبيرة، وقد رتبت هجائياً حسب قصائد المتنبي:

(١) قصيدة المتنبي التي أولها :

منًى كنَّ لي أن البياض خضاب فيخفى بتبييض القرون شباب

(الديوان : ٤ : ١٤٦)

عارضها شرف الدين الأنصاري، مطلع قصيدته :

مشيب زار في شرخ الشّباب حسبت به صبابي من التّصابي

(الديوان : ص٧٥)

(٢) قصيدة المتني التي مطلعها :

من الجآذر في زيّ الأعاريب حمر الحلى والمطايا والجلابيب

(الديوان : ٤ : ٤١)

عارضها :

أ- علي بن عرام، ومطلع قصيدته :

أرقت لبرقٍ في الدّجنّة مشبوب ودمع سحابٍ ناشئٌ منه مسكوب

(الخريدة - قسم مصر : ٢ : ١٦٩)

ب- الشاب الظريف، ومطلع قصيدته

قف بالرّكائب أو سقها بترتيب عسى تسير إلى الحيّ الأعاريب

(الديوان : ص٥٥)

جـ- شرف الدين الأنصاري، عارضها بثلاث قصائد :

لولا مغازلة البيض الرعابيب غالبت هزلي بجدٍّ غير مغلوب

لك الهناء بملك غير مسلوب ونيل كلّ المنى من كلّ مطلوب

بك افتخر الأملاك من آل أيّوب وعندك نالوا في العلا كلّ مطلوب

(الديوان : ص٦٩، ٧٣، ٧٧)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(٣) قصيدة المتنبي التي أولها :

حسم الصلح ما اشتهته الأعادي وأذاعته ألسن الحســـــاد

(الديوان : ٤ : ٩٠)

عارضها العماد الأصفهاني بقصيدة أوّلها :

هل لعاني الهوى من الأسر فاد أو لساري ليل الصبابة هــاد

(الديوان : ص١٢٣)

(٤) قصيدة المتنبي التي مطلعها :

أحاد أم سداس في أحـــاد ؟ لييلتنا المنوطة بالتنـــاد

(الديوان : ١ : ٢٩٨)

عارضها ابن الخياط بقصيدة مطلعها :

أمني النّفس وصلاً من سعـــاد وأين من المنى درك المـراد ؟

(الديوان : ص٢٣)

(٥) قصيدة المتنبي التي أولها :

أيا خدّ اللّه ورد الخدود وقدّ قدود الحسان القــدود

(الديوان : ١ :١٩١)

عارضها هبة الله المعري بقصيدة مطلعها :

لمن طلل بأعالـــي زرود معاهدة ما ثلاث العهـــــود

(الخريدة - قسم الشام : ٢ : ٥٠)

(٦) قصيدة المتنبي التي مطلعها :

سر حلّ حيث تحلّه النـــوار وأراد فيك مرادك المقـــدار

(الديوان : ٣ : ٧٩)

عارضها :

أ- ابن منير الطرابلسي، مطلع قصيدته :

هيهات يعصم من أردت حـذار أنّى ومن أو هاقـــك الأقـــدار

(الديوان : ص٢٢٣)

ب- ابن القيسراني بقصيدة أولها :

هذا الذي ولدت له الأفكـــار وتمخّضت فألاً به الأشعـــار

(شعر ابن القيسراني : ص١٩٩)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(٧) قصيدة المتنبي التي مطلعها :

أطاعن خيلاً من فوارسها الدهـــر وحيداً وما قولي كذا ومعي الصبر

عارضها ابن القيسراني بقصيدة أولها :

دعا ما ادّعى من غره النهى والأمـر فما الملك إلاّ ما حباك به القهـــر

(شعر ابن القيسراني : ص١٩٤)

(٨) قصيدة المتنبي التي أولها :

غيري بأكثر هذا الناس ينخـدع إن قاتلوا جبنوا أو حدثوا شجعوا

(الديوان : ٣ : ١٧٥)

عارضها ابن الدهان الموصلي بقصيدة مطلعها :

ظبى المواضي وأطراف القنا الذّبل ضوامن لك ما حازوه من نفـــل

(الديوان : ص٧٠)

(٩) قصيدة المتنبي التي مطلعها :

هو البين حتّى ما تأتى الخرائق ويا قلب حتّى أنت ممن أفـــارق

(الديوان : ١ : ٢٦٩)

عارضها ابن الدهان الموصلي بقصيدة أولها :

أيرجع عصرٌ بالجزيرة رائـــق تقضّى وأبقى حسرةً ما تفـــارق

(الديوان : ص٢٢٦)

(١٠) قصيدة المتنبي التي أولها :

بكيت يا ربع حتّى كدت أبكيكـا وجدت بي وبدمعي فبي مغانيكا

(الديوان : ١ : ٢٢١)

عارضها :

أ- ابن الدهان الموصلي بقصيدة مطلعها :

أما كفاك تلافي في تلافيكـــا ولست تنقم إلاّ فرط حبيكـــا

(الديوان : ص٢١٩)

ب- ابن سناء الملك بقصيدة مطلعها :

نحافة الغصن غيظ من تثنّيكا وجملة الهجر جزءٌ من تجنّيكـا

(الديوان : ص٢١٩، ٢١٢)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(١١) قصيدة المتنبي التي مطلعها :

نعد المشرفية والعوالـــي وتقتلنا المنون بلا قتـــال

(الديوان :٣ : ٣٩)

عارضها :

أ- تاج الملوك الأيوبي بقصيدة أولها :

ألم تر أن أحداث الليالـــي أبحن بجورهنّ حمى المعالي ؟

(الديوان : ص٢٠٥)

ب- ابن سناء الملك بقصيدة أولها :

صحّ من دهرنا وفاة الحيـــاء فليطل منكما بكاء الوفـــاء

(الديوان : ص٤٩١)

(١٢) قصيدة المتنبي التي مطلعها :

ما أجدر الأيام والليالـــي بأن تقول ماله ومالـــي ؟

(الديوان :٤ : ٣٩١)

عارضها ابن سناء الملك بقصيدة مطلعها :

ما ضرّ من أهدى إليّ الخيال لو أنّه أهدى إليّ الخيـــال

(الديوان : ص٢٢٧)

(١٣) قصيدة المتنبي التي مطلعها :

إلام طماعيـــة العـــاذل ولا رأي في الحبّ للعاقـــل

(الديوان : ٣ : ٥٦)

عارضها ابن القيسراني بقصيدة مطلعها :

أما آن أن يزهق الباطـــل وأن ينجز العدة الماطـــل

(شعر ابن القيسراني : ص٣٣٣)

(١٤) قصيدة المتنبي التي مطلعها :

ليالي بعد الظاعنين شكـول طوال وليل العاشقين طويـل

(الديوان : ٣ : ٣٣٠)

عارضها وأفاد منها عدد من الشعراء، وهم :

أ- ابن منير الطرابلسي، مطلع قصيدته :

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لعلائك التأييد والتأميـــل ولملك التأبيد والتكميـــل

(الديوان : ص٢٣٨)

ب- ابن القيسراني، مطلع قصيدته :

أما وخيالٍ زار ممّن أحبّـه لقد هاج من ذكراه مالا أغبُّـهُ

(شعر ابن القيسراني : ص٧٦)

جـ- ابن الدهان الموصلي، مطلع قصيدته :

سيف يجفنك مغمد مسلول ماضٍ على العشّاق وهو كليل

(الديوان : ص٨٦)

د- تاج الملوك الأيوبي، مطلع قصيدتيه :

طلاب المعالي ما إليه سبيـل بغير العوالي والنفوس تسيـــل

ألا هل لأيام الوصال وصـــول (وهل عند ذي الوجه الجميل جميل)

(الديوان : ص٢٠٢، ١٩٩)

هـ- ابن الساعاتي ومطلع قصيدته :

ألمّت سليمى والنسيم عليـل فخيّل لي أن الشمال شمـــول

(الديوان : ١ : ٥٠)

(١٥) قصيدة المتنبي التي مطلعها :

فؤادٌ ما تسلّيـه المـــدام وعمر مثل ما يهب اللئـــام

(الديوان : ١ : ٣٥٦)

عارضها فتيان الشاغوري بقصيدتين :

ألحظك حزّ قلبي أم حســام ولفظك حاز ليّ أم كـــلام

أقرِ نجداً ومن بنجدٍ سلامـي إنّ نجداً مأوى غريم غرامـــي

(الديوان : ص٣٩٥، ٤٠٠)

(١٦) قصيدة المتنبي التي مطلعها :

على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم

(الديوان : ٣ : ٤٢٠)

عارضها عدد من الشعراء، وهم :

أ- ابن القيسراني، مطلع قصيدته :

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هذي العزائم لا ما تدّعي القضب وذي المكارم لا ما قالت الكتـــب

(شعر ابن القيسراني ص١٥٢)

ب- ابن قسيم الحموي، مطلع قصيدته :

بعزمك أيّها الملك العظيـــم تذلّ لك الصّعاب وتستقيـــم

(الديوان : ١٠١)

حـ-طلائع بن رزيك، مطلع قصيدته :

ألا هكذا في الله تمضي العزائم وتمضي لدى الحرب السّيوف الصوارم

(الديوان : ص١٣٥)

د- أسامة بن منقذ، مطلع قصيدته :

لك الفضل من دون الورى والمكـــارم فمَن حاتم، ماناال ذا الفخر حاتـــم

(الديوان : ص٢٢٤)

هـ- عمارة اليمني، مطلع قصيدته :

فما استنشقت ريح الصباح خياشـــم من القوم إلاّ والقنا في الخياشم

(النكت العصرية : ص٣٣٥)

و- ابن سناء الملك، مطلع قصيدته :

أمجلس لهوي ليس لي منك مجلس لأوحشت لمّا غاب لي عنك مؤنس

(الديوان : ص١٧٢)

ز- الشاب الظريف، مطلع قصيدته :

إذا أبعدوا وافوك أسرى وإن دنـوا لغزوك وافتهم قناً وصـــــوارم

(الديوان : ص٢٠٧)

(١٧) قصيدة المتنبي التي مطلعها :

عقبى اليمين على عقبى الوغى ندم ماذا يزيدك في إقدامك القســـم

(الديوان : ٣ : ٥٤٣)

عارضها ابن القيسراني بقصيدة مطلعها :

الحق مبتهج والسيف مبتســم ومال أعدا مجير الدين مقتســـم

(شعر ابن القيسراني : ص٢٧٤)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(١٨) قصيدة المتنبي التي مطلعها :

ملام النوى في ظلمها غاية الظلم لعلّ بها مثل الذي بي من السقم

(الديوان : ١ : ٢٨٢)

عارضها :

أ- ابن الخياط بقصيدة مطلعها :

أيا بين ما سلّطت إلاّ على ظلمي ويا حبّ ما أبغيت منّي سوى الوهم

(الديوان : ص١٠)

ب- ابن الساعاتي بقصيدة مطلعها :

سرى وعقود الأفق منثالة النظم فكانت يداً مشكورة ليد الحلم

(الديوان : ٢ : ٢٨٤)

(١٩) قصيدة المتنبي التي مطلعها :

واحرّ قلباه ممن قلبه شبم ومن بجسمي وحالي عنده سقم

(الديوان : ٣: ٢٤٧)

عارضها :

أ- أسامة بن منقذ، مطلع قصيدته :

ولوا فلمّا رجونا عدلهم ظلموا فليتهم حكموا فينا بما علموا

(الديوان : ص٤٠)

ب- عمارة اليمني، له قصيدتان :

يا خير معتصب بالتاج منتصب ترضى المكارم عن يوميه والأمم

أيا أذن الأيام إن قلت فاسمعي لنفثه مصدور وأنّة موجع

(النكت العصرية: ص٣٥٥، ٢٨٧)

حـ- تاج الملوك الأيوبي، مطلع قصيدته :

في سقم جفنيك ما يشفى به السّقم وفي اللمى منك ما ينفى به الألم

(الديوان : ص٢٢٧)

د- الملك الأمجد الأيوبي، مطلع قصيدته :

أهل الهوى بالذي أهواه قد علموا إن كان حقّاً فتعذيبي بهم نعم

(الديوان : ص٢٨٩)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هـ- فتيان الشاغوري، مطلع قصيدته :

تظلّموا وهم عقّوا وهم ظلمـــــوا لمّا سعوا لاسعت يوماً بهم قــدم

(الديوان : ص٤٣١)

(٢٠) قصيدة المتنبي التي مطلعها :

ألا لا أري الأحداث حمداً ولا ذمّـاً فما بطشها جهلاً ولا كفّها حلما

(الديوان : ٢ : ٢٥٧)

أفاد منها ابن الساعاتي في قصيدته التي مطلعها :

أعيا وقد عاينتم الآية العظمى لأيّة حالٍ تدخر النثر والنّظما

(الديوان : ٢ : ٣٨٥)

(٢١) قصيدة المتنبي التي مطلعها :

الرأي قبل شجاعة الشجعـــــان هو أوّل وهي المحل الثّانـــي

(الديوان : ٣ : ٥٢٨)

عارضها العماد الأصفهاني بقصيدة مطلعها :

عقدت بنصرك راية الإيمـــــان وبدت لعصرك آية الإحســان

(الديوان : ص٤١٠)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ملحق (٢)

فيما يلي مطالع القصائد التي عارض فيها قائلوها قصيدتين للمتنبي في آن واحد، وقد رتبت هجائياً حسب قصائد المتنبي :

(١) قصيدتا المتنبي :

أجاب دمعي وما الداعي سوى طلل　　دعا فلبّاه قبل الركب والإبـــل

(الديوان :٣ :٢٦٧)

أعلى الممالك ما يبنى على الأسـل　　والطّعن عند محبيهنّ كالقبـــل

(الديوان : ٣ : ٧٠)

عارضهما :

أ- المهذب بن الزبير، مطلع قصيدته :

أقصر - فديتك- عن لومي وعن عذلي　　أو لا فخذ لي أماناً من يد المقل

(الخريدة - قسم مصر : ١ :٢٠٦)

ب-ابن الساعاتي، وله قصيدتان :

ليست قدوداً ولكن هذه أســـل　　وتلك بيضٌ ومن أسمائها المقل

(الديوان : ٢ : ٣٥١)

ما بعد لقياك للعافين من أمـــلٍ　　ملك الملوك وهذي دولة الـدول

(الديوان : ٢ : ٣٨٣)

(٢) قصيدتا المتنبي :

دروع لملك الروم هذي الرسائل　　يردّ بها عن نفسه ويشاغـــــل

(الديوان : ٣ : ٣٩٠)

لك يا منازل في القلوب منـــازل　　أقفرت أنت وهنّ منك أواهـــل

(الديوان : ٢ : ٢٧٠)

عارضها ابن الساعاتي بقصيدتين :

واحور في عينيه هاروت بابـــلٍ　　رمى فاتقينا نبله بالمقاتـــــل

(الديوان : ٢ : ٢٧)

نعم هذه آثارهم والمنـــــازل　　وإن لا مني فيها نصيح وعـادل

(الديوان : ٢ : ٣١٠)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(٣) قصيدتا المتنبي :

أنا لائمي إن كنتُ وقت اللوائـــم علمت الذي بي بين تلك المعالـم

(الديوان : ٢ :٣٩٤)

على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكـارم

(الديوان : ٣ : ٤٢٠)

عارضهما ابن الساعاتي بقصيدتين :

فؤاد أطاع الوجد بين المعالـــم وطرفٌ عصى غير الدموع السواجم

(الديوان : ١ : ٢٠١)

سقى دمع عيني لا دموع الغمائم مواقف نعمٍ بين تلك المعالـــم

(الديوان : ٢ : ١٣٨)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

إبراهيم أنيس : - موسيقى الشعر، د.م.ن، ط٥ سنة ١٩٨١م.

إبراهيم أنيس : -دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية- القاهرة، ط١ سنة ١٩٥٨م.

إبراهيم عوض : لغة المتنبي - دراسة تحليلية، مطبعة الشباب - القاهرة، د.ط سنة ١٩٨٧م.

الأبيوردي : محمد بن أحمد بن إسحاق (ت ٥٠٧هـ).

ديوان الأبيوردي، تحقيق د. عمر الأسعد، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط٢ سنة ١٩٨٧م.

ابن الأثير : "ضياء الدين" (ت ٦٣٧هـ).

- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، قدّمه وحققه وعلق عليه : أحمد الحوفي، وبدوي طبانة، مكتبة نهضة مصر- القاهرة، ط١ سنة ١٩٥٩م.

ابن الأثير : - الوشي المرقوم في حل المنظوم، تحقيق : د. جميل سعيد، المجمع العلمي العراقي، د. ط، سنة ١٩٨٩م.

ابن الأثير : "عز الدين" (ت ٦٣٠هـ).

- الكامل في التاريخ، راجعه : د. محمد الدقاق، دار الكتب العلمية - بيروت ط١ سنة ١٩٨٧م.

ابن الأثير : - التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية بالموصل، تحقيق عبد القادر طليمات، دار الكتب الحديثة - القاهرة سنة ١٩٦٣م.

إحسان عباس : - تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار الشروق - عمان، د.ط سنة ١٩٨٦م.

إحسان عباس : - فن الشعر، دار الشروق - عمان، ط.٤ سنة ١٩٨٧م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أحمد بدوي : - الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام، دار النهضة، القاهرة، ط٢، د.ت.

أحمد بدوي : - الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام، دار النهضة - القاهرة، د.ط، د.ت.

أحمد الشياب : أصول النقد الأدبي، مكتبة النهضة المصرية، ط٧ سنة ١٩٦٤م.

أرشيبالد مسكليش: الشعر والتجربة، ترجمة سلمى الجيوسي، دار اليقظة الفكرية- بيروت ، د.ط، سنة ١٩٦٣م.

أسامة بن منقذ : -الاعتبار، تحقيق: قاسم السامرائي، دار الأصالة-الرياض (ت ٥٨٤هـ) د.ط سنة ١٩٨٧م.

أسامة بن منقذ : - البديع في نقد الشعر، تحقيق أحمد بدوي وحامد عبد المجيد، وزارة الثقافة - مصر، د.ط سنة ١٩٦٠م.

أسامة بن منقذ : - ديوان أسامة بن منقذ، تحقيق أحمد بدوي وحامد عبد المجيد، دار الكتب - مصر، د.ط، د.ت.

الأصمعي : الأصمعيات، تحقيق وشرح أحمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف - مصر ط٣.

الأمجد الأيوبي : مجد الدين بهرام شاه الأيوبي عرف بـ «الملك الأمجد» (ت٦٢٨ هـ).

ديوان الملك الأمجد الأيوبي، دراسة وتحقيق : د. ناظم رشيد، وزارة الأوقاف - العراق، د.ط سنة ١٩٨٣م.

الأنطاكي : يحيى بن سعيد الأنطاكي.

تاريخ يحيى بن سعيد الأنطاكي، المعروف بصلة تاريخ أوتيجا، تحقيق : عمر تدمري، طرابلس- لبنان، د. ط سنة ١٩٩٠م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

البحتري : ديوان البحتري، تحقيق : حسن الصيرفي، دار المعارف، د.ط، سنة ١٩٦٣م.

بدر الدين بن قاضي شهبة :

الكواكب الدرية في السيرة النورية، تحقيق د. محمود زايد، بيروت، د.ط سنة ١٩٧١م.

بشار بن برد : ديوان بشار بن برد، جمعه وشرحه : محمد عاشور، الشركة التونسية للتوزيع، د.ط، سنة ١٩٧٦م.

البغدادي : عبد القادر بن عمر البغدادي (ت ١٠٩٣ هـ).

خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، المطبعة السلفية - القاهرة، د.ط سنة ١٣٤٨هـ.

البنداري : الفتح بن علي : سنا البرق الشامي، مختصر كتاب البرق الشامي للعماد الأصفهاني، تحقيق : فتحية النبراوي، مكتبة الخانجي - مصر، د.ط سنة ١٩٧٩م.

بهاء الدين زهير (ت ٦٥٦هـ) :

ديوان بهاء الدين زهير، دار صادر - بيروت، د.ط سنة ١٩٦٤م.

البوصيري، شرف الدين أبو عبد الله محمد بن سعيد البوصيري (ت ٦٩٦هـ):

ديوان البوصيري، تحقيق : محمد سيد كيلاني، مطبعة الحلبي - مصر ط٢ سنة ١٩٧٣م.

تاج الملوك الأيوبي، مجد الدين بوري بن أيوب (ت ٥٧٩هـ) :

ديوان تاج الملوك الأيوبي، تحقيق ودراسة : د. محمد عبد الحميد سالم، هجر للطباعة والنشر - مصر، ط١ سنة ١٩٨٨م.

التبريزي : شرح القصائد العشر، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة صبيح - مصر، ط١ سنة ١٩٦٢م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ابن تغري بردي، أبو المحاسن جمال الدين يوسف بن تغري بردي (ت ٨٧٤هـ) :

النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، طبعة القاهرة، د.ط سنة ١٣٥١هـ

أبو تمام : ديوان أبي تمام، شرحه : الخطيب التبريزي، تحقيق : محمد عزام، دار المعارف، مصر، ط٣ سنة ١٩٧٦م.

الثعالبي : أبو منصور عبد الملك بن حمدان النيسابوري (ت٤٢٩هـ).

يتيمة الدهر في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة - القاهرة، ط٢ سنة ١٩٥٦م.

جابر عصفور : الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، دار التنوير - بيروت، ط٢ سنة ١٩٨٣م.

الجرجاني : عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) :

أسرار البلاغة، تحقيق : أحمد المراغي، مطبعة الاستقامة، القاهرة، د.ط، د.ت.

الجرجاني : علي بن عبد العزيز الجرجاني، المعروف بالقاضي الجرجاني (ت ٣٩٢هـ).

الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق وشرح : محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي البجاوي، دار القلم - بيروت، د.ط، د.ت.

الجلياني : عبد المنعم محمد بن حسان الأندلسي الجلياني (ت ٦٠٣هـ).

- مناقح الممادح وروضة المآثر والمفاخر في خصائص الملك الناصر، مخطوط، ميكروفيلم، الجامعة الأردنية رقم ١٩٩.

الجلياني : - ديوان المبشرات والقدسيات، جمع وتحقيق د. عبد

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الجليل عبد المهدي، دار البشير - عمان سنة ١٩٨٩م.

ابن الجوزي شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قزا وغلي (ت ٦٥٤هـ) :

مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، نشرة : حيدر آبد، د.ط سنة ١٩٥٠م.

الحاتمي : أبو علي محمد بن الحسن الحاتمي (ت ٣٨٨هـ).

الرسالة الموضحة في ذكر سرقات أبي الطيب المتنبي وساقط شعره، تحقيق : محمد يوسف نجم، دار صادر - بيروت، د.ط سنة ١٩٦٥م.

ابن حجة الحموي: تقي الدين أبو بكر علي (ت٨٣٧هـ).

خزانة الأدب وغاية الأرب، مطبعة بولاق، د. ط سنة ١٨٧٤م.

حسن عباس : أسامة بن منقذ- حياته وآثاره، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الاسكندرية، د.ط ، د.ت.

حسن قرعاوي : الحكمة في شعر المتنبي، دار عمار - عمان، ط١ سنة ١٩٨٦م.

الحنبلي : أبو اليمن، مجير الدين عبد الرحمن بن محمد المقدسي (ت ٩٢٨) الأنسي الجليل بتاريخ القدس والخليل، منشورات المطبعة الحيدرية - النجف الأشرف سنة ١٩٦٨م.

حسين الواد : المتنبي والتجربة الجمالية عند العرب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر - تونس، ط١ سنة ١٩٩١م.

ابن خلدون : عبد الرحمن بن خلدون الحضرمي المغربي (ت ٨٠٨هـ) تاريخ ابن خلدون - كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت، د.ط ١٩٧١م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ابن خلكان : شمس الدين أبو العباس أحمد بن إبراهيم الشافعي البرمكي (ت ٦٨١هـ) .

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق : د. إحسان عباس، دار صادر - بيروت سنة ١٩٧٨م.

ابن الخياط : أبو عبيد الله أحمد بن محمد التغلبي (ت ٥١٧هـ).

ديوان ابن الخياط، تحقيق : خليل مردم بك، دار صادر - بيروت، ط٢ سنة ١٩٩٤م.

ابن الدهان الموصلي : عبد الله بن أسعد (ت ٥٨٠هـ).

ديوان ابن الدهان الموصلي، تحقيق : عبد الله الجبوري، مطبعة المعارف، بغداد، ط١ سنة ١٩٦٨م.

ابن رشيق القيرواني (ت ٤٥٦هـ).

العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق : محمد قرقزان، دار المعرفة - بيروت ، ط١ سنة ١٩٨٨م.

رنسيان، ستيفنس: تاريخ الحروب الصليبية، نقله إلى العربية السيد الباز العريني، دار الثقافة - بيروت، ط١ سنة ١٩٦٨م.

رينيه ويليك : مفاهيم نقدية، ترجمة : محمد عصفور، سلسلة عالم المعرفة رقم (١١٠) شباط ١٩٨٧م.

رينيه ويليك وأوسن وارن

نظرية الأدب، ترجمة محيي الدين صبحي، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب - دمشق سنة ١٩٧٢م.

الزركلي خير الدين الزركلي .

الأعلام، دار العلم للملايين - بيروت، ط٦ سنة ١٩٨٤م.

زكي المحاسني : شعر الحرب في أدب العرب في العصرين الأموي والعباسي إلى عهد سيف الدولة، دار الفكر العربي - القاهرة، د.ط سنة ١٩٤٧م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

زكي المحاسني : - المتنبي، دار المعارف - مصر، د.ط سنة ١٩٦١م.

زهدي الخواجا : موازنة بين الحكمة في شعر المتنبي والحكمة في شعر أبي العلاء، دار صبري - الرياض، ط٢ سنة ١٩٩٤م.

ساسين عساف : الصورة الشعرية ونماذجها في إبداع أبي نواس، المؤسسة الجامعية - بيروت، د.ط سنة ١٩٨٢م.

ابن الساعاتي : بهاء الدين علي بن رستم الخراساني (ت ٦٠٤هـ).

ديوان ابن الساعاتي، تحقيق أنيس المقدسي، الجامعة الأمريكية- بيروت، د.ط سنة ١٩٣٨م.

سعاد المانع : سيفيات المتنبي - دراسة نقدية للاستخدام اللغوي، عمادة شؤون المكتبات - جامعة الرياض - السعودية ط١ سنة ١٩٨١م.

سعد شلبي : مقدمة القصيدة عند أبي تمام والمتنبي، مكتبة غريب، د.ط سنة ١٩٧٧م.

سعيد عاشور : الحركة الصليبية - صفحة مشرقة من تاريخ الجهاد العربي في العصور الوسطى، ج٢، مكتبة الأنجلو المصرية، ط٢ سنة ١٩٧٦م.

ابن سناء الملك (ت ٦٠٨هـ) :

ديوان ابن سناء الملك، تحقيق : محمد إبراهيم نصر، مراجعة : حسين نصار، دار الكتاب العربي - القاهرة، د.ط سنة ١٩٦٩م.

الشاب الظريف، شمس الدين محمد بن عفيف التلمساني (ت ٦٨٨هـ)

ديوان الشاب الظريف، تحقيق : شاكر هادي شكر، مكتبة النهضة العربية بيروت، ط١ سنة ١٩٨٥م.

ابن شاكر الكتبي: فوات الوفيات، تحقيق : إحسان عباس، دار صادر - بيروت سنة ١٩٧٤م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أبو شامة المقدسي: شهاب الدين أبو محمد الدمشقي (ت ٦٦٥هـ).

- كتاب الروضتين في أخبار الدولتين : النورية والصلاحية، ج١، تحقيق : محمد حلمي أحمد، لجنة التأليف والترجمة - القاهرة سنة ١٩٥٦م، ١٩٦٢م.

أبو شامة المقدسي: - كتاب الروضتين في أخبار الدولتين : النورية والصلاحية، ج١، ج٢ دار الجيل - بيروت، د.ت.

أبو شامة المقدسي: - تراجم رجال القرنين السادس والسابع، المعروف بالذيل على الروضتين، دار الجيل - بيروت، ط٢ سنة ١٩٧٤م.

ابن شداد : بهاء الدين ابن شداد (ت ٦٣٢هـ).

النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، المعروف بسيرة صلاح الدين، تحقيق : جمال الشيال، الدار المصرية للتأليف والترجمة، د.ط سنة ١٩٦٤م.

شرف الدين الأنصاري (ت ٦٦٢هـ) :

ديوان الصاحب شرف الدين الأنصاري، تحقيق : عمر موسى باشا، المطبعة الهاشمية - دمشق، د.ط سنة ١٩٦٧م.

شوقي ضيف : عصر الدول والإمارات - الشام، دار المعارف - القاهرة، ط٢ سنة ١٩٩٠م.

ابن طباطبا : محمد بن أحمد العلوي (ت ٣٢٢هـ).

عيار الشعر، تحقيق : طه الحاجري ومحمد زغلول سلام، القاهرة، د.ط سنة ١٩٥٦م.

الطبري : تاريخ الطبري، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف - القاهرة، ط٤ سنة ١٩٧٩م.

طلائع بن رزيك : أبو الغارات الملك الصالح (ت ٥٥٦هـ)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ديوان طلائع بن رزيك، جمعة : محمد الأميني، المكتبة الأهلية – النجف ط١ سنة ١٩٦٤م.

طه حسين : مع المتنبي، دار المعارف – مصر، د.ط، د.ت.

طه أبو كريشة : الخيال الشعري عند أبي الطيب المتنبي، دار التوفيقية – مصر، ط١ سنة ١٩٧٨م.

ابن ظافر الأزدي : علي بن ظافر الأزدي (ت ٥٦٧هـ).

أخبار الدولة الحمدانية، مقتطع من مخطوط : أخبار الدول المنقطعة، تحقيق : تميمة الرواف، دار حسان، ط١ سنة ١٩٨٥م.

ظافر الحداد : ديوان ظافر الحداد، تحقيق : حسين نصار، مكتبة مصر، سنة ١٩٦٩م.

عباس محمود العقاد : ابن الرومي – حياته من شعره، دار الكتاب العربي– بيروت ط٧ سنة ١٩٦٨م.

عبد الجليل عبد المهدي : – أبو فراس الحمداني، حياته وشعره، مكتبة الأقصى، ط١ سنة ١٩٨١م.

عبد الجليل عبد المهدي : – بيت المقدس في أدب الحروب الصليبية، دار البشير– عمان– ط٢ سنة ١٩٩٥م.

عبد الجليل عبد المهدي : – بيت المقدس في شعر الحروب الصليبية، دار البشير– عمان، سنة ١٩٨٩م.

عبد العزيز الأهواني: ابن سناء الملك ومشكلة العقم والابتكار في الشعر، دار الشؤون الثقافية العامة – العراق، ط٢ سنة ١٩٨٦م.

عبد الفتاح نافع : لغة الحب في شعر المتنبي، دار الفكر – عمان، ط١ سنة ١٩٨٣م.

عبد القادر الرباعي: الصورة الفنية في شعر أبي تمام، جامعة اليرموك – إربد، ط١ سنة ١٩٨٠م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عبد اللطيف حمزة : أدب الحروب الصليبية، دار الفكر العربي، ط٢ سنة ١٩٨٤م.

عبد الوهاب النجار: قصص الأنبياء، دار النصر - بيروت، د.ط، د.ت.

أبو العتاهية : ديوان أبي العتاهية، دار صادر - بيروت، د.ط سنة ١٩٨٠م.

ابن العديم : كمال الدين أبو القاسم عمر بن أحمد (ت ٦٦٠هـ).
زبدة الحلب من تاريخ حلب، نشره : د. سامي الدهان، دمشق، سنة ١٩٥١م.

عرقلة الكلبي : حسان بن نمير (ت ٥٦٧هـ).
ديوان عرقلة الكلبي، تحقيق : أحمد الجنيدي، مطبوعات مجمع اللغة العربية - دمشق، ط١ سنة ١٩٧٠م.

عز الدين اسماعيل: الأسس الجمالية في النقد العربي، دار الفكر العربي - القاهرة، ط١ سنة ١٩٥٥م.

ابن عساكر : الحافظ ثقة الدين علي بن الحسن الشافعي (ت ٥٧١هـ).
تهذيب تاريخ دمشق الكبير، بيروت، ط٢ ١٩٧٩م.

العسقلاني : شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر (ت ٨٥٢هـ).
الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، دائرة المعارف العثمانية - الهند، ط١.

أبو العلاء المعري (ت ٤٤٩هـ) : سقط الزند، دار صادر - بيروت، د.ط، د.ت.

عماد الدين الأصفهاني (ت٥٩٧هـ) :
- البرق الشامي ج٣، تحقيق : مصطفى الحياري، مؤسسة عبد الحميد شومان - عمان، سنة ١٩٨٧م.

عماد الدين الأصفهاني: - خريدة القصر وجريدة العصر.
بداية قسم شعراء الشام، تحقيق : شكري فيصل، المطبعة الهاشمية - دمشق، سنة ١٩٦٨م.
قسم شعراء الشام، تحقيق : شكري فيصل، المطبعة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الهاشمية - دمشق، ج١ سنة ١٩٥٥م، ج٢ سنة ١٩٥٨م، ج٣ سنة ١٩٦٤م.

قسم شعراء مصر، نشرة : أحمد أمين، وشوقي ضيف، وإحسان عباس، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، سنة ١٩٥١م.

عماد الدين الأصفهاني - ديوان عماد الدين الأصفهاني، تحقيق : ناظم رشيد، جامعة الموصل، د.ط سنة ١٩٨٣م.

عماد الدين الأصفهاني - الفيح القسي في الفتح القدسي، تحقيق : محمد صبح، الدار القومية للطباعة والنشر - القاهرة، د.ت.

عمارة اليمني، نجم الدين عمارة بن أبي الحسن اليمني (ت ٥٦٧هـ)

النكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية، تحقيق : هرتويغ درنبرغ، مكتبة مدبولي - القاهرة، ط٢ سنة ١٩٩١م.

عمر بن أبي ربيعة: ديوان عمر بن أبي ربيعة المخزومي، تحقيق :محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة سنة ١٩٥٢م.

عمر موسى باشا : الأدب في بلاد الشام : عصور الزنكيين والأيوبيين والمماليك، المكتبة العباسية - دمشق سنة ١٩٧٢م.

ابن عنين : شرف الدين محمد بن نصر الدمشقي (ت ٦٣٠هـ).

ديوان ابن عنين، تحقيق : خليل مردم بك، دار صادر - بيروت، د.ت .

فتيان الشاغوري : فتيان بن علي الأسدي الخزيمي (ت ٦١٥هـ).

ديوان فتيان الشاغوري، تحقيق : أحمد الجندي، مطبوعات مجمع اللغة العربية - دمشق، د.ط سنة ١٣٧٨هـ

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أبو الفداء، عماد الدين اسماعيل (ت ٧٣٢هـ).

المختصر في أخبار البشر، دار المعرفة – بيروت، د.ت.

أبو فراس الحمداني : ديوان أبي فراس الحمداني، شرحه : عمر الطباع، دار الأرقم، بيروت.

الفرزدق : ديوان الفرزدق، دار صادر – بيروت سنة ١٩٦٠م.

فيصل السامر : الدولة الحمدانية في الموصل وحلب، جامعة بغداد، سنة ١٩٧٣م.

قاسم عبده قاسم : ماهية الحروب الصليبية، سلسلة علم المعرفة – الكويت عدد (١٤٩) أيار ١٩٩٠م.

القاضي الفاضل (ت ٥٩٦هـ) : ديوان القاضي الفاضل، تحقيق : أحمد بدوي، مراجعة : إبراهيم الأبياري، دار المعرفة – القاهرة، ط١ سنة ١٩٦١م.

قدامة بن جعفر (ت ٣٢٧هـ) : نقد الشعر، تحقيق : محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية – بيروت، د.ط، د.ت.

ابن قسيم الحموي: شرف الدين أبو المجد مسلم بن الخضر التنوخي (ت ٥٤٢هـ).

ديوان ابن قسيم الحموي، جمع وتحقيق : سعود عبد الجابر، دار البشير – عمان، ط١ سنة ١٩٩٥م.

ابن القلانسي ، أبو يعلى حمزة (ت ٥٥٥هـ).

ذيل تاريخ دمشق، تحقيق: سهيل زكار – دمشق، د.ط سنة ١٩٨٣م.

قمر كيلاني : أسامة بن منقذ، د.م.ن، سنة ١٩٨٢م.

ابن القيسراني: شعر ابن القيسراني، جمع وتحقيق ودراسة : د. عادل جابر، الوكالة العربية للتوزيع، الأردن– الزرقاء، ط١ سنة ١٩٩١م.

كافارماريوس : نخب تاريخية وأدبية جامعة لأخبار الأمير سيف الدولة الحمداني، الجزائر، سنة ١٩٣٤م.

ابن كثير : الحافظ، اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي (ت ٧٧٤هـ).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

البداية والنهاية، تحقيق : أحمد فتيح، دار الحديث - القاهرة، ط١ سنة ١٩٩٢م.

المتنبي : ديوان أبي الطيب المتنبي، شرح أبي العلاء المسمى بـ «معجز أحمد»، تحقيق : عبد المجيد دياب، دارالمعارف - مصر، ط٢ سنة ١٩٩٢م.

محمد زغلول سلام : الأدب في العصر الأيوبي، دار المعارف - مصر، د.ط سنة ١٩٦٨م.

محمد شرارة : المتنبي بين البطولة والاغتراب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت، ط١ سنة ١٩٨١م.

محمد شعيب : المتنبي بين ناقديه في القديم والحديث، دار المعارف - مصر، د.ط سنة ١٩٦٤م.

محمد علي الهرفي: شعر الجهاد في عصر الحروب الصليبية في بلاد الشام، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط٣ سنة ١٩٨٠م.

محمد الكفراوي: الشعر بين الجمود والتطور، دار نهضة مصر - القاهرة، د.ط، د.ت.

محمود إبراهيم: - حطين بين أخبار مؤرخيها وشعر معاصريها، دار البشير - عمان ط١ ١٩٨٧م.

محمود إبراهيم: -صدى الغزو الصليبي في شعر ابن القيسراني، دار البشير - عمان ط٢ ١٩٨٨.

محمود السرطاوي : نور الدين في الأدب العربي في عصر الحروب الصليبية، دار البشير - عمان ط١ سنة ١٩٩٠م.

محمود السمرة : القاضي الجرجاني- الأديب الناقد - بيروت سنة ١٩٦٦م.

محمود أبو ناجي: الحرب في شعر المتنبي، دار الشروق - جدة، ط٢ سنة ١٩٨٠م.

المسعودي : أبو الحسن علي بن الحسين (ت ٣٤٦هـ).

مروج الذهب ومعادن الجوهر، طبعة القاهرة سنة ١٣٤٦هـ.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مسكويه : أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب (ت ٤٢١هـ).
تجارب الأمم وتعاقب الهمم، نشر آمد روز - القاهرة سنة ١٣٢٢هـ.

مسلم بن محمود الشيزري : جمهرة الإسلام ذات النشر والنظام، مكتبة الجامعة الأردنية، ميكروفيلم رقم (١٨٤٣) الجزء الأول.

مصطفى أبو العلا: شعر المتنبي - دراسة فنية، مكتبة نهضة الشرق - القاهرة سنة ١٩٨٦م.

مصطفى ناصف: الصورة الأدبية، مكتبة مصر سنة ١٩٥٨م.

ابن المعتز : ديوان ابن المعتز، دار صادر - بيروت سنة ١٩٦١م.

المقريزي : تقي الدين أحمد بن علي المقريزي (ت٨٤٥هـ)
كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق : محمد مصطفى زيادة، دار الكتب المصرية - القاهرة، سنة ١٩٣٤م.

ابن منظور : جمال الدين محمد بن كرم (ت ٧١١هـ)
لسان العرب، دار صادر - بيروت ط١ سنة ١٩٩٠م.

ابن منير الطرابلسي : ديوان ابن منير الطرابلسي، جمعه وقدم له : عبد السلام تدمري، دار الجيل - بيروت، ط١ سنة ١٩٨٦م.

ميخائيل زابوروف : الصليبيون في الشرق، دار التقدم - موسكو سنة ١٩٨٦م.

النابغة الذبياني: ديوان النابغة الذبياني، جمعه وشرحه : محمد عاشور، الشركة التونسية، د.ط سنة ١٩٧٦م.

نازك الملائكة : قضايا الشعر المعاصر، مكتبة النهضة ، بغداد ط٢ سنة ١٩٦٥م.

نصرت عبد الرحمن : شعر الصراع مع الروم في ضوء التاريخ، العصر العباسي حتى نهاية القرن الرابع، مكتبة الأقصى - عمان، ط١ سنة ١٩٧٧م.

النويري : شهاب الدين، أحمد بن عبد الوهاب النويري (ت ٧٣٢هـ).
نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق : الباز العريني، ومراجعة : عبد العزيز الأهواني، الهيئة المصرية للكتاب، سنة ١٩٩٢م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ) : كتاب الصناعتين : الكتابة والشعر، تحقيق : علي البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء التراث العربي - مصر ، ط١ سنة ١٩٥٢م.

ابن واصل : جمال الدين بن سالم بن واصل (ت ٦٩٧هـ).

مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق : جمال الشيال - القاهرة، د.ط سنة ١٩٥٣م.

ياقوت الحموي : شهاب الدين، ياقوت بن عبد الله الحموي (ت ٦٢٦هـ).

- معجم البلدان، دار صادر - بيروت سنة ١٩٧٧م.

ياقوت الحموي : - معجم الأدباء، دار الاستشراق - بيروت.

يوسف البديعي: الصبح المنبي عن حيثية المتنبي، تحقيق : مصطفى السقا ومحمد شتا، دار المعارف - القاهرة، د.ط سنة ١٩٦٣م.

يوسف بكار : بناء القصيدة في النقد العربي القديم - في ضوء النقد الحديث، دار الأندلس للطباعة والنشر - بيروت، ط٢ سنة ١٩٨٣م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Abstract

٤٧١١٢٤

The influence of Al- Alutanabbi on the poetra of the Arab poets during the Crusaues

Hussam Omar Al-Tamimi

Supervisor

Professor : Mahmoud Ibrahim

The poets of the Crusades' wars era were firmly linked with the literary heritage, which they viewed with great respect. It was to the point that the poetical heritage, particularly the one dealing with wartime in the Abbasid era, became the ideal sample adopted by them. Abu Al-tayyib Al Mutanabbi was one of the prominent war poets, whose steps the poets of the Crusades' war poets in the Abbasid era has followed. They adopted his style in the depiction of heroes, description of battles and armies as well as, the ideas dealing with pride, expostulation, erotic poetry, and elegy.

The poets of the Crusedes' wars era have diverted their attention to Al-Mutanabbis' wartime poetic style. They adopted his poetic style by abandoning love- inspirising introductions and resorted to introtuctions that suited the subject. The poets of this era benefitted from Al-Mutanabbis' style in forming their poetic images. They used several of his metaphors, similes, and artistic descriptions which were full of life and movement.

All Rights Reserved.- Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

The poets of the Crusades' wars era were influenced by Al-Mutanabbis' language and style and consequently they harmonized between the vocabulary they used and the subject of the poems. They were also influenced by Al-Mutanabbis' use of terms to the point that they used them frequently and they copied his use of love - terms in war.

The poets of the Crusades' wars era in general and the poet's of Jihad in particular were intentionally influenced by Al Mutanabbis' style.

It was deliberate, as it seems that they felt that their nation was facing a wanton crusades' campaign aiming at eradicating them and eliminating their religion and literary heritage. They viewed the need to preserve their religion. They quoted koranic verses and the prophet's Hadith in their poems. They also kept by the need to maintain the Arab status and identity of Arabic literature which made them shift to imitating Al-Mutanabbi who was one of the most fanatic poets in his era towards Arabism. They also imitated his poetic images out of the belief that his style would preserve the Arab-Islamic literary heritage.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit